

أحمد حماني

أ صراف بين السنة والبدعة

أو
القصّة الكاملة للسطوب بالإمام
الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين . له الحمد في الاولى والآخرة وله الامر .
لا نعبد الا اياه ولا نستعين سواه .
والصلاة والسلام على محمد سيد النبيين وامام المرسلين .
وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب « صراع بين السنة والبدعة
أو القصة الكاملة لمحاولة السطو بالامام الرئيس ، عبد الحميد
ابن باديس » .

وما كان يدور بخلدنا - عندما شرع القلم يخطه - أن يبلغ
مثل هذا الحجم ، ولكن الوفاء بما جاء في العنوان - حتى يطابق
الاسم المسمى - أوجب البسط في الكلام فقد كان مجال القول
ذا سعة ، ووجد اللسان للقول ، ثم ان صدور الاخوان المخرجين
للكتاب كانت أوسع من المجال ومن اللسان ، فكان ما كان ...

وارتفع عدد صفحاته الى درجة أصبح من العسير اخراجه في
جزء واحد ، وعرض الامر على فلم أر بدا من اقرار رأى الفنيين ،

فهم أخبر بفنهم ، وهم أهل الذكر فى الموضوع ، وانا لنرجو
أن يتسع صدر القارئ الكريم لمثل ما اتسع له صدر الكاتب
والمخرجين .

ان هذا الجزء ، من الكتاب يشتمل على القسمين الاخيرين من
موضوعه وعلى الخاتمة ، وسيجد القارئ فى القسمين ثروة
أدبية فريدة من نثر فنى رائع ، ومن شعر عربى فصيح خلفتهما
حادثة السطو . ويتخلل كليهما تعليقات وشروح مفيدة ، وتراجم
هامية ، نتيج كل ذلك من أقلام فعول الكتاب ، وعباقره الشعر ،
أما الخاتمة فان لها صلة وثيقة بالموضوع ، وسيجد فيها القارئ
الكريم تراجم ومعلومات قد لا يجدها فى كتاب آخر .

ولا نطيل فى الكلام ، فالأفضل ان نترك القارئ مع هذا
الجزء ليتابع ما بدأ فيه فى الاول وعساه الا يعدم ما يفيده ،
واقله متعة الاطلاع ان كان نهما طلعة .
والله الموفق والهادى الى سواء ~~الخير~~ .

الجزائر فى : 05/09/1404 هـ

الموافق لـ : 05/06/1984 م

أحمد حماني

القسم الرابع

ثروة أدبية وثقافية خلفتها الحادثة

ان حادثة السطو بالاستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس « كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية – فى افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تمحوه الايام » (1) وقد أحسن الزاهري فى قوله .

ان تكتب الحق الدماء فانت من كتبت دماؤك للهدى صفحات (2) ولم يكتب أحداثها الدم وحده ، ولكن الاقلام والمداد والافكار والعقول أنتجت – أيضا – ثروة أدبية ثقافية نفيسة من النشر الفني العلمي الرفيع ، ومن الشعر الجيد المعبر الفصيح ، شارك فى انتاجها كتاب وشعراء الاقطار الثلاثة : الجزائر ، وتونس، والمغرب .

ومن الغبن أن يبقى هذا الكنز دفيناً ويضيع ، كما ضاعت كثير من النفائس، ففى ذلك خسارة أدبية ثقافية عظيمة .

وحتى لو فرضنا أن نشر انتاج كل أديب فى ميراثه الخاص، فان هذا قد يبدد الموضوع ويقلل أهميته .

ان فى هذه الثروة الأدبية – الشعرية والنثرية – حقائق تاريخية ، ومباحث دينية ، ونفائس أدبية ، ونقاشا بارعا، وحوارا شيقا ، بأسلوب رفيع، مما يمكن ان تدرس فيه نفسية الناصر أو الشاعر للتعرف على أسلوبه ولغته وتفكيره وتمييز شخصيته ، وبيان مذهبه .

(1) ابن باديس فى تعليقه على حكم القضاء الذى أصدره ضد الجاني .

(2) مما ورد فى قصيدته المنشورة فى قسم الشعر .

ان فى هؤلاء الكتاب والشعراء من كانوا - آنذاك - فى القمة ، ومنهم من تربعوا عليها من بعد .

وقد رأينا ان ننشر كل قسم على حدة يبتدىء بالنثر ويختتم الموضوع بالشعر ، ويقدم للمقال بمقدمة قد تطول اذا تناولت تاريخ حياة الناثر أو الشاعر ، وربما كان هذا من عيوب الكتاب ، وفكرنا ان نجعل للتراجم قسما خاصة بها ، ولكن اقتنعنا ابقاء الامر على حاله حتى لا ينقلب الكتاب الى كتاب تراجم، وللتنوع والاستراحة ، ولانه ايسر للمطلع - وخصوصا الشباب الذى اليه نكتب - ان يعرف الكاتب قبل ان يقرأ موضوعه ، واما الشعر فقد التزمنا شرحه كله شرحا قديرى مسهبا على الطريقة القديمة لانه شعر فحل يستحق العناية والخلود، وليس مثل الهذر الذى قد لا يقرأه الا صاحبه ، أو صديق له ليداعنه ثم لا يعود اليه واحد منهما أبدا ! لانه لا يمكن ان يؤدى فوائد لفظية أو معنوية تخلده. وربما وقع فى شرح بعض الأبيات التى يظهر انها واضحة المعنى ولا تحتاج الى شرح عناية بها واهتمام فلا تقل انها من الواضحات ، وقديما قيل : (شرح الواضحات من الفاضحات) فاننا قصدنا من ذلك ان يتعلم شبابنا التدقيق والعلم وكيفية التبليغ ، ولا يكتفون بالتقريب للفهم ، كما اننا نشير الى بعض المسائل النحوية والقواعد العربية ، وان كان هذا الامر قليلا ، وعسى ان يكون فيما صنعنا فائدة ولو لقليل من الناس .



أولا - قسم النشر

الفصل الاول :

مقال (بيضاوي) : ابن ملجم

كان من أول من حركته الحادثة واثرت فيه التأثير البليغ الكاتب الكبير الاستاذ (بيضاوي) وهو الاسم المستعار الذي كان يختفى وراءه العلامة الجليل الشيخ مبارك بن محمد الميلي ، أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علما وفضلا وكفاءة ، واحد علماء الجزائر ، وبناة نهضتها العربية الاصلاحية الافذاذ . وأول من ألف للجزائر باللغة العربية والعاطفة الوطنية تاريخا قوميا وطنيا نقيسا وسمه ابن باديس (انه أحى به الأمة) ، ومن أحى نفسا واحدة « فكانما أحى الناس جميعا » فكيف بمن أحى أمة ؟ ؟

وكان الاستاذ مبارك (بيضاوي) قد جرد سيفه (قلمه) وكتب سلسلة من المقالات نشرت في المنتقد ثم في الشهاب هاجم فيها الانحراف في الدين أو في السياسة ، وهو الذي صرح ضد فكرة الاندماج والاندماجين بان الاندماج هو موت حقيقي للأمة ، موت لا نشور بعده يلحق بنا سبة الأبد ، وأنه يختار - لو خير بين حياة تقدم مع الاندماج وبين حياة تأخر وانحطاط وبقاء على الحالة السيئة المستقبحة الحالية مع المحافظة على القومية والشخصية الوطنية - فانه يختار الثاني لان الاندماج موت والحياة المنحطة خير من الموت على كل حال .

وقد انتصرت فكرة المحافظة على الشخصية بفضل المدارس والمساجد والهيئات والاحزاب الوطنية . والحمد لله .

وكان قلمه شديداً في حرب الضلالات والبدع والخرافات ، ودجل بعض المنتسبين الى التصوف وخصوصاً (دعاة الحلول ووحدة الوجود) لبعدهم عن الحق في القول والاعتقاد والسلوك ، فاستاءوا من ذلك ، ورأوا انه مسهم مباشرة فقررُوا ان يسكنوه الى الابد ، حتى يفيض المنبع بالقضاء عليه أو على من ينشرها في الشهاب ويأتي بمثلها أو (افطم) .

وعنه كلمة عن ترجمة الشيخ مبارك بتبعها مقاله :

الشيخ مبارك الميلي 1896 - 1945

ولد الشيخ مبارك بن محمد براهيم الميلي في « أولاد مبارك » بجبال الميلية حوالي 1896 م وحفظ القرآن الكريم في (ميلة) التي كان ينزح اليها كثير من أبناء جبال الميلية ، وإلى أهل (ميلة) تنسب « الميلية » لأن (ميلة) كانت مقراً لحكم تلك الجهات أثناء العصور الخوالي ، فاذا جاء أعوان السلطة من أصل ميلة للاتصال بالشعب هناك عسكروا بذلك المكان ونزلوا فيه ، فسمى بـ « الميلية » ، بهذا حدثني الشيخ مبارك رحمه الله أيام العمل معه في البصائر عام 1938 م وكان رئيس تحريرها . وأما مدينة « الميلية » فحديثة ، مصرت في العهد الفرنسي .

بعد حفظه القرآن في جامع (سيدي عزور) أخذ المبادئ الأولى عن العلامة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالشيخ الميلي ، أو بالشيخ العلمي نسبة إلى (العلمية) ، وأصله من نواحي (بلزمة) التي كانت مقر الفرسان العرب أثناء قيام الدولة الاغلبية . وكان الشيخ الميلي عالماً جليلاً سلفياً مصلحاً مات شهيداً بيد مجرم أثيم ، استفتاه ثم لم يرض بفتواه .

انتقل الشيخ مبارك إلى قسنطينة للأخذ من الشيخ عبد الحميد، فكان أعظم تلاميذه والمنتفعين به ، والعاملين معه ، ثم انتقل إلى تونس لإتمام دراسته العليا، وهناك لقي كثيراً من نفعاء الجزائريين . ومنهم الشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد السعيد الزاهري ، والشيخ عبد السلام السلطاني ، ولحق بهم الشيخ سعيد الزموشي وغيرهم ، واخذوا على كثير من مشائخ ابن باديس مثل الشيخ محمد النخلي القيرواني ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ الطاهر

ابن عاشور ، والشيخ بلحسن النجار وغيرهم ، ورجع من تونس بشهادة التطويع
(العالمية) عام 1925 م .

وفور رجوعه كلف بالتعليم والادارة للمكتب العربي بقسنطينة وهو الأصل
الاول لمدرسة التربية والتعليم سنة 1925 م . وكان من مؤسسيه الشيخ عمر
الجيجلي والد صديقنا محمد الجيجلي ، والاستاذ عبد العزيز الجيجلي . وعين - مقرا
للتعليم - مسجد (سيدي بومعزة) ويوجد في نفس النهج الذي توجد به
المطبعة والادارة للشهاب ، وهو اليوم نهج عبد الحميد بن باديس . لكن أزمة
مالية عصفت به فانتقل الشيخ مبارك الى الاغواط .

ولما كان بقسنطينة أسست « المنتقد » ثم « الشهاب » فتولى عبء التحرير
فيهما وانشاء المقالات التي كان لها دوي كبير ، تارة بامضائه الصريح ، وأخرى
بامضاء « بوضاوي » وثالثة بدون إمضاء ، مما أحدث « ثورة » كبيرة في الوسط ،
ويمكن ان نتبين مقدارها من كلمة « الاستاذ محمد زغياش » المنشورة في غير
هذا المكان . وقد سمعت كثيرا عن دور الشيخ مبارك رحمه الله من المرحومين
السيد أحمد بوشمال ، والشيخ عبد الحفيظ الجنان رحمهم الله ، وكل منهم
أدى دورا مهما في تلك الايام ، كما سمعت ذلك من الأخ الزواوي - خليل -
ابن القشي مدير المطبعة ، وما يزال بالحياة .

وفي الاغواط - التي انتقل اليها اوائل عام 1927 م - استقبل استقبالا
عظيما ، وكان سبقه اليها الشيخ الزاهري ، ولم ينجح في التحصيل على رخصة
لفتح مدرسة .

فلم يصبر كثيرا وترك مكانه لأخيه المبلى الذي كان أصبر منه ، فارتحل الى
تلمسان ، وتمكن المبلى من انشاء مدرسة جمع عليها سراة المدينة ، وفيها اثناء
الشعب ، وكون تلاميذ من أحسن من تفخر بهم الجزائر ، ومكث عنالك بضع
سنتين .

وعندما كان الشيخ مبارك في الاغواط اشنت الدعوة لتأسيس جمعية
العلماء وتكونت بالفعل اثر الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر .
فانتخب عضوا في مجلس ادارتها وأمينها الماليينها .

تم عاد الى ميله ليكون قريبا من عرين الاسد ، وأخذ يكثر الاجتماع به واللقاء معه ويعينه في أعماله . والحق ان الصلة كانت بينهما متينة ، فلم يكن أعز عليه في حياته من الاستاذ ابن باديس كما لم يكن عند هذا أغلى عليه في حياته من تلميذه مبارك ، وكانا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « الارواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وقد أسس في ميله « مدرسة الحياة » ومسجدا جامعاً تولى خطبته والتدريس فيه ، وناديا للشباب ، وكان يوالى رحلاته الى تلك الجهات ، وخصوصا الميلية ودائرتها والطاهير ودائرتها .

ثم أسندت اليه رئاسة تحرير جريدة (البصائر) بعد ان تخلى عنها الشيخ العقبي فاضطلع بالمهمة ، وتخلى عن امانة المال فأسندت الى الشيخ أحمد ابن معيزة . ودخلت (البصائر) في عهد جديد من حياتها ، وأخذ ابن باديس يكتب - غالبا - افتتاحياتها . حتى تقرر ايقافها اثر اعلان الحرب العالمية الثانية .

ولما توفي الشيخ ابن باديس - في 16 ابريل 1940 م - كان وقع ذلك عليه ألما وأغمى عليه بقرب جثمانه . غير أنه استعاد وعيه وملك صبره وإيمانه ، وخلفه في الاضطلاع بالمسؤوليات الجسام لان الشيخ البشير الابراهيمي كان ما يزال مبعدا في مدينة « أفلو » ومن ذلك انه أشرف على الدراسة العلمية للطلبة حتى نهاية السنة الدراسية . غير ان صحته لم تكن تساعد على الاستمرار في مثل هذه المسؤولية فتقرر ان تسند لاخيه وزميله الشيخ العربي التبسي ، فانتقل مقر الدراسة - وقتيا - الى تبسة حتى 1946 .

وبعد وفاة ابن باديس تعرض العلماء لضغط شديد من الادارة الفرنسية التي كانت تريد منهم ان يغيروا موقف ابن باديس وسياسته نحو فرنسا ، سياسة الانفصال والجفاء والبعد عن التعاون ، وعربونا على ذلك عرضت عليهم ان يقبلوا برئاسة من تراه فرنسا أليق بسياسة المفاهمة والتعاون وهو الشيخ العقبي ، حدثني بهذا ثقات منهم من هو شديد القرابة من الشيخ مبارك ، ومنهم من كان في قيادة الجمعية وعلى اطلاع كبير بحياتها ومشاكلها وما يزال بالحياة ولكن جواب الشيخ مبارك واخوانه كان بالسلب واستطاعوا ان يتخلصوا

بلباقة وشجاعة اذ كان جوابهم : ان ما تقولون لا نملكه ، وانما يملكه الاجتماع العام . والرئيس الحالى وهو الشيخ محمد البشير الابراهيمى موجود فى المعتقل وعندما يطلق سراحه وتتوفر الظروف تعقد الاجتماع العام ، وهو الذى يستطيع ان ينتخب الرئيس وان يقرر - فى سياسة الجمعية وسيرها - ما يراه وكان واسطة هذا الاتصال شخص يعمل بادارتهم ، وكان وثيق الصلة بنادى الترقى وهو الذى وثق به الشيخ الطيب ثقة لا حدود لها شان الغر الكريم .

وكان هذا رفضا صريحا لشقى العرض ، بتغيير سياسة الجمعية عما كانت عليه ، وبقبول رئاسة ترضى عنها فرنسا ! ودبرت بعد هذا الرفض مكائد - وخصوصا ضد الشيخ العربى - ، ولولا لطف الله لذهب ضحية المكر ، ولكن الله تكفل بحماية أوليائه « ان الله يُدافعُ عن الدين آمنوا » .

وبينما كانت الحرب العالمية الثانية تدنو نهايتها كانت آمال الشعوب فى يوم الخلاص تنمو ، وتكونت فى الجزائر حركة سياسة جديدة تعتمد على اتحاد جميع الهيئات الوطنية ، وتريد تحقيق استقلال الجزائر والاعتراف لها بحكومة وطنية ، وقدمت بذلك مطالب رسمية أقرها الجميع فى عريضة وسمت بـ : « البيان » . وكان رد فرنسا متعجرفا، واعتقلت منشئ البيان وأبعدته ، وغاب عنها أنها بذلك تفسح المجال لمن هو أشد منه وأكثر تطرفا وأميل الى العنف . ثم تكونت لذلك حركة « أحباب البيان والحريية » وأبرز مكوناتها (حزب الشعب) المتكون من النخبة الوطنية ، واتحاد النواب المنتخبين ، وجمعية العلماء المسلمين .

ولم يشارك الشيخ مبارك مشاركة فعالة فى هذه الحركة لأن صحته أخذت فى الانهيار، ولكن اخوانه الابراهيمى والتبسي وخير الدين كانوا فى الميدان . وفى يوم 8 فبراير 1945 م . دخلت الى مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة فوجدت الدكتور ابن الموفق رحمه الله نازلا فى درجها ، ووجهه مكفهف ، ويكاد دمه يسيل ، فصعدت مسرعا ولقيت الاخ محمد صالح بن معنصر فبادرته بالسؤال : ما الخبر ؟ فقال : ان الشيخ مبارك فى خطر ، ففرغت ودخلت الادارة حيث يوجد ، فوجدته ملقى على جنبه لا يكاد يتحرك، فاقتربت منه وسلمت عليه ، فنظر الى ومد تحوي يده بضعف وقال : (سامحنى) .

وكانت آخر كلمة سمعتها منه ، فانه أخذ الى « ميله » ، ودخل في غيبوبة ، ومن الغد يوم 9 فبراير تلقيت مكالمه من ادارة البريد بقسنطينة من الاستاذ محمود ديمق - الذي كان عاملا بها - فاخبرني انه مر عليه تليفراف يخبر بوفاة الشيخ مبارك ، ثم بعد قليل رن جرس الهاتف فاذا بالذي يتكلم هو الكتبان (دو) الضابط المدير للشؤون الاسلامية بالولاية يتساءل : احقا ان الشيخ مبارك مات ؟ وشيعت جنازته من الغد - في ميله بحضور آلاف عديدة وردوا من سائر الجهات ، وابنه باسم العلماء الرئيس محمد البشير الابراهيمى وباسم الهيئات الوطنية السيد عباس فرحات زعيم حزب البيان ، ويوجد قبره البسيط بجانب شيخه الميلي بعيدا عن كل ابهة كما هي السنة وكما هي ارادته ومذهبه ، وكان عمره يوم وفاته حوالى 49 عاما .

آثار الشيخ مبارك

لم يترك الشيخ مبارك - رحمه الله - آثارا قلمية كثيرة - كغيره من اخوانه لاشتغالهم بتأليف الرجال - كما اثر من قول أحدهم - ولكنه مع ذلك ترك تأليفين جليلين ومجموعة رائعة من المقالات ، فى المنتقد ، والشهاب ، والسنة والصراط ، والبصائر . ولو جمعت كلها لكانت سفرا جليلا ، نرجو أن يتحقق هذا باهتمام نجليه .

التأليف الاول هو « تاريخ الجزائر فى القديم والحديث » وضعه حينما كان بالاعواط ، وأتم جزئين منه ، وتوقف عند ابتداء الدور العثمانى ، وشغله عن اتمامه أعمال جمعية العلماء الكثيرة الشاقة ، ونوالى أزمات المرض الخطير « السكرى » ، وجهله باللغات الاجنبية الضرورية لكتابة هذه الفترة من تاريخ الوطن . وقد سألته عام 1938 م ، عن سبب تأخره فى اتمام مهمته فذكر لى هذه الاعذار الثلاثة فقلت : ما بال (بعضهم) قد كتب فى نفس الموضوع وأتم عمله ؟ فاجاب : أنا لا أكتب كتابة صحفى - وقد تمعنت فى قوله فاقتنعت فان الاسلوب الذى استعمله فى الجزئين التامين هو أسلوب العلماء والباحثين المقتدرين ، وقد شهد له بذلك أمير البيان شكيب أرسلان ، وقال عن مؤلفه « ما كنت أظن ان فى الجزائر من يمرى مثل هذا الفرى » - وشهد له استاذاه ابن باديس انه بكتابه هذا قد أحى أمة ، واذا كان من أحى نفسا فكانما أحى الناس جميعا ، فكيف بمن أحى أمة !

والسبب في هذا الاطراء من الشيخ عبد الحميد بن باديس أن تاريخ الجزائر كان مبعثرا مذكورا بضعه في تاريخ المغرب ، وبضعه الآخر في تاريخ تونس ، لأن اجزاء الجزائر كانت قد يتبع بعضها دولة عاصمتها في المغرب ، او دولة أخرى عاصمتها في تونس ، وهذه الدول قد يكون ملوكها أو أمراؤها جزائريين صميمين مثل دولة صنهاجة أجداد ابن باديس ، ومثل الموحدون من آل عبد المومن ، ومثل المرينيين ، - وهذه هي أهم الدول المغربية المستقلة ، وكان ملوك هذه الدول يحنون الى وطنهم الاصلي ويرون أنهم أحق بملكه من غيرهم ، ويتنازعون مع غيرهم أو بعضهم عليه . لهذا لم تكن (وحدة) تامة تجعل للجزائر تاريخا موحدا . إذ كان المؤرخون لا يؤرخون للشعوب والامم ، وانما يؤرخون للملوك والدول (2) .

والشيخ مبارك رحمه الله استطاع بتاريخه - الذي لم ينسج على منواله أحد قبله ، أن يؤرخ لأمة الجزائر . ويثبت وحدتها وشخصيتها ، واثرها الفعال في الماضي العريق منذ عهد الجاهلية ، وفي عصور الاسلام ، فهو أول مؤرخ جعل للجزائر تاريخا مستقلا وكتبه بأسلوب علمي رفيع لا يشمينه - بل يزيينه - ما بيديه بين صفحاته من عزة قومية ، ونخوة جزائرية، وأحاسيس وطنية، وغيره اسلامية عربية، مما يغرس في قارئه العزة والنخوة والكرامة والقومية الصحيحة، ويستطيع ان يتبين ذلك من قراه بإمعان ، وقد كان كل جزائري في ضرورة الى مثله أيام صدوره ، وحتى الآن .

اما الاثر الثاني فهو «رسالة الشرك ومظاهره» وقد كان الشيخ مبارك ضد اللين والمهاودة وينزع الى الشدة والصلابة في مقاومة البدع، لهذا شرع يكتب سلسلة مقالات بهذا العنوان في جريدة (البصائر) في عهدها الاول ، وطالت بطول الموضوع ، فاقترح عليه كثير من القراء أن يجمعها في كتاب فاستجاب لذلك ، فاخرج كتابا له قيمته العلمية . واعترف به العلماء، واتخذوه مصدرا يؤخذ منه ويعول عليه في الثانويات والجامعات العلمية بتونس، والجزائر، وغيرهما . وقد جدد طبع هذه الرسالة - مرة أخرى - بعد وفاة الشيخ، وما يزال الوسط في حاجة اليها .

فقد نفدت - جميع النسخ ، كما جدد طبع التاريخ - بعد ان أضيف الى الجزئين السابقين الجزء الثالث الذي اهتم بالدور العثماني في الجزائر بقلم (2) من الغريب أننا غيرنا - حتى بعد الاستقلال - أنه لا تاريخ لنا ولا دولة !

الاستاذ الكبير والكاتب القدير (الشيخ) محمد الميلي نجل استاذنا الشيخ مبارك ، الاستاذ بمعهد ابن باديس سابقا وأحد مؤسسي الصحافة الوطنية الثورية أثناء الثورة وبعدها وسفير الجزائر اليوم .

وقد حاول أن ينسج - ما استطاع - على أسلوب والده ، فوفق في عمله ، ولكننا ما نزال ننتظر منه الجزء الرابع وهو الذى يهتم بالدور الفرنسى ، وأحداثه كثيرة ، والجزء الخامس وهو الذى يعالج قيام الدولة الجزائرية وبناء صرحها . ولا يتم هذا الكتاب النفيس الا بهذا، فقد رأينا هذين الدورين معرضين لتزييف خطير ، محتاجين لقلم نزيه ، وعلم غزير ، وحكم صحيح : فهل لصديقنا الميلي أن ينقص روح أبيه ويتدثر بشجاعته ويكمل هذا النقص ؟ أننا نشهد انه يحب أباه حبا جما ويعرف قدره كما كان هذا يحبه ويرضى عنه ، وان أكبر علامات الوفاء له أن يتم ما بدأ أبوه فيه وبنفس أسلوبه .

وكان من أول ما أنتج من كتابة كبار المفكرين فى موضوع الحادثة ونشر فى جريدة الشهاب فى عدد 78 الصادر يوم الخميس الثانى رجب 1345 هـ ، الموافق 6 يناير 1927 م ، ما كتبه الاستاذ (بيضاوى) .

قال الشيخ مبارك تحت عنوان :

ابن ملجم القرن العشرين (2)

« من هذا الملجم بسبحته الالفية ٩٠٠ من هذا الذى أراد تخريب مدينة العلم ؟ من هذا الذى دفعته غيرته الوثنية الى الانتقام من المصلحين باذاية

(2) من المعلوم ان ابن ملجم هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى - أشقى هذه الامة كما جاء فى الحديث - هو الذى اغتال الامام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه فى الجنة - وذلك فى 17 رمضان 40 من الهجرة (فى الستينات من القرن السابع الميلادى) وكان استشهاد الامام على نتيجة مؤامرة دنيئة دبرها ثلاثة من المجرمين ، هم - وان انتسبوا الى الخوارج - تتبرا من فعلتهم كل طوائف المؤمنين .

التزم أحدهم بقتل معاوية والتزم الثانى بقتل عمرو بن العاص ، والتزم عبد الرحمن بن ملجم بقتل على ، رضوان الله عنهم اجمعين . فاما معاوية فقد ضربه من انتدب لقتله فجرحه وقطع منه عرقا لم يلد بعده . واما عمرو فانه تخلف عن صلاة الصبح لعذر وانا ب عنه خارجه فقتله الشقى وهو يظنه عمرا ، فلما علم قال : أردت عمرا وأراد الله خارجه ، وفى ذلك يقول الشاعر عن المنية : وليتها اذ فدت عمرا بخارجه فدت عليا بمن شاءت من البشر واما على فقد نفذ فيه القضاء ، وجريمة ابن ملجم - أخزاه الله - لا تلزمه الا هو ومن علم بعزمه وتأمر معه ، ولا تتجاوزة الى غيره بحال .

زعيمهم الاكبر الاستاذ عبد الحميد بن باديس ؟ ومما حدث أخيرا ان هذه الشرذمة اجتمعت ، وتحدثت فيما تنشره جريدة الشهاب - عرضا - ضد ترهات شيخها وقررت الانتقام من (بيضاوى) .

ولما لم تعرف شخصه هولت على جريدة الشهاب ، وطلبت منها تعيينه فلم يؤثر ذلك فى الادارة شيئا واجابتها بالرفض وهناك قررت - باجماع الاصوات - ان تعيث بحياة الاستاذ عبد الحميد بن باديس لكونه المشرف على تلك الادارة .

بعثت اشقاها ليلة الثلاثاء - 14 الجارى - فامتطى القطار من الجزائر الى قسنطينة يحمل لحية جرياء - عجرود - وسبحة باكورية - للبركة - وعراوة وحشية ، وموسى بدوية ، وورقة الذعاب والاياب ٠٠٠ بنية اغتيال الاستاذ ، والعودة ليلة الاربعاء (15) الى الجزائر ، ينزل بها ضحى ، ويلقيه أعضاء جمعيته بكل حفاوة وتجلة واكرام !

وماذا صنع هذا الشقى المفتوح عليه ؟ وكيف كانت عاقبة المعتدين ؟ ضرب الاستاذ على الساعة السابعة والنصف ليلة الاربعاء بهراوة على رأسه وخذله الايسر كى يضعفه ويدعشه ثم يقضى عليه بالموسى ، ولكن غاب عنه سر شيخه ، ولم ينتفع ببركة شيخه وربما كان معه حرز من الشيخ وكانت الورقة ورقة ذعاب فقط ٠٠٠ ولولا حنان الاستاذ وانسانيته الكاملة لكانت ورقة ذهاب الى دركه المعد له فى العالم الاخرى .

امسك الاستاذ هذا الشقى الوقح بثبات جنان وقوة فؤاد، وحاول الانفلات منه فانفلت ولكن الى غير منجاة ، فقد احاط به الناس وسدوا عليه كل مذهب، ثم قبضوا عليه وذهبوا به الى المحافظة حيث رَج فى السجن .

ويوم الاربعاء 15 أعلم شيخه من طرف بعض طلبة العلم بقسنطينة بتلغراف ، بشروه بفعل تلميذه الصادق المخلص ١٠٠ وبقوا منتظرين هل يكلف استاذ الاشقياء شيئا (البوقاطو) المتطوع مرة أخرى بالدفع عن مريده ؟ وتقف القلم فى هذه النقطة وننتقل الى النظر فيما تلقى عليه هذه المسؤولية ، مسؤولية الاعتداء على امام السنة وأستاذ الامة !

المتبادر الى الاذهان عامة ان المسؤول عن هذا الاعتداء الوحشي هو ابن
عليوة المربي لتلك الجمعية ٠٠٠ ولكن العاقل يتوقف في هذا الامر توقف
حيرة ، فان هذا المربي ! على ما وصفه به الامام الخطيب ذكي فطن ، بعيد ان
يخفى على فطانتها عاقبة تعديه ، ومريده لا ينفذ له مطلوبه الا بعد ان يضمن
له الحفظ والسلامة ٠٠٠ وربما لا يتم ضمانه فيكون ذلك مضرا بناموسه وقادحا
في ولايته ٠٠٠ أكثر بكثير من مقالات (بيضاوي) هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فقد اعتاد أتباعه الاعتداء ، وتكررت منهم الجنايات (3) ،
ولم يصيبهم شيء فربما آمن بذلك هذا المربي مكر الله ، وظن ان سره ما زال
سائما ٠٠٠

فان صبح هذا الاحتمال الاخير وقلنا انه المدير لهذه الجريمة ، فقد تتشوف
النفوس الى وجه الفرق بينه وبين سائر الطريقين ، فان صحيفة الشهاب قد
نشرت انتقادات تعم الطريقين ، وأخرى خاصة ببعضهم ولم يقدم احد منهم على
الانتصار لنفسه بمثل هذه الفعلة الشنعاء ، بل منهم من صبر ، ومنهم من
أجاب بالكتابة في نفس تلك الصحيفة او في اختها (النجاح) فكان دفاعه
بنفس السلاح الذي حورب به ، فلم شد هذا المربي الجديد والطرقى
الحديث ٩٠٠ وخرق سياج الادب ، وأبتدع بدعة انجس من البدع التي
بثها في اتباعه ، وكان أقل من الذين يكادون يسمطون بالذين يتلون عليهم
آيات الله لانه سطا بالفعل .

الفرق ظاهر لمن تأمل قليلا فان هذا الرجل لم يزل في دور التأسيس وهو
رجل ذو همة عالية يريد أن يتغلب على جميع الطريقين ويكاثر بهم ، بالمشاركين
به المشتركين في ورده ١٠٠ وله بناحيته منافسون أشد منه قوة وابعد
صيتا ، ولم يقو عليهم لان لهم سلفا قد عم ذكرهم وطار صيتهم ، فمعاصروه
متسلون عما أصابهم بانقياد العامة لهم والتفافهم حولهم، ولم يجد هو ما يتسلى به
لحدوثة وضعف سمعته ، فاثرت فيه مقالات (بيضاوي) على لطافتها ونزاهة
الفاظها، وليس ذلك بفريب فقد قيل قديما «خطرات التسميم تجرح خديه»(4).

(3) قبل الاعتداء عن ابن باديس اعتدوا على محرر « النجاح » وعلى حسين
الجزيري صاحب « التديم » بتونس .
(4) تمام البيت : ولمس الحرب يدمى بنانه .

هذه آراء ظهرت لى أدينيها ، ولم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضره ، وسواء كانت المسؤولية عليه أم لم تكن ، افلا يكون حظ منها لناشر دعوته ومزكيه ومزكى اتباعه الامام الخطيب ؟٠٠

من الحيف أن نحرمة حقه من هذه المسؤولية وهو الذى شهد لهذه الطائفة بالولاية التى لا يلحق صاحبها خوف ولا حزن ولشيخها بالخصوص ، فانه اذا تكلم مع رئيس الجمهورية فمن دونه شفى العليل وأزال الغليل (5) .

فمن تخاف هذه الطائفة ؟ أمن الله وهى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ أم من الدولة وشيخها محام كبير وسياسى خطير وخطيب قدير ؟٠٠

لا ، لا = دع عنك -- أيها القلم -- الهزل وتتبع مسالك الكتابة فليس الموضوع لذلك . أن المقام مقام جد ، فخطيب الشيخ الزواوى ، وكل منتسب للعلم خطابا جديا واستحقهم للانحداد امام هذا الحادث المؤلم المزرى بسعة الامة الجزائرية عموما والطرفيين خصوصا .

ليبد كل جزائرى مقدرته العلمية وشجاعته الادبية سواء فى ذلك الاصلاحيون والطرفيون والمحايرون -- وليظهر غيرته على العلم وأهله وليعلن باستيائه من هذه المعاملة العليوية ٠٠ -- ولا اصفها باكثر من ذلك -- عاضدوا العلم ومن يسهر على سعادتك ، وعارضوا الجهل والهمجية ومن يريد أن يركس الجزائر فى حضيض الشقاوة باعتدائه على علمائها المبرزين .

ليس هذا الحادث من نمط الحوادث التى يمر بها القارىء مرور مستطلع للاخبار ، بل هو حادث غريب مزعج -- للعالم والجاهل سواء -- يقرؤه القارىء بامتعاض وتعجب واستغراب ، ويقرأ فيه الوحشية والخبث الاسود .

ان من يمسك قلمه عن الخوض فى هذا الموضوع فليوطن نفسه للذل وليصبر لمثلها فكان قد ٠٠٠

وعلى الحكومة الا تنظر الى هذه الجناية نظرها الى سائر الجنايات الشخصية ، بل الى جناية حزبية من قوم فوضويين لا يرون الا حزبهم فى

(5) هذا ما جاء عنه فى مقال للشيخ أبى يعلى خطيب جامع سيدى رمضان .



الشيخ مبارك الميلي

الوجود ، يريدون ان يخفتوا كل صوت يعارضهم ، ويتغلبوا - بجرائمهم
الوحشية - على من لم يحدد سيرتهم ويسلك طريقهم ، يريدون ان يسكتوا
من اباحت لهم الدولة الكلام ويهتكوا لبلوغ ارادتهم - حجاب الامن العام .

أما انت أيها الاستاذ العظيم والمرشد الحكيم عدتنا العلمية وعمدتنا
الاصلاحية فليس عليك ازاء هذا الاعتداء من غضاضة وما بك من عيب سوى
انك داع الى الحق ، وناصر للدين ، ومحارب للبدع والخرافات .

امتحنك الله في جهادك ، وبلاك في صبرك وثباتك بهذا الشقى الغر ،
ونحن لا نجهل خطر هذا السبيل :

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا (6)
ولا نجهل ان اعتداء السفلة اللثام رفعة لشأن المعتدى عليه في الدنيا ،
وتضعيف لمثوبته في الآخرة .

وكأين قبلك ممن أودوا في سبيل الله ، ولكن مع هذا كله لا نرضى أن يمس
شخصك المحترم بسوء ، ونفديه بأنفسنا وأعز عزيز علينا ، لا خدمة لشخصك
ولكن خدمة للامة الجزائرية ، فان في حياتك وطول بنائك سعادتها بما تبث
في شعبها من روح العلم الصحيح ، والعمل الثابت . « **بيضاوي** »

(6) هذا البيت من شعر الخنساء رضى الله عنها .

الفصل الثانى :

شلت يد المجاني :

هذه كلمة - ضمنها قصيدة شعرية - دبحها يراع الشاعر الكبير والوطنى
الغيور الاستاذ رمضان حمود رحمه الله ، وقد كان هذا المفكر الكبير من
أحذق رجال الجزائر واخلصهم ، ومن كتاب الشهاب وادبائه النابهين ، وقد
اغتالته المنية وهو فى عز شبابه فكانت وفاته خسارة عظمت على الوطن .
لما بلغه نبأ الفاجعة الاليمة كتب كلمة نثرية ، ضمنها قصيدة شعرية ،
ونحن ننشر فى قسم النشر كملته ، وننشر فى قسم الشعر قصيدته ، ونشرت
الكلمة والقصيدة فى العدد 78 من الشهاب الصادر فى 2 رجب 1345 هـ -
6 يناير 1927 م .

قال رحمه الله :

« سمعنا - وما أهول ما سمعنا - أنه وقع سطو فظيع على الاستاذ الالمى
عبد الحميد بن باديس من جانب بعض الاوباش المتمردين الذين لا يخلو منهم
بلد . ومن حسن الحظ - والحمد لله - ان كانت الضربة خفيفة ، وما كدنا
نسمع هذا الخبر الاليم حتى امتلأت قلوبنا حزنا وافئدتنا كآبة وألما لما أصاب
شقيقنا فى الوطنية والدين ، فحينئذ من اللازم بل هو الغرض ابداء هذا
للأحاساس الخالص نحو شخصه الكريم ، وكل من يمجّد حياة الجزائر الفتاة
ويعرف قدر العظماء حتى تجتمع آلامنا وافراحنا على صعيد واحد . ولم أحن
عليه لصداقة بيننا أو لغرض شخصى ما ، لاننى لم اجتمع به قط ولا رأيته
أبدا ، وانما سمعنا ووجدنا فيه - وفى الشهاب دليلنا - وطنية صادقة ،
وغيره دينية ، وصراحة فى القول ، وهى خصال خليقة بان تحبب الرجال الى
الرجال (ثم تاتى القصيدة بعدها الختام) .

« وفى الختام أسأل الله لك العافية والشفاء ، وان يجعل هاته المصيبة
آخر مصائبك ، بل لا أقول هكذا ، لان من كان فى رتبته فلا بد ان يلاقى من
الاهوال ما تشيب له رؤوس الصبيان ، ولكن أقول :

اللهم انا لا نسالك رد القضاء ولكن نسالك اللطف فيه .

(وادى ميزاب)

رمضان حمود

الفصل الثالث :

الشيخ العقبي والشهاب وحادثة الفتك :

عتاب مر على استعمال الدين

كان الشيخ الطيب العقبي رحمه الله - من الذين كتبوا عن حادثة محاولة الفتك بالاستاذ ابن باديس ، نشرنا وشعرا .

وقد كان أحد اقطاب الحركة الاصلاحية ، وكتابها النابيين ، وكان يميل في أسلوبه الى الشدة والعنف والصراحة المريرة، بينما كان الشيخ عبد الحميد ابن باديس يجنح - نوعا ما - الى الاخذ بالرفق واللين والدعوة بالتي هي احسن ، ويعز عليه ما وصلت اليه الحال بين كتاب الطرفين ، وبعد 18 عددا من المنتقد ومثلها من الشهاب نشر الاستاذ ابن باديس في عدد الشهاب 19 مقالا تحت عنوان (في سبيل الوفاق والتفاهم) قال عنه ابن باديس - في عدد 75 (اردنا به جمع الكتاب على نقطة خاصة من الاصلاح وايقاف ذلك التيار القوى من الكتابة الاصلاحية) . ولكن هذه الدعوة لم ترق لبعض الكتاب ، وعلى رأسهم - فيما يقول الشهاب - العلامة المصلح الشيخ العقبي لانه عدده تحجيرا تاما ومنعا صريحا لكل كتابة في الاصلاح الديني أو ما حام حوله ، وبقي الاستاذ العقبي مصرا على المقاطعة والامتناع التام عن الكتابة ، ولم يقتنع بما ذكره الشهاب من مبررات ، فاضطر الشهاب الى زيادة بيان في مقال آخر نشره تحت عنوان (في سبيل الدعوة والارشاد) ودعا الكتاب المصلحين الى العودة (للكتابة في نقد الدجل والدجالين وانه لم - ولن - يحجر على الكتاب الخوض في نقد أعمال الطريقين ، وانما أوقفنا ذلك التيار القوى حيث رأينا انه بلغ حده ووصل الى منتهاه) .

ولكن هذا البيان لم يكن كافيا لارضاء الشيخ العقبي الذي بلغ به الغضب أشده حتى جاء هذا العدد - 75 من الشهاب - بعد الاعتداء على الاستاذ - فصرح انه يعيد الحرية الى الكتاب ، وصرح باسم الشيخ العقبي : لانه - أى العقبي - لم يرهما كافية - كفاية تامة - وصريحة صراحة حقه أى رفع مقال - فى سبيل الوفاق والتفاهم - ثم اعلن الشهاب (ونحن نؤكد لحضرته ولكل من كان على شاكلته اننا أضربنا على ذلك المقال الذى زال بزوال ما اقتضاه من الاحوال ورجعنا الى خطتنا القديمة ٠٠٠) .

وقد كان لهذه الكلمة - المبيحة للعودة الى العنف فى القول بعد أن اباح غيرهم استعمال العنف ومحاولة الفتك - كان لها اثر كبير على الشيخ العقبي فنشر مقالا عنوانه: أما الآن فنعم . وقد وجب الرجوع (وبين فيه مقدار ما وصل اليه سوء التفاهم مع ادارة الشهاب ، وما جرى بينه وبينها من كلام مر شديد ، ود لو اطلع عليه الكتاب والقراء وصرح فيه « ان هذا من الشهاب يعد رفعا لقانون ثقيل ، وعد اباحة الرجوع الى العنف (تحريريا للكتاب ، كتاب الشهاب برفع قانون (فى سبيل الوفاق والتفاهم) ذلك القانون الثقيل - وضعا وطبعيا - الذى كان من حين صدوره فى العدد 19 من الشهاب حجر عثرة فى طرائقنا فحال بيننا وبين الكتابة بجريدتنا - كما قالوا - كل هذه المدة الطويلة ، وبالحق كان غلا ثقيلا للأيدي والاعناق ، وبلاء شديدا لا يحتمل ولا يطاق ٠٠٠ ولا اكنتم اخوانى القراء اننى من يوم صدور ذلك القانون عقدت النية وعزمت عزما باتا الا أكتب كلمة واحدة بجريدة تستبد ادارتها كل هذا الاستبداد وتقيد كتابها الاحرار - من يوم خلقوا - بمثل تلك القيود والاغلال . وما كنت لارضى - ولن أرضى أبدا - باعطاء أهل الطرق وارباب الزوايا مثل هذه الامتيازات المجحفة بحقوقنا - معشر الكاتبيين - ولست بالناسي قط ما دار بينى وبين ادارة الشهاب من المفاوضات الطويلة العريضة فى هذا الشأن وكم كان كلامى معها مرا وشديدا جدا ولذلك كنتمته عن القراء ، وظل عندها سرا مختفيا الى اليوم وبعد اليوم ٠٠٠ ولقد كنت أفرح كثيرا وأسر جدا لو اطلع عليه كل اخوانى كتاب الشهاب وقرائه الادباء ، ولكن مضى ما مضى ودار الفلك » . وقد نشر هذا المقال فى عدد 78 من الشهاب وختمه بآلمه لما أصاب الاستاذ ابن باديس فقال :

(اما الحادث الاليم الذى ادهشنا وقعه ونزل علينا نزول الصاعقة حتى
أنا لم نطق ذكره فهو خبر السطو الواقع على الاستاذ الشيخ عبد الحميد
ابن باديس ، ذلك السطو الذى حسبته (جميعته التآمر بقتل العلماء والفتك
بهم) يقضى على مشروع الاصلاحيين ، فساء فالها ، وخابت آمالها ، وتلك عاقبة
الظالمين . وان لى فى هذا الموضوع كلمة حارة اقذف بها الى لصوص الطريقين
فلينتظرها القراء فى العدد المقبل ، وما العدد المقبل ببعيد) ثم جاء المقال
بعنوان :

جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم :

أطريقة تلك أم عصابة أوباش ولصوص ؟

أين الحكومة لتحفظ النظام ؟

« والقارىء الكريم يدرك عنف أسلوب الشيخ العقبي من نفس هذا العنوان ،
واستعماله لألفاظ ربما كان مبالغاً فى استعمالها آنذاك ، واعتماده مبدئياً على
(الحكومة) لحفظ النظام ، وهى التى كانت حريصة على زرع الجهالة والفوضى
بين المسلمين واحياء الاحقاد والخصام والتنازع الذى تجرأ ابن باديس على
محاولة اطفائه تهيئة الحق للتفاهم والوافق » .

قال الشيخ العقبي : فى الشهاب عدد 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ -
20 يناير 1927 م : « اخجل ورب الكعبة أن أصف طريقة تنتسب الى الاسلام ،
ويدعى اشياخها - بل كل أفرادها - السلوك والوصول الى الله . . . اخجل
- ومن صورنى كيف شاء - أن أصف طريقة كهذه بالتآمر على قتل العلماء
والفتك بهم ، ويعزى على جدا ان تنتهك حرمة الدين ، ويمتهن كرامة العلماء
بواسطة من هم من هؤلاء ، وأرى من الصعب البعيد جدا ان يتعاطى هذه
المهنة - مهنة السطو والقتل - غير عصابة لصوص واوباش (1) ، وما كنت
لاصدق ولا ليدور بخلدى وفكرى ان يقدم على ارتكاب هذه الاعمال البالغة الى
حد النهاية فى القبح والفظاظة - اناس انتسبوا الى دين الاسلام الذى يقول :

(1) اوباش : جمع وبش ، سفلة الناس وأخلاقهم .

« ولا تقتلوا النفس التي حَرَّمَ اللهُ الا بالحق » - وتسموا - زيادة على هذا الانتساب - باسم الصالحين ، السالكين ، الواصلين . وما كنت أدري ولا أفهم من لفظ الصالحين انهم هم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ويسفكون الدماء - حتى دماء العلماء العاملين - ولا يرعون ولا يتخرجون ، ولا فهمت - قط - قبل اليوم - ان السالكين هم الذين سلكوا الى ارتكاب هذه العظائم من أقرب أبوابها

كما اني ما علمت - فيما مضى - ان الواصلين هم الذين وصلوا في الوقاحة وقلة الدين والحياء وعدم الخوف من خالق الأرض والسماء الى هذا الحد وهذه الدرجة ! فرحماءك اللهم بالأمة التي انعكس في نظرها معنى الحق والحقيقة ، فسمت العبث بالدين وارتكاب الفظائع والجرائم التي تأنيتها وترتكبها في اليوم وفي الليلة المرة والمرات طريقة ويا لها من طريقة ! نعم هي طريقة ولكن لمن يفهم اسرارها ويحل معمياتهم وألغازها ، ويعرف علم (القوم)

هذا واني الى اليوم وساعة كتابة هذه الأسطر لا يكاد يسلم عقلي بوجود هذه العصابة وفي البلاد حكومة تعمل لمصلحة المحكومين ، وتحافظ على الأمن والنظام العام ! اذن فما هذا الحادث الأليم الذي طرق الأسماع نبأه، وتكرر مرات عديدة في جهات من هذه العصابة وقوعه ؟ لا أدري - وان كنت أعلم يقينا بانني لا أدري ؟ . . . سطر على عالم جزائري كبير ، ورجل من الرجال الاصلاح خطير .

حادث أليم مؤسف ومضحك مبك في آن واحد ، نبأ من الغرابة بمكان ما كانت تصدق عقولنا لولا انه كان ، و « ليس في الامكان أبدع مما كان » .

صوفية مسلمون يفتكون بحملة شريعة محمدية ، ودعاة الناس الى الخير ! أهل طريقة يحاولون إقناع الأمة جمعاء ويريدون إفهامها ما هي طريقهم وكيف سلوكها - بمثل ما رأينا وما سمعنا من هذه الجرائم والفظائع الجديدة العصرية، فهل بعد هذا الإفهام من إفهام ؟ . . . فلينتبه بهذا الغافلون النيام ! وهل تستحق من اسم تمتاز به عن غيرها غير ذلك الاسم الذي جادبه عليها صاحب



الشيخ الطيب العقبي

جريدة « النديم » حيث سماها (طريقة الدبوس) رضى الله عنك يا نديم (2) ، فانك فى هذه وامثالها زعيم ، وكفى بك لارباب طرق الضلال من عدو قديم .
لعل - وأحسب انى صادق - لم أستعظم قط فى الحوادث التى سمعتها ، والانبياء التى مرت على أذنى حادثا كهذا ، ونبأ أزعجنى مثل هذا النبأ العظيم الاليم نبأ السطو على هذا العالم المصلح المرشد ، ممن ؟ من أفراد طريقة من أهل التصوف أو التصوف - كما قالوا - لتوافق القول المعروف عندهم .

يا للفضيحة ويا للعار ! يا للخزى والشنار ! ألهذا تؤسس الطرق ؟ وبمثل هذه النتائج وهذه الثمرات تأتى الامة ؟ بلاء كبير ومقت أكبر ، ولكن ماذا نقول ؟ نقول « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر » لقد بدلت الأرض غير الأرض ، والامة غير الامة ، والطرق التى أسسها الصالحون الأولون غير الطرق وجاءت بغير ما يقصدون ، وأثمرت للامة بذرا غير النوع الذى زرعه !

رحم الله من حسنت نياتهم من الاولين وساء عمل القوم المفسدين من المتأخرين . ما كنا نظن - والله - ان تصل الحال بمتأخري الطريقين الى هذه الغاية المشؤومة ، ولا توهمنا سابقا ان تحكم طريقة - ولو كانت عصرية - على رجال العلم بمثل هذه الاحكام القاسية ، أحكام القتل والإعدام .

وهل تصدر مثل هذه الاحكام الكبيرة من طريقة دون موافقة رئيسها وصدور ارادته السنينة الى اتباعه الكرام البررة السالكين الخيرة الذين هم أطوع له من فعله وألزم له من ظله ؟ قد كنت أفهم احيانا ان رجال التصوف - أو أولياء الله الصالحين - هم أرق الناس قلوبا ، وأعظمهم مرحمة ، وحبا بالانسانية ، وأرسخهم ايمانا فى مذهب (السماح والعفو عن الناس) كيف وهم أهل التواضع وأهل النية ، ومن لا نية له فى تنفيذ ارادة شيخه (التى من جملتها العفو والتسامح) فليس من ذوى الصدق والاخلاص فى الطريقة . ولكن هل

(2) النديم جريدة أسبوعية فكاهية خفيفة الظل كانت تصدر فى أربع صفحات فقط ، مساء الخميس ، وكان لها رواج كبير فى تونس والجزائر ، يصدرها الكاتب المبدع والشاعر المقتدر حسين الجزيرى رحمه الله ، وله نقداً لاذعة على الاحداث والاشخاص ، يرسلها نظما ونثرا ، وقد عطل الجريدة لما اعلنت الحرب العالمية الثانية ثم ترك الصحافة وقبل حياة الوظيفة لان الصحافة لم تضمن له حياة هنيئة ، وذلك سنة 1939 م .

يصح لى هذا الفهم الآن ؟ وهل فى الامة من يفهم كفهى حتى بعد وقوع هذا الحادث الذى أيقظ النائمين ، ونبه كل الغافلين ؟ تالله ان مثل هذا ليوجب الحيرة والشك (فى كل ما سواه) ويجعل العاقل البصير يتردد فى الحكم على هؤلاء القوم بأنهم ممن تصح نسبتهم الى بنى البشر - فضلا عن الدين ، فضلا عن أهل الاخلاق الفاضلة الذين سماهم بعض الاقدمين «صوفية» ما عمل القوم على بنى البشر ، ولا وقفوا عند حد ما أمر به الدين ، ولا تخلقوا باخلاق أهل التصوف وتأدبوا بآدابهم ، فهل هم بعد هذا كله - أولياء الله صالحون ؟

وماذا عمل عبد الحميد ابن باديس وماذا جنى ؟ ٠٠٩ تعلم العلم ورحل فى طلبه الى تونس ورجع الى وطنه مصلحا ومرشدا ، أنبت لنا فى هذه الناحية نشأ جديدا ، فنبت نباتا حسنا ، أسس لنا جريدة دينية أكثر منها سياسية (نتقد بعض كتابها نقدا علميا بعض الطرق فلم يرضها كل ذلك وأخيرا حكمت محكمتها العليا) التى هى فوق الحكومات كلها) بالاعدام على هذا المشوش الكبير ، والرجل المخطر وجوده على جماعة الطريقين ومن يحميهم من اذناهم الانتقاميين .

هل نفذ حكم هذه المحكمة ٠٠! نعم ، ولكن لا على الوجه المطلوب حيث جاءت الاقدار فيه بعكس المراد ، ففاز عبد الحميد ونجا من براثن الموت (والموت خزيان ينظر) .

كيف كان ذلك التنفيذ ؟ وكيف جاء على عكس المراد ٠٠! تقرب أحد شبان هذه الطريقة (الفدائية) الى الله باجراء هذه العملية وتنفيذ هذا الحكم القاسى ابتغاء مرضاة الشيخ ونصرة لحزبه وطريقه ، وقد كان يعتقد بالنية أنه لو تم له ما أراد يدخل الجنة بسلام اذ الضمان فى ذلك على الشيخ ، ولكن كان من أمره ما قصته علينا جريدة الشهاب، فثبت أجر هذا المتطوع عند الشيخ على كل حال ، وانما الأعمال بالنيات ، فماذا يقول المسلمون فى هذه الطريقة بعد اليوم ٠٠؟ بل ماذا يقول الناس وبماذا يحكمون ؟ وقد وقع ما وقع وصار ما صار - وهل هم متكلمون أم سيبقى الجميع وهم صامتون ٠٠؟ (أما أنا فقد تكلمت) وماذا تكون هذه الطريقة اذن فهل هى الحكومة القوية المسيطرة على الشعب كله التى لا يرضيها عمل عبد الحميد ومن على مذهب عبد الحميد؟

أم هي طريقة ربانية ومؤسسة تهذيبية دينية ٠٠؟ وهل حياة العلماء الكبار والصغار وحياة الكتاب الاحرار ليست في خطر بعد اليوم ؟

بل هل حياة كل فرنساوى وكل يهودى بل وكل رجل فى الحكومة نفسها اذا كان لا يعجبه ولا يروق لديه سلوك هذه المؤسسة ويجب ان ينتقدها انتقادا حرا هل حياة كل هؤلاء من الناس مؤمنة محفوظة (3) أم الخطر كل الخطر والويل كل الويل عن من تكلم ضد هذه الطريقة العصرية الجديدة ؟ كل هذه الاسئلة نود الجواب عليها من رجال الحل والعقد (4) العالمين بدخائل هذه الجمعية (المباركة) والمطلعين على سنتها الغيبية وأسرارها الخفية والا فما معنى وجودهم بهذه البلاد وهم عباد امثالنا . فهل تنتبه الحكومة الى ما فى هذه الجمعية الجريئة وامثالها من الخطر على الامن العام (3) ؟ واطنهما لو تدخلت فى شؤون هؤلاء القوم بالضرب على ايديهم وتطهير البلاد منهم لما كان وقع منهم مثل ما وقع ، وليس التدخل فى شؤون هؤلاء الناس عنسدى - من باب التدخل فى أمر الدين الذى تتباعد عنه سياسة الحكومة وتاباه (3) . ولتعلم الحكومة وكل العقلاء من سائر الناس ان دين الاسلام برىء من هذه الطرق الفتاكة الجريئة على الظلم واغتتيال النفوس .

واعتقادى الصميم ان كل علماء الاسلام شرقا وغربا - اذا خلوا من الغرض والالتصاق بهذه الجماعة - يفتون بما قلته ويصرحون ٠٠٠ وحسب الحكومة العاقلة الرشيدة ان تنظر نظرا بسيطا الى اصول ما جاء به الاسلام فتعلم صحة هذه الفتوى ٠٠٠

يحزننى جدا ، وآسف كثيرا ان تكون اول كتابة فى جريدة (الشهاب) بعد ان مضت كل هذه الفترة ونمت عن الكتابة بها كل هذه المدة الطويلة (5) ضد طريقة يقال لها طريقة ابن عليوة ، وما كنت لاحب التصريح باسم زاوية

(3) مثل هذه الفقر لا يمكن ان يرضاها ابن باديس وفى كتاباته ما يدل على ذلك .

(4) شكوى الجريح الى الغربان والرخم !
(5) كان الشيخ العقبى قد غضب على الشهاب وقاطع الكتابة فيه ؛ لان الشهاب دعا الى التفاهم والوثام بين الطرفين . وقاطع الكتابة أكثر من عام - منذ العدد 19 حتى العدد 78 وقد مر النص على ذلك .

بعينها ، أو طريقة بخصوصها ، أو انسان بشخصه ، ولكن الضرورة الجأتني لهذا ، وقبح الله ضرورة كهذه ...

قرأت في العدد 75 من الشهاب خبر الحادث الاليم ، وجاء في العدد الذي جاء بعده تفصيل هذا الحادث المؤلم المؤسف ، المبكى المحزن المقلق المشجى ... الخ ، حادث السطو على الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، فهالني عند أول وهلة ما قرأت ، وكدت لا اصدق الخبر لولا انه جاء في جريدة يقوم بإدارتها العليا نفس من وقع عليه حادث الاعتداء ، تواترت الاخبار بعد ذلك ، وكتبت الجزائد كلها في هذا الموضوع ما كتبته ، فأما بوقوع ما وقع وصدقنا والله الامر من قبل ومن بعد . مسكين عبد الحميد بن باديس ! ومسكين القابض على دينه في هذا الزمان ! ومسكين من يحاول اصلاح أمة هذا شأنها وهذه افعالها مع علمائها الشرعيين ! مسكين ، مسكين من هو مثلي ومثل عبد الحميد بن باديس اليوم ! ! ظالم وملعون من اعتدى على عبد الحميد ابن باديس ، ومجرم كبير من حاول بالقضاء عليه القضاء على مشروعه الاصلاحى العظيم ...

أيدرى المعتدى على من سطوا ومن حاول الفتك؟ لا يدرى!! ومن لى بأن يدرى بأنه لا يدرى!! ما سطوت يا هذا المجرم الاثيم على عبد الحميد بن باديس وحده ولكنك سطوت على الفضيلة كلها ، والامة الاسلامية جمعاء . وما حاولت اغتيال نفس واحدة ولكنك أردت ان تقضى على نفس تحى بها الناس جمعاء .. وتالله لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا روى الغنم (6) وسولت نفسك الشريرة الامارة قتل عبد الحميد ، بل قتل البقية الباقية بهذه البلاد من دين الاسلام المطهر من كل الارجاس والاخبث فسحقا لك يا عدو العلم والدين سحقا ! وبعدا لك ولقومك ومن على شاكلتك بعدا ! بل تعسا لكم تعسا ، وتبا

(6) هذه الكلمة آخر ما نطق به أبو جهل - أخزاه الله - عندما وطئ عنقه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وهو يقول له : وهل أخزأك الله يا عدو الله ؟ وفيها تحقير لعبد الله ، وتعيير له برعى الغنم ولا يستحق هذا المجرم الاثيم أن يوجه له ما وجه لعبد الله بن مسعود ، وأرى أن الشيخ العقبي ما كان حريا به أن يستعمل مثل هذا التعبير أصلا حتى لا يتوارد مع أبى جهل على قول واحد .

لك ولهم سائر اليوم تبا (7) اما سمعت أنت واشياخك ان القوم الذين قبح القرآن سيرتهم وقص علينا نبأ عملهم الفظيع قال فى حقهم : « يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا » فهل أفهمك أحد أشياخك فى درسه يوما ما أن معنى كاد المقاربة ؟ ، وان القوم المذكورين بهذه المخزية الشنعاء قاربوا السطو وما فعلوه ، أما أنت أيها المجرم الكبير (ومغريك فى الاجرام أكبر) فقد سبقت هؤلاء شوطا بعيدا فسطوت بعبد الحميد الذى خرج من درس كان يفسر به القرآن الكريم ، ويبين للناس ما نزل اليهم ، ويتلو عليك وعليهم الآيات البينات) سطوت عليه – يا عدو الله وعدو نفسك والمؤمنين – بالفعل ، وتقدمت يا غليظ الرقبة وقاسى القلب لتقضى عليه وتنهب من بين جنبه تلك الروح الطاهرة الزكية ، وتفجع الامة بقتل ذلك الشعور الشريف والاحساس الحى ! .. وقد قالوا ان ادارتكم العليا هى التى عهدت اليكم بقضاء هذه المهمة وأخذ عليك العهد فيها ، وأوصاك وأعانك على ذلك قوم آخرون ... وقد كدتم تؤدون مأموريتم ، وما تأمرت عليه جمعيتكم السرية أو طريقتكم العلوية تلك الطريقة التى لم ندر ما الغاية من تأسيسها ، سيما وقد تظاهرت بهذه المظاهر : مظاهر قتل العلماء ، واغتيال النفوس الابرياء ؟

أردتم وأراد شيخكم قتل هذا المصلح الفذ والعلامة الذى ما انجبت الجزائر – منذ احقاب – مثله الا قليلا ، والامة فى أشد حالات احتياجها اليه ، وقد كنتم تفرحون (كما فرح سفهاء الطريقين بضربه) لو مات ضحية جهلكم ، ولكن الله سلم ، فبؤتم أوباء ، كبيركم الذى علمكم طريقة القتل والاغتيال – بخزى أبدي ولعن قد سجلته عليكم يد التاريخ ... ولو قدر الله على عبد الحميد ومات جزاء اعتدائكم لكنتم كلكم بجريرة هذه الروح الطيبة الطاهرة مأخوذين وبها (وكما هو الحكم الشرعى ، مقتولين ، ولكن انى لكم – وللطريقين امثالكم ان تبؤوا بشسع النعل التى فى رجل عبد الحميد (8)

(7) وهذه العبارة أيضا استعملها أبو لهب ، ونحن فى غنى عنها .
(8) وهذا أيضا تعبير جاهل ، فان مهلهلا لما قتل ظلما بجير بين الحارث بن عباد قال له بؤ بشسع نعل كليب ، وكان الحارث بن عباد قد وجه ابنه حتى اذا قتله رضى فأخذ ثاره وكف عن حربه فلما بلغه هذا من فعل وقول مهلهل شمر للحرب – بعد ان اعتزلها – وترجحت كفة قومه به فانتصروا ، وقال فى قصيدة له (ان بوء الكريم بالشسع غال) . وحكم الشريعة ان المسلمين تنكفؤ دماؤهم) وقد أكد هذا الحكم على بن أبى طالب فى وصيته لاهله عندما ضرب – مثل هذا التعبير من الشيخ هفوة فيما أرى ان اعتبرهم مسلمين ...

ولا أظن أسيماخكم يجهلون قول الخليفة الراشد : لو اشترك فيها أهل صنعاء
كلهم لقتلنهم بها (9) .

الهذا استستم طرقكم أيها الطريقيون ؟ المثل هذه البضائع والجرائم تسرون
وتقرحون ؟ وتقولون ان رجال الغيب أولياء الله ، تصرفوا في عبد الحميد
(دقوه فقسوا فيه) (10) ، والحال انكم انتم المتصرفون والعاقلون ؟ أهذه
هى طرق تصرفاتكم فى الكون ؟ أنتم السالكون المسلكون والمرشدون
والواصلون ؟ بربكم قولوا لنا من اجاز مثل هذا فى دين انتم اليه منتسبون ؟
أشريعة الاسلام هى التى أمرتكم بها ؟ أم هو من أفك طرقكم الذى تأفكون ؟
الابنيسما يعملون وساء ما به على العلماء تحكمون . . . بالامس سطوتم على
(حسين الجزيرى) صاحب جريدة النديم كما سطوتم على صاحب جريدة
(النجاح) (11) ، وجئتم فى نادىكم المنكر مرتين ، وما كادت الامة تنسى أو
تتناسى أبناء سطوكم (وما بالعهد من قدم) على ارتكاب كل هذه الجرائم
وقيامكم فى الكون بهذا التصرف والتصرف أيها الاولياء الصالحون .

أعلمتم ان كل الناس تتألم من أعمالكم وتتساءل وتقول : أ طريقة تلك
أم جمعية انتمار بقتل العلماء العاملين ؟ هل رضيتم ورضى عنكم شيخكم بعد
ان أصبحتم أكبر جمعية فى القطر يخشى الناس شرها ويشار اليها بالايدي
والارجل كما يشار الى غيرها بالاصابع والبنان ! هل اعتقدتم يا رجال الدين
ان حكومة فرنسا اللادينية حكومة العدل وحفظ النظام والحرية سترضى بان
تكون حياة جماعة الطريقين (وهم الذين تبرأ من أعمالهم القبيحة وفضائحهم
الشنيعية الانسانية وكل عقلاء الجنة والناس والملائكة) محفوظة مصونة ، وحياة
العلماء المصلحين (وهم الذين ينشرون افكارهم الحرة ويبرهنون على صحتها بالحجة
والدليل لا يرهقون الناس على قبولها ولا يلزمونهم بها الزاما) فى خطر وعرضة
لنهب الجاهلين ، ذلك ما لا يعتقده عاقل ، ولا نظن حكومة فرنسا توافق
عليه يوما أو ترضاه . . . والذى يليق بنا اعتقاده فى جانب هذه الحكومة
الانسانية المحضة هى ان تنهض بعزيمة ونشاط فى مقاومتكم .

(9) هو من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(10) تعبير عامى شائع معناه انهم انتقموا منه واصابوه بشر ، ودق الشئ
كسره وفقس البيضة كسرها وفلقها بيده .
(11) جريدة النجاح قد تابت وانايت عن الانكار عليهم وشهدت لهم بالخير
فيما قبل وبعد .

يا هؤلاء المجرمون الجانون على العلم والحرية وعلى الانسانية جمعاء ، فقد كشفت لها هذه الجرائم عن نياتكم ومخبوء ضمائركم وطيائركم ، وما أمر استغلالكم للجمهور وتجهيلكم للامة وذهابكم فى الغباوة والقائكم لها فى الهوة السحيقة (هوة البؤس والفقر المدقع) بعد نزفكم لاموالها ، وامتصاصكم لدمائها - فى مثل هذه السنين الشديدة والأيام العصيبة - ما أمر كل ذلك عن الحكومة (لو نظرت فى حالكم أيها الجنة بعين الاهتمام واليقظة) بخاف ولا بعيد (12) .

والامر الآن الذى يجب ان انبه اليه الحكومة - بمناسبة هذه الحادثة الكارثة الفاجعة المؤلمة - هو ان تمنع النظر فى فهم تعاليم القوم وقوانينهم الخاصة بهم كقولهم : الشيخ الذى لا يعلم بحال مريده ، ولا يعلم حتى شعرات جسده لا يصلح ان يكون شيخا مربيا) ، وكقولهم (القطب أو الفوثن ينظر الى الدنيا كلها وما فى هذا العالم كمرآة فى كفه وهذا لا يؤودوه ولا يعجزه التصرف فى شؤون الكون) ، وكقولهم : (يجب على التلميذ ان يترك اختياره لاختيار الشيخ ويدع ارادته لارادة استاذه ومربيه ويجب عليه ان لا يعمل عملا الا بمشورته واذنه وان يكون فى كل عواطفه وحواسه وتصرفاته مستسلما للشيخ كالميت بين يدي غاسله) . . . الخ .

ما هو مسطور فى كتبهم ، ومعلوم عند الصغير والكبير منهم ، وماخوذ فيه العهد على كل من دخل طرقتهم .

ومن هذا النموذج الذى ذكرناه يمكن للحكومة ان تسلم يقينا وتجزم ان الطرقى لا يقوم بعمل قل أو جل (وخصوصا اذا كان من نوع ما وقع على عبد الحميد) الا باذن الشيخ وادارته وأخذ رأيه (تفصيلا فى المهم واجمالا فى غيره) قبل كل شئ ، وأقوى حجة أقدمها لها على هذا هذه الجمل من تعاليم

(12) نقلنا هذه الفقرات بنصها لان أمانة النقل تقتضيها ، ولانها تشرح نفسية الشيخ وحسن ظنه بفرنسا ، وهو ما كان يخالفه فيه اخوانه العلماء - وخصوصا ابن باديس - مما أدى به الى الخروج من الجمعية مستقيلا عام 1938 م بعد أن أبوا عليه تقديم شواهد الاخلاص . وهو ما أدى الى مقاطعته الشهاب مدة تزيد عن العام ، وكان يرى ان منطق الحرية فى الكلام ان يقول فى مقالاته كل ما يخطر بباله وكل شرور التخلف والفقر والبؤس والجهل فى الامة انما تحمله حكومة فرنسا وتحافظ عليه ، وهو يحاول تبرئتها . . . واستسلام المريد للشيخ مثل هذا الاستسلام المطلق الذى بينه العقبى هو ما تريده فرنسا لتسخر الشعب بواسطة المشائخ .

أهل الطرق المصطلح عليها عندهم ، والمتفقون كلهم (بالاجتماع) فيها .
وما هذه الجمل الا قليل من تعاليم كثيرة يعبرون عنها ، ويسمونها بعلم
القوم ، ويا لهم من « قوم » (13) .

وأرى من الواجب على الحكمة التي ستتولى الفصل في هذه النازلة ان
تفهم جيدا معنى هذه الجمل في اصطلاحات وعلم القوم حتى تحكم في المسألة
عن خبرة وبصيرة . . .

أما قراء الشهاب فقد حكموا لاول وهلة وعرفوا من هو الجاني الحقيقي
والمجرم الاول المرتكب لهذه الجناية ، وما بقى على رجال الحكومة الا ان ينظروا
الى هذه الحيشيات ويفهموها ، ولها - اذا عيشت عليها الانباء في هذا
الخصوص - ان تسأل أى فرد من اتباع هذه الطريق : هل شيخه من المرابين
المرشدين ؟ هل هو قطب أو غوث ؟ هل يعلم أحوال مريده ؟ ولو كان بعيدا
عنه ؟ هل المرید مستسلم له بنية ذلك الاستسلام وهو دائما في كل أحواله
معه كاليت بين يدي غاسله ؟ الخ ، الخ ؟

كل ذلك اذا سألت عنه يكون جوابها - بلا شك وبلا تردد - بالايجاب ،
والتلميذ لولا اعتقاده في شيخه اكثر من كل هذا لما كان ينقاد اليه ذلك
الانقياد ويلقى اليه في كل شؤونه بالقياد ، وقد نراه يقدم له اعظم عزيز
عنده وأكبر شئ يغار عليه كزوجته وبنته البالغ البكر وهلم جرا - وهل كان
ذلك الا بنية الانقياد وعظيم الاعتقاد في الشيخ ؟ (14) .

فمن هو المسؤول عن هذه الجناية وامثالها ومن هو المؤاخذ بها يا ترى ؟ ؟
نعم يمكن للشيخ ابن عليوة واتباعه العقلاء (ان كان هناك اتباع للحديث
يفهمون ، ولما نقوله يعقلون) ان يعلنوا بواسطة الجرائد براءتهم من أعمال
هؤلاء الجناة المعتدين ، وطردهم واخراجهم عن طريقتهم وحزبهم ، ويلعنونهم
على رؤوس الاشهاد كما « **لُعِنَ الدِّينُ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** » .

(13) تحميل الشيخ ابن عليوة نفسه مسؤولية الجريمة شخصا استبعده
ابن باديس ، وتحميله للطائفة ثابت مؤكد ولكن من فعل ؟ الله اعلم .
(14) قد يزوج الرجل ابنته البكر لشيخه دون ان يكلفه مهرا كبيرا بل ربما
جهز ماله من عنده أما ان يبيع له ابنته أو زوجته سفاحا فهذا مستبعد في
قومنا .

ولا أرى لهم من وسيلة تمحو وصمة هذا العار الكبير عن هذه الطريقة - بل عن كل الطرق - غير هذه ، والا فالجريمة بهم لاصقة لا محالة ، والتهمة عليهم متوجها وهم عما حدث مسؤولون ، وبه مؤاخذون ، لا سيما الشيخ ، وما ادراك ما الشيخ ؟ ٠٠٩ وانى اسأل هذا الشيخ نفسه بشرفه وانسانيته وايمانه بمعتقده ماذا يفعل رجل مثلى يكفر بكل هذه الطرق : طرق الفرقة والضلال (بل طرق القتل واغتيال النفوس) ويعتقد ان لا طرق فى الاسلام ؟.. ماذا يفعل رجل مثلى يعتقد ان طريق الاسلام واحدة ، هى صراط الله المستقيم الذى دعا الناس اليه بقوله : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » ؟

ماذا يفعل رجل اعتقد ان المسلمين كالجسد الواحد ، وآمن بقوله : « **انما المؤمنون إخوة** » ماذا يفعل رجل هذه عقائده ، وماذا أفعل أنا - والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق واجب ٠٠٩ ماذا أفعل ٠٠٩

أصرح بعقيدي ، وأجاهر برأى ومذهبى - وهو الكفر بكل الطسوق الباطلة فى الاسلام فيعاديى الطرقيون ويقتلونى ؟ أم اعتنق إحدى هذه الطرق - وأنا لها كاره - واتجنس بجنسيتها مخالفا لضميرى واعتقصادى ووجدانى - فأسلم من القتل ، فيقبلونى وربما عظمونى وأكرمونى ، ولكن بشرط أن أضل الناس وقد يضلونى ؟ أم اسكت عن التصريح بعقيدي وأنافق لاهل كل طريقة فاعيش عيشة الهوان والصغار والذل والاحتقار ، أشعر من نفسى ويشعر العقلاء العارفون معى بمذهب الذبذبة والحيرة ٠٠٩ قل لى بربك ، قل لى : هل على عبد الحميد - أو على أنا - من عار اذا أعلنت عقيدي وأبنت للناس فكرى ودينى كما أعلن الطرقيون أفكارهم وعقائدهم ودينهم الجديد لا بواسطة القول والكتابة والتأليف فحسب ، بل حتى بواسطة الغناء والتطليل والرقص والشطح الطويل ، ولم يكفهم لإظهارهم لكل ذلك حتى حملوا به أعلاما خفاقة على رؤوسهم يجمعون بها أمرهم ، ويعلنون لكل الناس شعائهم وما هم عليه ، ولم يخجلوا من ذلك ولا راقبوا الله فيه ولا استحووا لا منه ولا من خلقه ؟ أيفعل القوم كل هذه الافعال ويعلنون مذهبهم بمثل هذه الوسائل كلها ، ويتحدثون عن باطلهم ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم ولا هم - يجبون .

ويراد منا - نحن معشر العلماء - أو طلبة الظاهر على رأيكم ان نبقي متفرقين
غير مجتمعين ، ومتباعدين غير متجاورين ، وساكنتين عن التكلم بالحق غير
ناطقين ، ثم اذا نبس احدا بنبت شفة قتلتموه وضربتموه غير مشفقين ،
ولو أنصفتهم لقلت : « لكم دينكم ولي دين » ؟ !

كان الواجب على جماعة الطريقين أن يردوا على جماعة العلماء بالحجة
الواضحة والكتاب المنير . لا بالعصى والموسى وضرب الدفوف والمزامير . . .
نحن لا نحارب احدا من الطريقين بعصا ولا موسى ، ولا نضربهم بمديعة
ولا (دبوس) وانما نبين عقائدنا بالنطق واللسان والكتابة بالبنان ، ونحتج
لصحتها بالدليل والبرهان ، فهل هم فاعلون كما فعلنا ؟ وهل ينصفوننا كما
أنصفنا ؟ وقد علموا قوله عز وجل : « **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** » هذا اذا كنا
في نظرهم قد أسأنا ، وقد قرأوا قوله تعالى كما قرأنا : « **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** » اذا اعتقدوا ان بذلك وبه سلمنا .

انما كان الاليق والاولى بهم (ان كانوا مسلمين) ان يجازونا من جنس
ما أسأنا به اليهم ، وان يعتدوا علينا بمثل ما اعتدينا به عليهم ، فيبقى (الكلام
مع الكلام) والكتابة مع الكتابة ؟

ولكن ما لهم يعملون عمل الوحوش وشرار النفوس ، ويردون علينا
بالضرب بالموسى والدبوس ؟ !

ما هكذا - يا معشر الطريقين - تكون الدعاية ولا بهذه الوسائل تنشر
الطرق والمذاهب ، أحسبتم ان (القوة تغلب الحق) ، كما قالوا ؟ كلا وألف
من جنس كلا ! ان الحق قوة سماوية لن يغلبها في الدنيا غالب ، وان كثرت
العصى و (الدبابيس) والامواس واختلقت في مقاومتها المشارب ، فارجعوا
الى رشدكم ، وأنيبوا الى ربكم ، وتفكروا - ولو قليلا - فيما انتم فاعلون ،
لعلكم بعد التفكير والنظر الى طريق الحق تمتدنون .

هذه ملاحظتي ازاء هذه الحادثة ابديتها ، وكلمتي الحارة الى أهل تلك
الطرق (على قارعة) أرسلتها ، وانهم هم الذين أنطقني رماحهم (لا بل

سكاكينهم وعصيتهم) فنطقت وأساءوا الي وأساءوا الى الاسلام والمسلمين
فحزنت واستأت ، ولو عملوا صالحا يحمدون عليه لحمدتهم على ذلك وشكرت
ولكن أنى لهم ذلك ، وهم عن الحق معرضون ، وبالباطل والعبث مشغولون ،
« وسيعلم الدين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون » .

بسكرة - الطيب العقبي



الفصل الرابع :

الاعتداء على صاحب الشهاب :

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

« الشيخ أبو يعلى الزواوى امام مسجد سيدى رمضان بالقصبة من عاصمة الجزائر علامة من كبار علماء الجزائر الاحرار ، محقق ، شجاع سلفى العقيدة ، طبيب السريرة حميد السيرة ، بليغ القلم، سليم النية ، غر كريم، ينخدع بالمظاهر - لهذا سهل على بعضهم ان يغره بإرسال اللحن ، والاعلان بالقول بالتزام السنة ، والقيام بالأركان والذكر . فاغتر بهم ، وفتح لهم قلبه ومسجده و متن اتصاله بهم دون ان يبلغ درجة (المرید) ولكنه أثنى عليهم ، وكتب هذا الثناء فى صحافة الاصلاح وفى صحافتهم . فلما وقعت حادثة السطو على الاستاذ ابن باديس عاتبه إخوانه من كتاب الاصلاح والنهضة وحمله أخوه (بيضاوي) مسؤولية عظمى ، وجعله شريكا فى الدم المهرق ، وكذلك فعل كاتب مغربي عظيم . وكان قصد الشيخ مبارك الميلي (بيضاوي) إثارة الشيخ أبى يعلى ، ودفعه للتصريح واتخاذ موقف صحيح ، وهذا ما فعله أبو يعلى فى هذا المقال الأول، وقد جاء من بعده مقالات سيأتي كل فى مكانه -

والملاحظة أن أبا يعلى عين رئيسا للجنة الدائمة بعد تأسيس جمعية العلماء، وابتعاد عمر اسماعيل عنها، وبقي وفيما لمبدئه ، شجاعا فى مواقفه، عظيم النشاط فى أعماله وكتابته، وقد لقب - فى العلماء - بشيخ الشباب وشباب الشيوخ، وكان يمتاز بقلب سليم وشفقه وحنان على أمته، وكثيرا ما تسيل دمعته رحمة على البائسين» .

قال فى « الشهاب » عدد 81 وقد صدر يوم الخميس 23 رجب 1345 هـ - 27 يناير 1927 م : « لما كنت كثير الكتابة فى جريدة (الشهاب) الشاقب

وعرفت بظهر الغيب الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس المشرف على (الشهاب) . أنه قطب دائرتنا السلفية ، وانه من أسرة عريقة في المجد المؤثر ذات اماره وشهرة منذ تسعة قرون ونيف ، وكان من قضاء الله وقدره أن اعتدى عليه بعض الاوباش الحمقى الذين لا يتركون أديما صحيحا ، وكان هذا المعتدى - على ما قالوا - من المنتسبين الى الطريقة العليوية ، وكان قد جرى ما جرى من الاخذ والرد فى الكتابة ، ما علم به القراء عموما والاخ (بيضاوى) . خصوصا قبل هذا الحادث الملم المليم وكنا نظن انا مدنيون متمدينون بمدينة فاضلة، محكومون ومقيدون بشريعة عادلة، فلا حكم للمتوحشين، ولا ما يؤذون باعتداء المعتدين ، ولكن جرت سنة الله فى أرضه وحكمته فى خلقه ان يوجد الخير والشر ، والخير والشرير ، ولا مانع لما جرى به القضاء الذى نرضى به ولا نرضى بالمقضى - لما كنت كما ذكر فلا بد من نشر كلمة لى فى الشهاب ، وهى كلمتي فى القضية .

انى أبرأ الى الله وأتبرأ من هذا الفعل الفظيع الذى ندعو الله ان ينزل عذابه ولعنته فى الدنيا والآخرة على من علم به ، أو له يد أثيمة، أو رضى بتلك الجناية التى لا تغتفر . وتنبأ ممن يظهر فى الظاهر القانوني الشرعي أو ثابت فى الغيب ونفس الامر انه مشارك فى هذه الجناية كائنا من كان .

ثم بقى ان أقول : انه لا ينبغي بحال - ونحن سلفيون إسلاميون شرعيون مقيدون بالقوانين الإلهية والدولية - ان تكون أعمالنا من قبيل الرجم بالغيب أو التشفى والانتقام ممن عسى أن يكونوا براء ، اذ لا حكم للعقل وحده بل ومقيد بالشرع (1)، نعم لان العقل يحكم بتهمة جماعة من أهل هذه الطريقة انهم محرضون ويحكم انهم مسؤولون هم وشيوخهم ، ولكن يحكم كذلك انهم بريئون ، فلا ينفك فى التصور بين هذين الحكمين ، فالحكم لله العلي الكبير، ثم الدولة (2) وما دما مقيدين بالشرع وكنا لم نزل ذوى حملات على الباطنية قد نفع فيها ، ومن قدر على ذلك وبرهن لنا فنحن معه ان شاء ان ينتقم بأيدينا

-
- (1) فى هذا رد على المعتزلة الذين يحكمون بالحسن والقبح ويزعمون ان الحسن هو ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه .
(2) يريد بالدولة السلطة القضائية هنا ، وهى مستقلة عن السلطة التنفيذية أو يجب ان تكون كذلك .

ننتقم ، والا فلا نزيد فى العداوة الممقوتة والحقاقة المذمومة كما فعل الاخ
البيضاوى فى مقالته الاخيرة اذ قال هكذا بالحرف :

(من الحيف ان نحرمه - يعنى أياي - حقه من هذه المسؤولية) وذلك بعد
ان قال بما يجعل الشيخ العليوي نفسه برينا اذ قال هكذا بالحرف : (هذه
آراء أبديتها لم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضره) وهذا تطرف وغلو .

لم أكن لأظن فى الذى تأدب ذلك الأدب والذى قابلناه بمثله أولا ان يتبع
ذلك بهذه السيئة ، وانه لا يبعد ان يجعل جميع من يعرف علويا - وهم ثمانون
الفا على ما صبح (3) - مسؤولا ، ويصح عند ذلك ان يدخل الاخ البيضاوى
- فى هذه القضية - العالمين - عموما - والجزائريين خصوصا ، ورحم الله
الامام الشعبى السلفى الحقيقى اذ قال حينما قيل له كيف تعرف عقل الرجل ؟
« اذا كتب فاجاد » واخونا البيضاوى كتب فاجاد فاذا محا حسنة بعشر سيئات
فلا أفعل ذلك معه بل أقول ما قال يوسف « والله المستعان على ما تصفون » .

« الزواوي »

(3) هذا تهويل فى الاحصاء ، تارة (يصححون) أن عددهم كما هنا ، ومرة
أخرى يرفعون العدد الى أربعمئة ألف ! والحقيقة أنهم دون ذلك بكثير .

الفصل الخامس :

الى الناقد الخبير :

كاتب هذا المقال الشيخ محمد زعّيش (*) احد الأدباء المعروفين فى مدينة قسنطينة ، وأحد المتخرجين من المدرسة الإصلاحية الملازمين لدروس الأستاذ ابن باديس والمعجبين بتلميذه مبارك الميلي . وقد كان لمقاله الذى مر - ابن ملجم القرن العشرين - صدى كبير تعبر عن بعض رنينه هذه المقالة .

قال فى الشهاب 81 الصادر بالتاريخ السابق :

« إليك يا صاحب القلم السيال، والعلم الصحيح، الذى لا يخشى فى سبيل الدفاع عن الدين لومة المبتدعين ، ولا سطوة المتوحشين .

إليك (يا بيضاوي) أقدم ثنائي العاطر ، وتشكراتي القلبية، على ما قمت - بل انفردت - به من الذود عن الدين الحنيف، والإصلاح بما أمر الرسول .

حقا أنك لمنفرد فى الإغارة على ناشري مذهب البدعة ومؤيدي حزب الضلال، منذ برزت جريدة (الشهاب) ، وأنت تحمل الحملات الشعواء فتمزق الكتاب وأفئدة « القوم » والقوم يعضون الأنامل غيظا منك ، ولكن ماذا يفعلون ؟

أى (1) بيضاوي هكذا ليكن المصلحون ، وهكذا فليدافع المحامون عن كيان شرعهم القويم . لقد بردت الغليل ، وشفيت العليل ، فامض فى طريقك فالله مثبت أقدامك، وناصرك على أهل الابتداع . نعم إنك تتكلم بصراحة وحرية ضمير ، ولا تداري ولا تركز الى المدارة ، ومعاذ الله ان تكون من هذا القبيسل .

(*) ولد سنة 1891 وتوفى بقسنطينة بتاريخ 5 ماي سنة 1962 رحمه الله .

(1) أى هنا لنداء القريب ، وتكون - أيضا - تفسيرية كما تكون بمعنى نعم اذا كان بعدها قسم نحو « أى وربى أنه لحق » .

أى بيضاوي؛ انك تعلم ان اسمك - اذا ذكر أمام القوم وسمعه - فروا منه سراعا ، كما تفسر الجنون النازلة بالصرعى من اسم (شمهروش الطيار) ؟ ! ! أو كما يفر الشيطان من الأذان (2) .

اطلعت على مقالك الاخير المعنون بـ : « ابن ملجم القرن العشرين » فرأيت فيه ذلك الكلام المنتقى ، والبلاغة الراقية والاسلوب المخترع ، والانتقاد الحر أو - المر - فاحدث بى شوقا اليك ، واعجابا بك ، وشغفا بقلمك البليغ .

أنت اليوم يا بيضاوي صاحب الراية وقائد الجيش، فسل الحسام، وحدد المدينة، وأحسن الطعنة ، ولا يكن طعنك الا فى النحور .

اننا نعلق عليك الآمال فى هزم هذا الجيش الجرار جيش الشعوذة والتضليل (3) ، ونحن نسير خلفك نحمل ظهرك ، ونشد أزرعك ونمدك بالآلات والحرب ، فى بعض الامور الصعاب . فامض أيها الامير ، ولا تتوان فى المسير، وعلى الله تذليل العسير .

أى بيضاوي؛ جزاك الله وأهلك جزاء الابرار فى هذه الدار ، وفى تلك الدار ، وزادك قوة ونشاطا على ما أنت عازم عليه ووفقك الى الصراط المستقيم، ونصرك على مخالفى شرعه القويم .

قسطنطينة - محمد زغليش

(2) (شمهروش) اسم جنى مشهور فى السنة العامة ، يذكر امام المصروع أو فى اذنه لطرد الجنى (ساكن) المصروع فى زعمهم أو المتظاهر بالصرع . فيفر منه ويقيق المغشى عليه من إغمائه . واذا صرع أحد الناس - وخصوصا من النساء - يدعى (طالب) لطرد الجنى فيتقدم ويشعل فتيل يدخن ويقربه الى انف (المصروع) ويقرأ سورة الجن ، ثم يدخل فى محاورة - مع الجنى المزعوم الذى يملئ شروطه ، وأثناء ذلك يخوف بـ « شمهروش » فيفر، وهى تمثيلية هزلية يحسبها البلهاء حقيقة .

اما الشيطان فقد صبح فى الحديث أنه اذا سمع صوت الأذان ولى مدبرا سريعا الفرار وله ضراط .

(3) تحقق هذا الامل بالمقالات المتتالية فى جريدة البصائر (السلسلة الاولى) تحت عنوان « الشرك ومظاهره » وقد جمعت فى كتاب تحت هذا العنوان ، وهو كتاب علمى نفيس .

الفصل السادس :

الى الخطيب أبى يعلى :

« هذا كاتب كبير ، وعالم جليل من علماء القطر المغربى الشقيق الشيخ محمد بن أبى بكر السلاوى ، تألم من حادثة محاولة الفتك ، وشارك بقلمه فى الانتاج الذى صدر اثرها . وكان علماء المغرب يشاركون اخوانهم الجزائريين فى مهاجمة البدع والضلالات وفى الدعوة الى الكتاب والسنة لان المغرب - مثل الجزائر - كان يئن تحت وطأة الجهل والجمود والفساد فى العقيدة والاعمال ، والغرق فى الدجل والشعوذة والاستغلال ، من أقوام لا يخافون الله ولا يرقبون فى أمتهم الا ولا ذمة . وقد أثرت « الشهاب » فى المغرب تأثيرا كبير وكاد لها المستغلون هناك فمنعت من دخوله ، وهذا مثل من شعور واحساس اشقائنا بالمغرب . وقد نشر المقال فى العدد 81 من الشهاب أيضا بالتاريخ السابق . »

قال الشيخ محمد بن أبى بكر السلاوى :

« الآن وقد تناولت عدد 76 من مجلتنا العلمية « الشهاب » الاغر ، فلم امعن الفكر واسرح النظر نحو (تلك الاشعة المنبعثة من أفكار ذوى الآراء الراقية والأنظار السامية ، حتى فجعت بقضية الفتك بالاستاذ الحبيب سيدى عبد الحميد بن باديس ، فبقيت بين تيار كهربائى يدفعنى عن الخوض فى هذا المبحث الصعب المرقى ، وبين مغناطس فعال يجذبنى اليه ويأمرنى بابداء ما يوحيه الفكر ، وترددت هل يكون الخطاب متوجها الى الاستاذ - اذ هو الذى جنى على نفسه حتى ضحى فى سبيل حياة أمته أنفس شئ يملكه المرء وهو حياته . أم الى الشيخ العليوى وهو الذى تخرج به من استوى عنده اباحة سفك الدماء وحرمتها حتى ازمنت أمرى على ان يكون الخطاب متوجها الى حضرتك . »

ولقد تربصت مليا ريثما يتمحص لى الحق ، فلم أر - بعد البحث - أحدا جنى على الاستاذ الا اخونك ، ولا سعى فى نشر طريقة العليوية الا اشباهك من ذوي الجاه والنفوذ والتظاهر بمظاهر العلم .

ان الشيخ ابن عليوة لم يرث التصوف عن آبائه ميراثا ادبيا فنقول : ان النفوس مجبولة على حب القديم ، ولا عرف بعلم يميزه على باقى الطريقين فمنحه وصف التهذيب وارشاد الخلق الى الحق . بل لم يكن الا تاجرا شأن المتجرين فى الحطب والملح كما فى صفحة 43 من ديوانه ، فلما رأى ان التجارة فى العقول أفضل من التجارة فى الملح وشاهد أن الخلق قد الفوا الكسل بما أحدثه بعض المتأخرين من كثرة الثواب الخارج عن طور العقل على العمل التافه ، هجر الاولى للثانية ، واختار ان يكون تاجرا فى العقول أفضل منه فى البضائع ، ومعلوم ان طريقة هذا أساسها لا يمكن ان تنتشر لولا ان هناك دواعى للنشر اذ انقياد الخلق الى شيخ لا يتميز عنهم الا بالبزة بحيث يصيرون راغبين فى سفك دم كل من يتعرض للشيخ وطريقته - من أغرب ما ينقله التاريخ ، بحيث لو جوز العقل مثل هذا لاصبحت بقاع الارض مملوءة بالمشائخ لما ان المشيخة أصبحت المتجر الرابع ، والرئاسة التى ليس وراءها مطمح لمن يسعى فى الجاه ، وقد طبقنا دواعى الخلق على الشيخ فلم نجد منها ما يميزه عن مطلق السماسرة ، فان كان من جهة المجد المؤثر ، وان الشيخ عريق فى المتصوفين فالناس يرغبون فى سفك الدماء الطاهرة حبا فيه لاجل سمعة اسلافه كما هو جل شأن مشائخ اليوم - فالعليوى مفسوح من هذه الحالة المزورة .

وان كان من جهة المعلومات فهذه تأليفه بين أيدينا لم نر فيها ما يصح اطلاق لفظ العلم عليه فضلا عن ان يكون للشيخ ما يستوجب به هذه الشهرة وبعد الصيت .

وان كان من جهة اطعام الطعام ، وهو أحد موجبات الشهرة اليوم - وان كان نادرا فى السماسير - فالذى يملكه الشيخ لا نسبة بينه وبين بضاعته بالامس .

فلم يبق الا ان هناك عوامل فعالة ليس هنا محل بسطها ، اذ انقياد مثل الشيخ أبى يعلى - وهو الذى وصف نفسه فى جريدة الشهاب بكونه فقيها

عالما متبصرًا كاتبًا خطيبًا - إلى الشيخ العليوى - وهو من هو - ليس من السهل عند من يعانى مقالاته سيما ووضع الرأس فى سلسلة الشيخ - لا محالة - يؤدى إلى وضع الاغلال فى اعناق البسطاء فتوجه الإنكار إلى الشيخ وهو الذى حدثنى عن خلوته الشيخ الامام المحدث أبو حفص سيدى عمر بن حمدان التونسى أصلا ، انه يدخل المريد إلى بيت مظلم يعده برؤية الله جهارا ان مكث فيه ثلاثة أيام جائعا ساهرا - من وضع الحكمة فى غير محلها ولوم ذلك الشقى ، وباخوتكم اقتدى فى الاخذ عن الشيخ حتى اسلم نفسه فى سبيله - ظلم له فى الحقيقة ، فلم تبق القضية مقرونة الا بكم ، فلولا انتم وامثالكم لم يبلغ الشيخ العليوى من الاشقياء مبلغه اليوم ولولا الهيام بنهب ... العليوى ما كنت لتدع نقد الديوان الذى ملأه العادا فى اسماء الله وصفاته ودعاوى تنهد لها الجبال ، وعجائب لا يفوه بها الا من ولج المارستان (1) - وتشتغل بشيخ السنة السيوطى وأمثاله وهذه آثاره العلمية المدهشة للالباب زعمت انك صيرتها أحجارا بالفعل كما صرحت بذلك فى تعقيبك على .

عذرناك بالامس بعد ان نقضنا ردك عروة عروة بكراسة بعثنا لكم بها عن طريق الشهاب أثر ردك ، كان الخير فى عدم نشرها ، ولكن لم يخطر بالبال انكم من اتباع العليوى ، وممن يتشبثون باذياله اذ يبعد كل البعد ان يكون ذلك الفكر الذى لم يبال بالسيوطى والشمرانى والخواص منقادا إلى شيخ لم يشذ عنه من أقوال الباطنية الا ما جهله - حتى رأيت اقراركم الكاتب البيضاوى على ما نسبته لكم فعلتم ان خطتكم لا تخرج على نهج اتباع مشائخ اليوم من قصرهم المحاسن على مشائخهم دون باقى المشائخ . فأخوتكم لم تقصد اظهار الحق بكتابتها ولا لها رغبة فى ايضاحه اذ لو كان ذلك المراد لما شددتم النكير على السيوطى فى شئ نرى كتب شيخكم مملوءة باضعاف اضعافه ، ونحن إلى نقد أقوال أهل العصر أحوج ، ولو كان مرادكم بمقالتكم « توحيد التربية » ارشاد الامة إلى جادتها لما مكنتم ناصيتكم من العليوى ، وقد علمتم ان البلبلة لم تأت الامة الا بتشعب الطرق واختلاف الآراء حسب الاهواء، وادعاء كل طائفة انها على الحق وان غيرها على الباطل .

(1) هذا الديوان ما يزال موجودا فى السوق وآخر طبعة صدرت منه هي الخامسة وهو كما قال الاستاذ السلاوى واشنع ، واصرار القوم على التمسك به عجيب وجهل فظيع .

فان لم يبك الموحد طول حياته ، فليذرفها الآن دموية تعزية لامة تسدم السيوطى ، وتمدح العليوى . وان لم يتعجب الانسان طول حياته فليتعجب من كاتب يحذر الامة من دسائس الباطنية - وهذه تأليف قدوته كشرح المرشد ، والديوان من ذلك القبيل . وان لم يعرف الانسان مبلغ الغيرة الدينية من المشائخ فليعرفها من العليوى حين أوفد من يقضى على حياة الاستاذ سيدى عبد الحميد جزاء ارشاده له . وهذا تلميذه ، وقد ذكر السيوطى واشباهه فى معرض النقص فلم يكفه ولو بكلمة واحدة ، مع ان الشعرانى هو الذى بذل مجهوده فى انقياد الخلق الى التصوف حتى صارت تأليفه تنتهى رغبة المتصوف وغاية دليل الادعياء فى طريق القوم رضى الله عنهم .

بأى شئ يعتذر عن الشيخ العليوى ؟ هل بكونه هو المجدد على رأس هذا القرن لهذه الامة أمر دينها كما ادعى ذلك فى ديوانه ص : 34 و 57 ، فهو مأجور على دعاويه ؟ أم بكونه يحسن الكتابة الى البوليس فمن فوقه ذا شجاعة وأدب وفهم كما ادعيت فى عدد 70 من الشهاب ؟ مبهات مبهات لو كان مثل ما ذكر يقبل فى الاعتذار لوجب عليكم الاعتراف بان تعقبكم على السيوطى - وهو الذى وضع عقله فى طبق وامداه الى الامم نائيا وقريبها فافتتنست بسعة معلوماته - من قبل الهذيان .

ان ابن عليوة فى نظرنا ليس له من كل ما ذكر الا حسن السياسة التى تعود على مشيخته بالمنفعة واقتفاء ما حكاها العلامة القرافى فى الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة فى الخلوة . فان يرد المنتقد التحقق فما عليه الا ان يلتفت الى تأليفه المطبوعة وبالاخص الديوان فيطابق الاوصاف كل الموصوف . فان كانت تلك (العصائد) الخارجة عن نهج اللغة والادب والموازين الشعرية - هو الادب الذى وصف به الشيخ فكل ما سوى الله من شجر وحجر أديب ، وان كان أدبه فى شخصه فنحن لا نعرف الشيخ الا من كتبه وأوصافه التى حكاها لنا من عرفه سنة 39 لا من شجاعة فى الديوان الذى ينعقد فى أرض السمسم وراء قاف ولا مبيضات مكاتبه للبوليس . فان كان المثال هذه المحاسن هى التى عاقتك عن ان تبدى الحقيقة فى الشيخ فنحن لا نزيدك دليلا واضحا على ذلك الشخص الذى أمره الاصحاب بدفع واجب المشيخة للشيخ فأبى حتى اذا ألحوا عليه وأبوا الانصراف عنه الا بصياغة ما له عمد الى الرى

العلوي فبعث به اليه صحبة لحيته . وإن كان المانع غير ما ذكر فالحمد لله الذي اظهر سلفيتي في السيوطي ولم أسند عند سبحة ولا شاشية ولا خرقة . واطهرها لكم في العلوي على اني لو كنت مكان هذا الرجل لبعثت الى الشيخ من الشعر ما طلب مني الشارع حلقه أفضل من ان أعمد الى لحيته فاجعلها وسادا في دار الشيخ أو لفافة وسط لفائف المجرمين في الخلوة . الله أجل وأعظم من ان يتخذ في خلقه شعارا عليويا يجي ، باعتناق الطريقة ويذهب بالانسلاخ منها . وهو أقدس من ان يكل اللحية الى الشيخ فله اخذها وقت ما شاء ، فما فعله هذا المسكين فانما هو جناية جناها على جسده زيادة على ما جناه قديما على كيسه .

ولعلي يا أخى لو كنت مكانك ورأيت ما تحمله صديق الجميع الاستاذ سيدى عبد الحميد في شخصه رغبة في حياة ذلك البيضاوى واحتراما لمكاتبه ، لما وسعنى الا ان أنفض يدي من كل ما يشوه الاسلام ويلطخ جوهره الصقيل ، أو أصرح ببعض أعمالهم الوحشية تنزيها للتصوف وسادات القوم ، الحقنا الله بهم . فاقدر يا أخى قدر الجاهل لا قوة له سواك ، وانظر لمثل ذلك المسكين الذى اغرى على مثل الاستاذ كيف أصبح يتحمل ضنك العيش في أعماق السجن تاركاً أهله وأولاده يسكبون على فقدته العبرات ، ويترددون على الابواب يلتمسون ما يسدون به الرmq ، وأرحم جماعة طالما ختم على انفسهم اختام العصر تجلى لهم الشيخ في الخلوة في أوصاف الجزار ، بعد أن كانت مواعظه تحبس الامطار ، ولتكن يا أخى على يقين ان السكوت على هؤلاء الادعياء هو الذى جر الى انكار التصوف من أصله ، فكف هؤلاء واذاعة مثالهم من احترام أولئك الاتقياء ولتعلم - أخى - أنى لست من الذين ينكرون المحاسن للسيئات ، ولا من الذين يهجرون الحبيب للذنب الواحد ، فانى رغما عن تعريضكم بى في غير ما مقال - لا أنسى شجاعتكم في كلمات ابكيتموني بها في مقالكم الاخير . فلا تنسانا - أخى - من جنسها ، فانى اليها في غاية الاشتياق .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد بن أبى بكر السلاوى وفقه الله

فاس 9 رجب 1345 هـ .

الفصل السابع :

ومجرمون أيضا...!

كاتب هذا المقال هو الأستاذ محمد العزوزي حوحو (*) وهو أديب كريم من آل حوحو العقبيين ، وهو والد وزيرنا للصحة اليوم ، وعضو اللجنة المركزية ، ومن تلاميذ الشهاب ومدرسته وزعيمها الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمهما الله ، وهو أديب متأنق في أسلوبه ، متين اللغة، فصيح العبارة، لم يرو له كثير لأن المنية اختطفته وهو ما يزال في عز شبابه، وكلمته هذه تنبئ عن عراقته في الأدب العربي القديم وعن تشبثه بأسلوبه وحفظه لأمثاله مع حسن التصرف والتفنن والحيوية ، ولعل له آثارا أخرى لم تنشر ، فحبذا لو عمل نجله على نشرها فيسدي للادب العربي الجزائري الحديث خدمة جليلة .

قال الاستاذ محمد العزوزي حوحو ونشر مقاله تحت العنوان « ومجرمون أيضا...! » في العدد 8 من الشهاب الصادر في 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1928 م .

بخ بخ ساق بغلخال ! (1) :

مرحى مرحى عصابة الكسل ! أنصار الخمول ! زمرة التوكل، يمثلون دور جمعية فدائية ! أو دفاعية تسفك الدماء ، تقتل الأبرياء ! ..

(*) ولد في سيدي عقبة في شهر سبتمبر 1904 ، وتوفي بقسنطينة وعمره (40) عاما في شهر سبتمبر 1944 رحمه الله .

(1) مثل عربي جاهلي يضرب مثلا في التهكم والهزؤ من الشيء لا موضع للتهكم فيه ، وهو من قول امرأة لضررتها . وكلمة : بخ بخ اسم فعل بمعنى عظم الامر وفخم ويكون للرضى والاعجاب والمدح والفخر ، وكلمة مرحى كلمة تعجب تقال للذي أصاب الرمي .

حقا ان الليالى امهات العجائب :

سمعنا بالجمل استنوق ، وبالبغات استنسر (2) وباستحالة الاناثى الى ذكر ، ولكن ما سمعنا وما كنا نظن ان جماعة اللحى والقصع الشريديّة ! أرباب الاحوال والنيات ٠٠٠ رجال الرقصات والشطحات ٠٠٠ الزاهدين القانعين يزهقون أرواح الذين يقفون عشرة فى سبيل معاشهم ١٠٠ !

بالامس صرع (النديم) والامس ضرب صاحب النجاح ، واليوم يقع السطو على الاستاذ عبد الحميد بن باديس ! لانهم انتقدوا سلوك الطرق والطرقين من نهب وسلب ودجل وضلالة وتضليل .

أعجوبة - وسيدى المربى - لا اعجب منها لانقياد هاته الامة ولا انقياد الاعمى للبصير واستسلامها ولا استسلام المستضعفين لهؤلاء اللصوص المجرمين ٠٠ وأولياء الشيطان المفسدين ٠٠ !

مهلا رويدا شيخ المجرمين ! ان كنت ريحا فقد لاقيت أعصارا ! أرسلت منومك ليقتضى على استاذ المصلحين قضاء مبرما فتستريح من مر الانتقاد ويخلو لك الجو فتبيض وتفرخ وتنفر آمننا مطمئنا (3) .

أرسلته وأوصيته بان يشمر الذيل ، ويدرع الليل ، ولكنه لم يحفظ تعاليمك ٠٠٠ ولم تنفعه بركاتك من بعيد ؟ فافحق فى مسعاه جالبا عليك سبة الابد ، وعارا لا يمحي دهر الداهرين . فتقلدها طوق الحمامة يا أيها المجرم الافاك السفاك الاثيم !

لا تحسبن طعان عبس بالقنا وضراهم بالبيض حسو الشرتم (4) سلبتم الناس أموالهم افسدتم عليهم دينهم ومالهم ، نفرتموهم من كل ما فيه صلاحهم ، عبثتم بشرفهم ، واستحللتم رؤية نساءهم ، والآن فهل

(2) البغات من ضعاف الطير ، وفى المثل : (ان البغات بارضنا تستنسر) أى تعتز بجوارنا وتدعى انها أنقلبت نسورا . وقال الشاعر :
بغات الطير أكثرها فراخا وام الصقر مقللة نزور
(3) راجع الى قول كليب وائل للقبرة :

خلالك الجو فيبضى واصفرى ونقرى ما شئت ان تنقرى
(4) الشرتم : بضم المثلة والمثناة : ما فضل من الطعام والادام فى الاناء أو فى القصعة خاصة ورواية اللسان (قيس) بدل عبس .

تستبيحون دماءهم أيضا ؟ عيذتم المالك المعبود ، برقص وقفز ولا كرقص وقفز القروذ ، وذكرتم الله بأصوات منكرة دونها تهيق الحمير وجلبة الفهود ، عاديتهم علماء الدين ، واعتديتم على المسلمين ، والآن نراكم تبرزون في صورة المقاتلين ٠٠٠ « ومن يَقْتُلْ مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » ٠٠٠ يا أولياء الله الصالحين ٠٠٠

اشركتم بالله وسرقتهم ، وآتيتهم البهتان من بين أيديكم وارجلكم ، وعصيتهم في معروف (5) فهل انتم - بعد - أولياء الله أم أولياء الشياطين ؟ يا أبناء صفوة المقربين ٠٠٠ ما بالكم - لا ابالكُم - هل عميت عنكم معالم القصد ؟ واستبهمت عليكم سبل الرشيد ، فنسيتم سنن آبائكم وأجدادكم الخاملين .

فأين أنتم من أولئك الذين يرون الموت مغنمة وأعلى درجات التوكل التوسل ٠٠٠ وإذا ما سرقوا حمدوا الله على ان لم يكونوا ظالمين أم حضرتكم عصريون ؟ ٠٠٠

كفى ، كفى برح الخفا وظهر الامر لذى عينين ! انتم مجرمون انتم سفاكون ، أنتم عالة على الناس وعبء ثقيل على كاهل الحياة ، بلى أنتم الموت ، فاليك عنك يا موت اننا أحياء وما نحن بميتين ! ٠٠٠

محمد الغزوي حوحو

(5) اشارة الى ما يبائع عليه المسلم عند اسلامه وهي بيعة النساء وبها بايع أصحاب العقبة ليلة العقبة كما في حديث عبادة ابن الصامت ، وقد جاء نص بيعة النساء في الممتحنة : « يا ايها النبي إذا جاءك المؤمنات » الآية .

الفصل الثامن :

1 - صدى الاعتداء على الأستاذ في الأزهر الشريف :

« كان لمحاولة الفتك بالأستاذ ابن باديس صدى كبير في جميع أنحاء المغرب كما كان له صدى بمصر وفي وسط الطلبة المجاورين بالأزهر الشريف ، وقد بعثوا برسالة من انشاء وامضاء العلامة الشيخ العربي التبسي الذي كان يتكلم باسمهم » .

والشيخ العربي بن بلقاسم التبسي أحد العلماء الأعلام، كان يوم الاعتداء ما يزال مجاورا بالجامعة الأزهرية ، وقد ولد بولاية تبسة في دوار السطح عام 1892 م ، أو قريبا منه ، وقرأ القرآن بمسقط رأسه ثم بخنقة سيدي ناجي (الزيبان الشرقية) ثم بالجنوب التونسي بالجريد (نفطة) ، وهناك بدأ طلب العلم ، ثم ارتحل الى تونس ، ثم إلى مصر، ومكث فيها أربع سنوات ، وكان بها أثناء : 25 - 26 - 27 - 1928 ثم عاد الى تونس وشارك في امتحان شهادة التطويع (العالمية) فنالها ورجع الى الجزائر فانتصب لخدمة العلم سنوات بمدينة تبسة، ثم انتقل الى مدينة سيق - شرقي مدينة وهران - ثم عاد الى تبسة حيث أسس مدرسة تهذيب البنين وفتحها عام 1934 م ، وأسس بقربها مسجدا جامعا حتى تكون له تجربة التعليم والتبليغ .

الشيخ العربي من أقطاب النهضة الجزائرية منذ أيامها الاولى، ظهرت آثاره الدينية والفكرية والقلمية والعلمية حينما كان ما يزال طالبا ، ثم كان أحد الرجال المكونين للأجيال، ترك - حيثما كان - في تبسة أو سيق أو قسنطينة أو الجزائر - طلبة وتلاميذ في قمة التحصيل والعمل المفيد .



الشيخ العربى بن بلقاسم التيسى

وقد كان عالما محققا ، ومدرسا ناجحا ، ومربيا مقتدرا ، وكاتبا كبيرا ،
يمتاز أسلوبه العلمي بالعمق والمتانة ودقة المعلومات ، لكنه لم يترك آثارا
كثيرة لاشتغاله - طول حياته - بالتدريس ، وما تركه من آثار يسيرة يبرهن
على مكانته العالية في الكتابة ، وكما كان كاتبا كان أيضا خطيبا مصقعا ، ومحدثا
لبقا، ومحاورا ماضرا، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة على الاقناع القلبي والفكري
وحسن البديهة ، وله فيها أمثلة رائعة .

وله قصص طويلة مع الاستعمار من اعتقال وسجن وتغريب حتى انتهى
باستشهاده أثناء معركة الجزائر ، وبالتحديد يوم 4 أبريل 1957 م - الموافق
4 رمضان 1377 هـ ، اختطف من داره بجوار مسجد طريق التوت ببلكور الذي
كان يلقي به الدروس ، ولم يظهر له اثر ، فهو من جملة 6000 شهيد كان مآلهم
مآله،رحمهم الله ورضي عنهم . وهذه الكلمة التي بعث بها من الأزهر تعرب
إعرابا صادقا عن أفكاره وعواطفه والتزامه وعهده لابن باديس ان يكون بجانبه
في خدمة الدين والوطن ، وانها في الحقيقة لمبايعة صريحة ، وقد وفى بالعهد ،
وقدم نفسه فداء لدينه وأمتة .

قال الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي وقد نشرت رسالته هذه في عدد
الشهاب 82 الصادر في 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م ، بعد
مقدمة نصها « ننشر مع الشكر المزيل هذا الكتاب الشريف من إخواننا الأزهريين
الذال على غيرتهم على دينهم ، وتعلقهم بوطنهم،حامدين الله تعالى على ما نتحققه
من خير المستقبل للجزائر على يد هؤلاء الأبطال المجاهدين في سبيل العلم
والدين » .نص الكتاب :

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
الى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس اطال
الله بقاءه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اما بعد : فنهني أنفسنا ونهني العلم وآمال الامة ونهنيك بالنجاة من كيد
من ابتلى الله به الدين والامة والعلم والقومية ، وانا لما أصابك لفي غم يونس
وحزن يعقوب ونشكو الى الله التقصير،ولئن أوسد بك هذا الكلب (1) فك

(1) اوسد الكلب بالصيد اغراه به وشلاه عليه .

بابن أبى طالب (2) - جعل الله أجلك أفسح من أجله، وقارب بينك وبينه فى عظيم الأجر - ما يملأ النفس عزاء والقلب رضى ، وان جل الخطب وعظم المصائب وان ما نزل بك - من القضاء الذى لا محيىض عنه كان علينا - جيرة الأزهر الجزائريين - أوجع نبأ، ولئن كانت فئة العليويين المارقين ومن شيعشعر معهم قصدوا من عدوانهم على الأمة فى شخصك ان يسكتوا داعي الله ، فكأنى بك وأنت الأسد الهصور مسمعهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي - يوم ان سامه بعض قومه مثل ما سامك - من هو معدود منا مساكنة - : «أيها السادة اذا تقدمت فاتبعوني واذا تأخرت - وحاشاك - فاقتلوني واذا قتلت (لا قدر الله) فخذوا بثأرى » فستجد أصحابك ليس أقل غيرة عليك من أصحابه وان اختلف ظرف المكان .

القاهرة 1 رجب 1345 هـ - 16 يناير 1927 م ،
عن جيرة الأزهر الجزائريين : **العربي بن بلقاسم التبسي**

(2) ابن أبى طالب هو الإمام على كرم الله وجهه فى الجنة فتك به الشقي عبد الرحمن بن ملجم فى 17 رمضان عام 40 هـ ، وهو اشقى هذه الامة كما فى الحديث . قتل على وعمره 63 سنة ، ومات ابن باديس وعمره بالتقويم القمري 52 سنة (1307 هـ - 1359 م) .

2 - متانة أسلوبه العلمي :

لا تكاد كتابات الشيخ العربي رحمه الله تخلو من رموز وإشارات خفية الى أحداث تاريخية أو آيات قرآنية أو نصوص أدبية، يتفطن اليها العلماء والأدباء فيلذ لهم ذلك . منها ما فى هذا المقال القصير .

فهو يشير بقوله : (وإنا لما أصابك لفي غم يونس) الى ما جاء فى القرآن الكريم عن يونس عليه السلام وقد استبعد إيمان قومه فخرج عنهم دون اذن ربه فابتلاه اعظم بلية قال تعالى : « **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** » ولا شك ان أعظم محنة وبلاء تلحق بانسان ما قال الله فيه : « **ونجيناه من الغم** » فهو المطلع على السرائر . ثم يشير بقوله : (حزن يعقوب) الى ما جاء فى سورة يوسف عن هذا الحزن فى قوله تعالى : « **وتوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** » ، وقوله : « **قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** » قال انما أشكو بشي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون » .

ويشير بقوله : (ونشكو الى الله التقصير) الى ما جاء فى جواب الصحابي الجليل أبى الطفيل - وهو آخر الصحابة موتا - لمعاوية رضى الله عنهما - وكان أبو الطفيل من أصحاب علي وجنده فى أيام الفتنة وكان من شيعته يقدمه على جميع الصحابة ولكنه يشني على أبى بكر وعمر ، واجتمع ذات يوم بمعاوية - فى خلافته - فسأله عن مقدار وجده بعلي كرم الله وجهه فأجاب بما فحواه : ان

حزنه لأبلغ من حزن يعقوب على يوسف، واشفاقه اعظم من اشفاق أم موسى على موسى لما وقع بيد فرعون . ثم قال : (وأشكو الى الله التقصير) ونقلت الحكاية عن غير أبى الطفيل ، وانه وصف صاحبه عليا لمعاوية فى عدله وتقاه وتدينه فأثر فى معاوية حتى دمعت عيناه وترحم عليه ، رضى الله عنهم اجمعين .

ويشير بقوله : (فكأنني بك . . . مسمعمهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي . . .) الى حادثة الاعتداء على الزعيم المصري المسلم العظيم سعد زغلول رحمه الله، فقد اعتدى عليه كلب عقور من قومه أشلى عليه كما أوسد بعبد الحميد من أراد ان يفتك به - وكلا الرجلين : سعد زغلول وابن باديس مسلم صادق الإيمان مخلص فى خدمة أمته ووطنه، وعبد الحميد - بخدمة الدين - أحق بمثل هذه الكلمة التى قالها زغلول وأعلق بالمجد الطريف والتلبد . كانت هذه الكلمة رائعة من سعد ، وقد أصاب الشيخ العربي رحمه الله فى تسلية صاحبها بها وقد كنى عن سعد بقوله : (من هو معدود منا مساكنة) . حتى لا يوقع الشهاب وصاحبه فى حرج اذ كان سعد زعيما سياسيا عظيما يفرع اسمه الاستعمار الاوروبي .



3 - جريدة الشهاب وصاحبها :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(فى هذه المقالة الثانية - التى دبحها يراع الشيخ العربى رحمه الله - أعرب عن عواطفه واحساسه الصادق نحو ابن باديس ومبايعته على العمل بجانبه وعلى نفس خطته لفائدة الدين وخدمة الامة والوطن ، ونعى على خصومه بانهم جناة - لا على ابن باديس - ولكن على الدين والامة اذا هم قتلوه وآذوه ، وان من واجب كل مسلم ان يخف لعونه وكف الاذى عنه .

وقد نشر المقال - كافتتاحية للشهاب عدد 83 الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ الموافق 10 فبراير 1927 م ، وعنوانه البيت المذكور أعلاه .

قال الشيخ العربى بن بلقاسم التبسى رحمه الله :

(جريدة الشهاب - وايم الله - نعمة من نعم الله على شمال افريقيا عموما والجزائر خصوصا ، يجب ان تؤدى الشكر عليها لله خالصا ، وتشكر لمن كان ابن بجدة هذه اليد البيضاء حتى تستحق المزيد .

وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر الحياة نرجو منها اثرا طيبا فى حياة الجزائر الدينية والادبية وفى سمعة الجزائريين الذين لا يكاد يظن ان فيهم ممن هو بمثل هذه الصحيفة جدير ، وجريدة الشهاب كنز من كنوز السنة ينقل الى قرائه ما لذ وطاب مما تقطع الاعمار قبل الوصول اليه ليقبس منها من يريد الله به خيرا .

وجريدة الشهاب مدرسة شعبية عصرية على أحدث نظام واشهى أسلوب ، فيها تلتقى الديانة الاسلامية بالمدينة الصحيحة العصرية لا تفتنا نهدي الى قرائها من مختلف العلوم وضروب المعارف ما تقر به العين وتحسد عليه الجزائر .

وجريدة الشهاب شعبة من شعب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما ملاك صلاح الدين لا نزاع في ديننا ما دام في الامة من يؤدي منها اضعف الامر ولو بادنى الخصال (1) تلك خلال قد عرفها المحب والمبغض والنسازح والداني ، فهذه الصحيفة منذ ان درجت بين قرائها ، ونور صبحها . فان غمط شيئا من ذلك غامط فقد أنيانا بجهله وحسر اللثام عن حسده ، وقديما كان الحسد والجهل فوق باع المصلحين . واصدق الظن الا تظل سماء الجزائر ، ولا تقل سهولها وحزونها من لا يرى في عنقه - ما دام في الفطر السليمة - انما خلق الاحسان للمحسنين - من لا يرى لمنشئ هذه الصحيفة ايادي له على قطان هذا القطر يوكل الجزاء عليها الى رب العرش ايادي في هذه الالوة التي خفت فيها صوت اهل الحق ، وصار فيها الدين الى غربته (2) وامتدت الايدي الى دك حصونه دكا ، والتي جهلنا فيها كل ملة تربطنا بديننا ولغتنا وقوميتنا . افلا يكون فرضا حتما علينا - ان نحن لم نتول معه أمرها ونشد عضده - كما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها - ان تكف عنه الشر ، ونقطع عنه هذه اللسان التي لم يخلق الله الا فساد لغيرها .

ولعمري ان صحيفة تؤدي للأمة هذه الأعمال الجليلة - وحاجة الأمة اليها حاجة العليل الى الآساة (3) لواجب علينا ان نحافظ عليها ونبذل في سبيلها كل مرتخص وغال حتى نفوسنا التي بين جنبينا .

وما كان قبل اليوم كاعن ولا عراف ولا زاجر يقر اليه في أذنيه (ما كان) يظن ان هناك مخلوقا من أنس أو جن تحدثه نفسه بان يحمل المعاول والفؤوس ليهد علما (4) يزاحم الكواكب بالمناكب من أعلام الاسلام في سبيل الشيطان

(1) ادنى الخصال هو تغيير المنكر بالقلب كما جاء في الحديث ، من رأى منكم منكرا (الحديث) .

(2) بدى هذا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدى فطوبى للمغرياء (حديث)

(3) العليل المريض ، والآساة جمع الآسى وهو الطبيب .

(4) العلم هنا هو الجبل كما في قول الخنساء :

وان صخرنا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ومرضاة الطاغوت ولكن من سبقت عليه الشقاوة وجرى عليه القضاء اتبع هواه فركبها عشواء مظلمة . من ذا الذي لا ينفلق كبده اسفا وغما لما أتاه هذا الافاك الاثيم العليوى مما يغضب الرحمن ، ويثير الاشجان ؟ الا فليعلم العليوى السفاك ولي ابليس - ان فعلته التى فعل لم تكن مسددة الى الاستاذ العظيم ابن باديس وانما رمى بسهمه نحر الاسلام وانه أراد هو وشيعته ان يأتوا بدين مزيج من معتقدات الآباء الكاثوليك ، والرسل البروتستانتين ، فليس له ان يرغم علماء الاسلام على قبول شئعه باسم دينهم وان يكتم افواههم حذر ان يبينوا للناس ما أتيتهم به مما ينقض الهيكل الاسلامى ويحطمه لبنة لبنة ، فدون وصولكم الى غايتكم - والله - لمس السماء ، ودك الشناخيب (5) .

اترم انوفكم ان جادلكم بالحسنى التى كان يجادل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداء الاسلام ؟ فها لكم الامر وسدت فى وجوهكم مدارج الحق فركنتم الى الاجرام وعمدتم الى قتل من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه عدل هذا الخلف (6) وانه يحل محل نبي، فى بنى اسرائيل (7) . الا ان أعدى المسلمين للاسلام أولئك النفر الذين يظنون - من قبل انفسهم انهم أولياء الرحمن واحباؤه وملأوا انفسهم ومن يتبعهم بامانى هى ضلال ما أرادوا بها صوابا فاستباحوا من الله المحارم وتعدوا له الحدود ، واعرضوا عما فيه من هدى، فاغتر بهم الجهال ، وانقاد لهم الاقران ، ودخلوا على الناس فى عقائدهم ، ولبسوا عليهم أمر دينهم ، وزهدوا الأمة الاسلامية فى علمائها الذين أمر الله ان يرد اليهم الأمر (8) فى التشغييب ، ونعتهم أجل نعت ، وحث على سؤالهم عند حلول أى حادث (9). وربما تحدث هؤلاء المصللون الى طعام الاحلام ان بين

(5) الشنخاب - بالكسر - والشنخوب ، والشنخوبة ، والجمع الشناخيب : هو راس الجبل وقمته وقد ثبتت صلة القوم وشيوخهم باباء الكنيسة الكاثوليك (6) يشير شيخنا الى قوله صلى الله عليه وسلم - يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله أو كما قال . (7) وفى هذا يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم - علماء أمتى كانبياى بنى اسرائيل . (8 و 9) يشير الى قوله تعالى : « ولو رَدَّوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، وأولو الأمر منهم العلماء أو هم العلماء - وإلى قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وإلى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون » وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

الصالحين وبين العلماء خلافا عظيما قديما وضربوا لهم الامثال ، وساقوا عليها الشواهد ، وقصوا عليهم من الاغاليط ما جنوا به جنونا حتى ذهبوا بهذه الامة فى متاهات لا نجاه بها .

اتئدوا - أيها المضللون ، ولا ترهقوا هذه الامة ، فان الذى نعلمه ويعلمه كل أحد ان طريقة القوم لا تتنازل عن حصاة من أرض السنة ، وفى سبيل السنة .

تبيع العلماء الارواح ببيع السماح ، فما العالم الا شخص واحد يرى فى مرآتين فمن أى ناحية من نواحي علم الاسلام أتاكم ما أنتم عليه - معشر الطريقين مما لا يجتمع مع الاسلام تحت سقف واحد ؟ بله (10) صدر واحد ، فاذا من الله عليكم بمن يصركم بمغبة عمايتكم ويدلكم على الاسلام الذى جاء به جبريل من عند الله وكان يدين به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح ركب منكم الشيطان كل مركب واستنكفتم من قبول الحق الابلج ووضعت أصابعكم فى آذانكم (11) وأصررت على عنادكم أصرارا شأن من سبقكم فى الجاهلية الثانية . ها أنتم استطعتم ان تفتنوا الأمة فى دينها وتعيدوا بها عن أوليات الدين الذى جعلتم أهله شيعة وأحزابا كل يزن غيره (12) بانه السالك بنيات الطريق ، والله تعالى يؤاخى بينهم ويأمرهم بولاية بعضهم بعضا (13) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على رص الصفوف وجمع الكلمة حشا .

-
- (10) بله : اسم فعل أمر بمعنى دع واترك .
(11) قال نوح يشكو قومه الى الله « وَاِنِّى كَلِمَا دَعَوْتَهُمْ لَتَنفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا اَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا » وقص الله ذلك علينا فى سورة نوح .
(12) زنه يزنه : اتهمه قال حسان فى أم المؤمنين عائشة (حصان رزان ما تزن بريئة) .
(13) يقول تعالى : « اِنَّمَا الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ » ويقول : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » .

فهل تستطيعون - يوم يذاد من بدل وغير عن الحوض - ان تغنوا عنهم من عذاب الله شيئا ؟ (14) .

ان الدين الاسلامي في اصوله وفروعه وآدابه دين البشرية على العموم ، ودعوة صاحبه عامة شاملة تامة ، وانه جاء لرفع الاختلاف وسد طرقه ، واجتثاث الحظوظ وجعل كل احد ممن يدين به يراض بلجامه فان ابي آب شيئا من هذا فقد اطرح اسم الاسلام عن نفسه .

انه لم يكن صحابي ولا تابعي ولا غيرهم من اهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير يعلم غير كتاب الله وسنة رسوله شرعا يتبع ولا هدى يستنار به ، فهل هؤلاء الطريقون اهدى من اولئك القوم الذين انعم الله عليهم او ارادوا ان يعيدوا تاريخ الكنيسة في الاسلام ، ويزعموا الزعامة الدينية ويتلوا وظيف التشريع والهدى وملاك الامر ؟

ان من اراد ان يلتبس الدين الاسلامي في اصوله وفروعه وآدابه من غير ناحية كتاب الله وبيانه (15) فقد سفه نفسه وطلب العلة من معلولها والنتيجة بغير مقدماتها ، وكفى بذلك غيا .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

القاهرة : العربي بن بلقاسم التبسي

(14) في الحديث انه يرد على الحوض قوم يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم فيذادون عنه لانهم بدلوا وغيروا .
(15) قال القاضي عياض في الشفاء : (عن رجل . . . سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن أنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال : يا ابن أخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل . وقال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامور بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأى من خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلا جهنم وساءت مصيرا) اهـ .

الفصل التاسع

إلى الكاتب السلاوي الفاسي

« هذا جواب أبى يعلى للاستاذ السلاوي فى توجيهه الخطاب اليه ، وتحميله مسؤولية التسبب فى شهرة رجل لم يكن لعائلته مجد يبرر اعتلاءه ، وافتتان العامة به . ولم يكن له علم يستند عليه فيما وصل اليه ، وانما هو سكوت بعض العلماء عن منكراته ، واشاداتهم به ، وحضورهم مجالسه ، والثناء عليه مما يسبب اغترار البسطاء به مع المظاهر والتظاهر » .

قال الشيخ أبو يعلى الزواوى - تحت العنوان اعلاه ، ونشر فى عددین متوالیین من الشهاب الاول عدد 83 الصادر فى شعبان 1345 هـ - 10 فبراير 1927 م والثانى فى عدد 84 الصادر فى 13 شعبان 1345 هـ - 17 فبراير 1927 م :

« وقفت فى مجلة الشهاب الثاقب عدد 81 على الخطاب الذى وجهته الى ، وشرفتموني به كأول مرة ، اذ خاطبتموني ، وأشكركم ويشكركم القراء ، على تحريك الهمة والتنشيط على الكتابة ، ويسند اليكم الأجر والثواب فى ذلك لأنكم المسببون فيما هنالك » .

ثم مما لا يخفى على مثلكم أن من الكتاب من لا يبالي بهم ولا بأقوالهم ، وكذلك الجرائد والرسائل ، فهؤلاء معروفون كاصحاب الخلاف الكثير سواء فى المذهب أو المبدأ ، أو الجنس أو الوطن أو الحكومة ، واما الدين فمن باب اخرى وأولى فالخلاف فى هذه القضايا كلها قد يتغافل عنه ويحتمل .

واما مثلكم ومثل مجلة الشهاب وجلة الكاتبين فيها فلا يحسن السكوت عنهم ولا عدم المبالاة بهم . لماذا ؟

لأننا سلفيون دعاة الإصلاح العام في الدين وما ألصق به وفي الجنس وما هو فيه ، وفي الوطن والحالة التي هو عليها ، الاستخفاف في مثل هذه الأمور ذنب لا يغفر ، وكفر في كفر ، أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

ونخص - نحن السلفيين - بشيء أدق مما يكون . وما هو هذا الشيء ؟ وهو التدقيق والتحقيق في الأقوال والأفعال . والحذر من الخطا والخطل في القول والعمل ، فنكون كما قال أصدق القائلين : **« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ »** .

فإذا سلمنا هذا التمهيد - والوقت نفيس والجريدة أنفس ، والورق والحبر كذلك والحق والصواب أكثر من كل ذلك كله وأنفس - أجيبكم عن شيئين في خطابكم هذا ويكون جوابي من باب اللف والنشر المشوش قصداً تيمنا ودخولاً بالرفق الذي ما دخل شيئاً إلا زانه ، واحد الشيئين جملة جميلة جليلة ختمتم بها الخطاب وهي :

« ولتعلم يا أخي اني لست من الذين يهجرون الحبيب بالذنب الواحد ، فاني رغماً .. الخ ، قولكم : لا انسى شجاعتكم في كلمات ابكيتموني بها في مقالكم الاخير فلا تنسنا - أخي - من جنسها فانا اليها بغاية الاشتياق » .

فأقول : الحمد له على التوفيق والله ما دريت على ما أقول ولا قصدت الا خدمة الهدى والامة والاخلاص في ذلك لله : **« فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »** .

وأشكركم - والاخ البيضاوي مثلكم في خطابه الاول إلي وقد هزني هزا اذ قال في : « اني شيخ كبير موقر أحمل من الصراحة والشجاعة ما لم يحمله شباننا » الخ ...

وأشهدكم - قراء الشهاب - وأشهد الله وهو خير الشاهدين - اني جعلته في حل من حملته علي التي اجبته عنها : انه أخطأ فيها اذ جعلني مسؤولاً في الجناية الواقعة على الاخ الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، وفهمت انه شديد الغيرة وحريص على السنة ومحِبُّ للشيخ عبد الحميد ، فاعذره كما عذر عثمان ابن عفان عبد الله بن عمر بن الخطاب اذ حمله جزع الفتك بأبيه وبتسعة من الصحابة العظام فقتل الهرمزان بدون محاكمة ، وأبى علي بن أبي طالب رضي

الله عنه الا محاكمة عبد الله بن عمر كما علمتم ، وعلى هذا فاخونا البيضاوي عبد الله بن عمر (1) فهو هو ، ومن ذا الذي ما ساء قط ؟ (2) .

وكذلك انتم اجعلكم فى حل من قولكم « حتى ازمعت امرى على ان يكون الخطاب متوجها الى حضرتكم » الخ . . . قولك ، فلم أر بعد البحث أحدا جنى على الاستاذ الا اخوتك .

وقولك : وهو الذى وصف نفسه - تعنون اياى - فى جريدة الشهاب بكونه فقيها عالما متبصرا كاتباً خطيباً الخ - ولعلكم قصدتم بهذه الجملة قولى فى جوابى اليكم عن شأن ايراد الحديث وقلت لكم هكذا :

« انى لست من علماء الحديث ، ولكنى كاتب متفقه ومتبصر ، وعليه فأقول الآن : من وجد لي حرفاً غير ما ذكر ، أو قلت أنا خطيب فى مجلة الشهاب أو فى غيرها ، أو بعدالة مرضية (3) فما ملكت من شئ فهو له ، وهذا إمضائى الآتى .

اعلم انه تسوى بى الارض ولا أقول ولا أفعل ما نسبت الى انى قلته (4) فتأمل العبارة واياكم من التحريف بالزيادة والنقصان (5) والا فلا يوثق بكم وبقولكم ، بل عاتبني بعض العلماء هنا وقال لى : لِمَ تقول انى لست من علماء الحديث فى جوابك الى الفاسي ؟ ولكن صراحتك ، وهكذا شأنك وهكذا كلامك فى هذا الخطاب كله قارس ، واحماض فى احماض ، وكذلك قولكم : (عذرناك

(1) عبد الله بن عمر من اكابر الصحابة فى العلم والرواية عن رسول الله والجهاد لا يرتكب مثل هذا العمل دون اذن الامام . ولكن الذى فعله هو عبيد الله بن عمر وهو أخوه وأصغر منه ، وقد ظننا ان هذا من الشيخ سبق قلم حتى تكرر ذكره ثلاث مرات فعلمنا انه قصده بالذكر ، سهوا بدون شك .
(2) هذا من قول الحريرى رحمه الله : من ذا الذى ما ساء قط ؟ ومن له الحسنى فقط ؟

(3) يعنى بيينة من شاهدين زكى كلاهما بأنه عدل رضى .
(4) هذا من تواضع الشيخ أبى يعلى ، انه لعالم كاتب فقيه خطيب ، وان كان لا يقول هذا عن نفسه لانه حينئذ متبجح مزك لنفسه وقد نهى الله عن تزكية النفس ، « فلا تزكوا أنفسكم هو اعلم بمن اتقى » .

(5) نقل الحديث أو النص اذا نقل بلفظه فيشترط أن يأتى بالالفاظ كما هى ، وان نقل بالمعنى فالشرط أن يكون مساوياً للاصل ، قالوا لا ينقله بلفظ أجلى لانه زيادة على النص ، ولا بلفظ أخفى لانه تلبيس ، فهذه أمانة وذممة الناقل عند نقاد المسلمين .

بالامس بعد ان تقضنا ردك عروة عروه اذ لم يخطر بالبال انكم من اتباع العليوى) .

جوابى عن هذا الذى جعلتك فى حل منه انى لا أقول نقضت رد فلان ابدا
انما يقول ذلك الحكم ، واما أنا فخصم ومناظر ، بل أقول : أجبت عن كذا ،
واما كونى من اتباع العليوى فالبينة على من ادعى ، واليمين على من انكر ،
وازيد فأقول :

اذا كان يلزم من عرف أحدا غير معصوم ووزر ذلك الاحد أو لم يزر - سواء
كان ذلك الواحد قريبا أو بعدا - فيلزم من ذلك المشاركة فهو القول المصادم
للآية : « **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** » وبعبارة أخرى لا ينجو أحد منكم ومن
غيركم ، لاننا كلنا - معاشرهم - المخالفين وحتى الاخوين الشقيقين .

ما هذه المقدمات ؟ وما هذه الاستنتاجات باخوانى ؟ استحللحكم بالله ما عرفتم
أحدا من المتصوفة ومن غير المتصوفة من البدعيين والعصاة والمرقة بل من
الكفرة والفجرة ؟

انما المنتظر ان تسألونى أصحیح أنا من الآخذين بالطريقة العليوية أولا ؟
أو لغيرها لا لمجرد مقتكم العليوى ان جميع من عرفه يستلزم المقت وهذه العقلية
أو القضية لا تفيدكم ، انما يفيدكم - ويفيدنا - بيان البدعة والخطا أولا ثم
تبديع من عمل بها بشروط اثباتية على قواعد الشرع العزيز ، واما من عرف
أحدا فيلزمه جميع أعمال ذلك الاحد ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، فهذا
لا يعقل الا بتفاصيل كأن يتأخيا أو يتصادقا ، أو يكون احدهما سلطانا على
الآخر كما قيل : « **ان المحب لمن يحب مطيع** » ومع ذلك ففيه تفاصيل أخرى
لا تخفى عليكم ان انصفتهم : هاتوا لى مسلمين عاملين بهذه الآية : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**
إِخْوَةٌ » أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ آخى بين الصحابة ؟ ولن
تستطيعوا أبدا ، الا بالقول وقل كذلك الصحبة والوفاء » .

ولما بلوت بنى الزمان ، ما بى وما بهم

ولم أجد خلا للشدائد اصطفى

ايقنست ان المستحيل ثلاثة

القول والعناء والخل الوفى

قال العلامة الغزالي فى المعنى ما لفظه : « فاما ما علمت انه يعلمه - يعنى عيوب الاخ أو الصاحب - فلا بد من التلطف فى النصيح بالتعريض مرة ، بالتصريح مرة أخرى الى حد لا يؤدى الى الایحاش ، فان علمت ان النصيح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار - فالسكوت أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه ودنياه ، اما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال » اهـ

وكذلك مجرد معرفة احدكم آخر اذا اختلفا مذهبا أو دينا أو مبدأ فانه لا يمكن ان يتحدا حالا أو يغلب أحدهما الآخر أو يلزموا كل واحد منهما أعمال الآخر ، وهذا لا يعقل أيضا •

فلم يبق اذن سوى النظر الى عمل كل واحد منهما ان خيرا فخير وان شرا فشر • ولم يبق لكم - معشر السلفيين الا الاستفهام أنا عليوي مثلا أو خلوتي؟ أو شاذلي؟ أو قادري؟ فأجيب ولا ينفعني الحكم بل لا يجوز الا بعد الجواب • ولا أحكم ان الشيخ السلاوى عيساوي أو موساوي مع جزمي أنه يعرف عشرات منهم ويعرفونه ، وانما أنظر الى أعماله لو كنت معه وكان كفتنى أقواله انه اعدى الاعداء للطرفيين •

اما جوابي عن هذا فاني اعلنته قبلكم لا لفضلي عليكم ولكن لسنى وتاريخ تبرئى من كل ما يخالف عمل السلف أو الكتاب والسنة وقلت ما قال امام الحرمين : (انى راجع عن كل قولة قلتها تخالف عمل السلف ، ولم يقلها السلف) ولم يبق أيضا سوى مباهلتي (6) لمن رأى لي عملا يخالف قولى، وأحق الناس بالشهادة على هذا من مضى •

(6) اذا كان الخصم مبهتا لا يقتنع بأى حجة يدلى بها دعى الى المباهلة ، وقد جاء ذكر هذا الاصل فى قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبنته فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة ابنته وابنيهما الحسن والحسين عليهم السلام وطلبهم - أى النصارى - للمباهلة فامتنعوا - ولو فعلوا لاهلكهم الله - وقبلوا بدفع الجزية •

نعم ، كنت منذ أربعين سنة خلوتيا (7) فلما رأيت البدع ، والمخالفة والرقص والطمع واختلاط النساء بالرجال طلقتهما ثلاثا بناتا ، ومع ذلك فقد بقيت اعرف جملة منهم ومن الشيوخ وهم يعلمون انى منكر مخالفتهم (يعنى مخالفتهم للسنة) .

وكذلك صاحبي ابن عليوة يعرفنى انى منكر ما يخالف عمل السلف واشهد الآن بين يديكم انى ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العليوى الا استحسن وسلم حتى قال : ان حملاتك ان كانت علينا مقبولة وان كانت لنا فهي احسن لنا . ويخاطبني قائلا : انك بنظريتك السياسية والاجتماعية تنقاد اليك ونعمل باشارتك (8) . وكذا كان يقول في شيخى طاهر الجزائرى ونحن بمصر ، وعندى الشهود على ذلك وما زال وما زلت طامعا فى ، وطامعا فيه ، أى بان نتفق على كتاب الله وسنة رسوله ، وصرح لى امام جمع انه اذا ظهر لكم - معشر الاخوان - فى الدين والوطن والجنس - ان نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين ، فيها أنا ذا واخوانى ، وشكرته على ذلك .

ولم أر ولم اسمع من غيره من الشيوخ الذين عرفتهم الا الصدد وتضجير الصدد ومقتنى بانى كافر بهم وببدعهم ، وقلت لكم وما زلت أقول انه - الشيخ ابن عليوة يقول لكم : (مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة والامة) (9) .

(7) الطريقة الخلوتية هي الطريقة الرحمانية وكانت أوسع الطرق الصوفية انتشارا بالوطن ولها مواقف وطنية فى حرب المقاومة والثورات وكثير من زواياها كانت معاهد علمية جليلة .

(8) لو صدق لكان أكثر انقيادا له فى السلفية وثوقا بعلمه .
(9) هل كانت هذه دعوة صادقة مخلصه الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة الامة ؟ أم كانت من باب التمويه لارضاء الشيخ أبى يعلى وإبقائه فى كنف العليويين يدافع عن موقفهم عند الحاجة ويحسن الظن بهم ، ولاقامة الحجة على خصومهم ؟ الترييد الثانى هو الصحيح . فان هذه الدعوة لم تنطل على زعيم المصلحين الاستاذ الامام ، فقد علق على هذه الفقرة بقوله رحمه الله :

« **الشهاب :**

« اذا كان هذا الرجل صادقا فيما يزعم فليبادر الى الاعلان بالامر باحراق ديوانه المملوء بالعقائد الباطنية والحلولية ، والتهجم الصريح على مقام الربوبية ومقام الرسالة ، وبالتوبة من جميع ما فيه . والا فان المصر على ذلك الباطل لا يكون زعمه الرجوع الى الكتاب والسنة الا من باب التمويه الذى لا ينطلى =

وبقى أمر ديوانه وشطحات المتصوفة ، فأمر معروف ، وعليه جدالنا معهم .
أما ديوانه فاحلف بالصيغة التي ذكرها خليل صاحب المختصر في اليمين وهي :
« وفى على أشد ما أخذ على أحد » انه - الديوان - ما جاء فى يدي ، ولا طالعته
ولا عرفته ولا سألت عنه . إنما جاء بيدي « كتاب الشهادت » وكتاب آخر فى
الرد على الشيخ عثمان التونسي لا غير !

وبالجملة فقد جعلتكم فى حل من تكفيركم إياي وحكمكم على بالجناية لمجرد
معرفة الشيخ أحمد بن عليوة ، فتحرزوا أنتم ان تعرفوا احدا من الشيوخ ،
فيلغنى عنكم ، وإياكم ثم إياكم .

أما أنا فابتهل ، واستنزل صاعقة تأخذنى أو تأخذ شيخا من شيوخ الطريقة
عرفته وعرفنى - وهم كثيرون كما قلت - ان رآنى منقادا له أو هو منقاد لى لما
يخالف الكتاب والسنة .

والذى لا أجعله فى حل - لا لغيظى الشديد ولا لذنبه الكبير - بل لان
القضية لم تخصنى وحدى اذ تخص الامة عموما وطلبة العلم بالجزائر خصوصا :
هو الذى كتب فى الشهاب ، وتكلم لبعض أصدقائى فقال : فى الشهاب
عدد 74 بامضاء (طلبة العلم بالجزائر) يخاطب الاخ البيضاوى :

« لماذا يقرر الشيخ الزواوي ان الشيخ ابن عليوة اذا تكلم مع المتصرف
والبوليس فالعامل فالوالي فالوزير فرئيس الوزارة ورئيس الجمهورية كفى
وشفى ما فى النفوس ؟ فهل المقصود من المرشدين المجددين للدين - كما قرر
الزواوي فى خطبته - القيام بمهام السياسة من النيابة المالية والعضوية

« الا على بسطاء العقول » اه . دليل التمويه ان العليوى شرط دعوة جميع
رؤساء الطرق وقبولهم فهل يمكن ان يستجيبوا ؟ ثم نقول :

ولقد قامت الحجة التاريخية على صدق ما علق به الشهاب على هذه الدعوة
فان الشيخ ابن عليوة دعى الى جمعية العلماء عند تأسيسها ، واستجاب ، ولكنه
حاول الاستيلاء عليها فى اول سنتها الثانية وحشر « اخوانه » الاميين لانتخاب
من يرضاه رئيسا لها لولا ان تفتن المصلحون فى آخر لحظة ، وكان آلة فى يد
م . (ميرانت) العدو للدود للجمعية وللجزائر ، فلما أخفق الشيخ فيما أراد أسس
أو أسسوا له (جمعية علماء السنة) التى لم تعش سوى نحو سنتين ثم عصفت
بها الامة ، وكان هذا كله بعد نحو أربع سنوات أو خمس من هذه الدعوة .

العمالية والبلدية (10) » اه وهذا ما لا أجعله فى حل لانه جناية على الامة كلها .

ماذا يقول طلبية العلم بالجزائر ، ولكن على مذهب أبى ذر العقبى ، ليظهروا اسماءهم ، وثانيا ماذا تقول الامة وأبناء الوطن فى هذا ؟!

اما أنا فأقول ان قوله قررت ذلك فى الخطبة كذب فى كذب ، وانما قلته فى جوابى الى الاخ البيضاوى جريا على طريقتى وعلى نظريتى وعلى سياستى : انى لو كنت قادرا على شىء من أحوال الامة لكلفت جبرا بالسيف والنطع ان يكون راعى غنمهم وابلهم وجمالهم ووقادهم وفحامهم وفلاحهم وصعلوكهم وحقيرهم وذليلهم ونسائهم وصبيانهم - يحسنون جميع ما ذكرت أنه يحسنه الشيخ عليوة ، وأما امثال الشيخ عليوة من أصحاب الطرق الذين هم تسعة وتسعون بالمائة فى الامة فمن باب اخرى وأولى ان القنهم ذلك والزمهم به شرطا اوليا لقيادة الامة ، وافضيحتاه ، واعاراه !

لو كنت صبيحة نشر الشهاب فى قسنطينة لاشتريت جميع أعدادها ولو كلفنى ما لا أطيع من المبلغ المالى واحفظ تلك الاعداد أو احرقها أحسن ، كيلا تبلغ الاصدقاء اخواننا فى الدين من التونسيين والمصريين والشاميين والتجديين فيحزنهم ذلك .

ولكيلا تبلغ سمع الاعداء فيفرحون ويمرحون سرا بان الحداقة والفظنة والمعرفة والادب والسياسة والنظر - وبالتالي حسن الخطاب والجواب - محتكر فى الجزائر ، بل وفى الاوطان الاسلامية للنواب فى المجالس المالية فقط ، وهم اثنى عشر فقط منتخبون من خمسة ملايين (11) .

(10) كانت هذه هى المجالس المنتخبة التى تشارك فى ادارة الامور بالجزائر تحت الحكم الفرنسى المجلس المالى على مستوى القطر كله ، والمجلس العمالى على مستوى العمالة - وكان فى الجزائر كلها ثلاث عمالات فقط : قسنطينة والجزائر ووهران ، ويسمونها عمالات أو ولايات فرنسية ! والمجلس البلدى فى كل مدينة يكثر فيها الفرنسيون واليهود ، اما حيث الاغلبية الساحقة للعرب فلا وجود لمجلس بلدى يدعونه « بلدية مختلطة » ويمثل المسلمين القياد على ان نواب المسلمين عدد قليل نسبيا : الخمس أو السدس وائر الحرب العالمية الثانية فقط رفعت نسبتهم الى مقدار الخمسين ! وعد هذا من اعطاء الحقوق ! ومن المضحك ان المسلمين كانوا يطالبون بالنسوية فى العدد بحيث يكون عدد من يمثل الفرنسيين - وهم التسع - مساويا لعدد ثمانية أتساع ! (11) كان عدد السكان عام 1927 م ، خمسة ملايين نسمة ، وكان يمثلهم =

واما العلماء - ومعلوم ان شيوخ الطرق علماء (12) والعلماء ورثة الانبياء (13) - فلا تلزمهم الفطنة ولا معرفة الخطاب والجواب ، ولا جدل ولا نظر ، بل يلزمهم ان يكونوا مع الفرنسيين على حد المثل الفرنسي (امشى كما ادفعك) ومعناه عندنا انقياد أعمى . فاذا كان العلماء وشيوخ الطرق صما بكما عميا فمن لهذه الامة المسكينة ؟ واحزانه ! أو بعبارة أخرى فقد صادم هذا الرجل نصوص العقل والشرع . والعلماء ورثة الانبياء كما فى الصحيح (الجوهرة) .

(وواجب فى حقهم الامانة - وصدقهم وصف له الفطنة)

وليس يؤذن بقسوط الدعى مثل محاولة رفع ما لا يرتفع ، مقال ذلك ان الزمنخشرى رحمه الله معتزلى فى مسائل مخالف فيها ، فاذا لم نتفق معه فى تلك المسائل فلا يليق ان ننفى عنه البلاغة والفصاحة اذا عاديناه وكذلك جميع الاوصاف فى المتخاصمين فلا بد من التسليم فيما يسلم فيه ، والافئاد ، والعناد مما يكاد يجعل المناظر مجنونا لا قيمة له . ولهذا كان شيخنا الشيخ الطاهر الجزائرى لا يناظر ولا يجاوب وهو هو رحمه الله .

وبالله من العقول ! - أو يا للحزن على هذه الامة ! ، أو يا للأسف على هذه الاغراض أو أمراض ! وياحزنى على الهدى والصواب ! كذا أراد الله « كذلك يفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »

الزواوى امام جامع سيدي رمضان - الجزائر

= اثنا عشر عضوا مسلما فى المجلس المنتخب 4 عن كل ولاية بينما عدد النواب الاوروبيين يماثل خمسة اضعاف فى المجلس المالى وهو مثل البرلمان فى الاوطان الاخرى ، وعدد المنتخبين الاوروبيين اضعاف عدد المسلمين بخمس مرات أو ستة ثم هم يطالبون باقصاء المسلمين تماما ، بينما كان عدد السكان الاوروبيين لا يزيد - تقريبا عن عشر السكان (نحو أربعمئة أو خمسمئة ألف نسمة) وانما تضاعف عددهم نتيجة انهزام الجمهوريين الاسبان عام 1939 م ، ثم انهزام فرنسا عام 1940م ، وكل انهزام كان يلحق بدولة أوروبية تقبل فرنسا اللاجئين على حسابنا وتعطيهم ارضنا وخيراتنا ، وتمنحهم الجنسية الفرنسية .

(12) سيأتى آخر المقال تعليق ابن باديس على هذه النقطة ثم رد أبى يعلى ثم جواب ابن باديس .

(13) حديث نبوى نصه : « علماء أمتى كانبيا بنى اسرائيل » .

متى كان مشائخ الطرق علماء :

علق الاستاذ ابن باديس رحمه الله على قول الشيخ أبي يعلى فى مقاله السابق (واما العلماء - ومعلوم ان شيوخ الطرق علماء ٠٠٠) بقوله فى الهامش :

متى كان هذا معلوما ؟ وعند من هو معلوم ؟ احسبتم - أيها العالم الفاضل - انكم اذا سقتم هذا الباطل سوق الضرورى المعلوم - يعمي الناس كلهم عن انه باطل صريح ؟ أرضيتم لأنفسكم تقديم هذه المقدمة الباطلة لأجل ان تحشروا شيوخ الطرق فى عموم وراثه الأنبياء ؟ ٠٠٠

اننا نعتقد ان حضرة الكاتب الفاضل أعقل من هذا وأعلم ، وانما - لما تورط فى علاقة مع من ملأ ديوانه - المطبوع الرائج بين أتباعه بتقريره ورضاه الى اليوم - بالعقائد الباطنية الحلولية وما اليها - اضطر الى الدفاع عن نفسه حتى يدعوى ان كون شيوخ الطرق علماء أمر معلوم فاللهم غفرا .



الفصل العاشر

شيوخ الطرق ليسوا بعلماء

«لم يسلم أبو يعلى بما آخذه به الشهاب من قوله : « ومعلوم أن مشائخ الطرق علماء » وأن جعله علمهم من باب المعلوم بالضرورة غير سديد وغير واقع .
وها هو يناقشه فيه ويعلن أن نفي العلم عنهم قضية غير مسلمة ، ولكن نقطة الضعف في جوابه أنه عجز - عندما ضرب الامثال - عن عد ما يقنع بدعواه ويبرهن عليها .

قال الشيخ أبو يعلى تحت العنوان أعلاه ، ونشر في « الشهاب » العدد 90 الصادر يوم الخميس 27 رمضان 1345 هـ الموافق 31 مارس 1927 م .
وقفت في مجلة الشهاب الغراء عدد 84 على اعتراض الشهاب على قولي : ومعلوم أن شيوخ الطرق علماء بقوله « متى كان هذا معلوما وعند من هو معلوم ؟ » إلى أن جعل قولي ذلك من قبيل سوق الضروري المعلوم باطلا لتعمية الناس ، وعلى أني لما تورطت في العلاقة مع الشيخ عليوة اضطررت إلى الدفاع عن نفسي كذا قال . فالجواب :

أما كون شيوخ الطرق علماء فلم أظن أن ينكره أحد ، لأنه من الضروري الجلي المشاهد بناء على أن قولي من باب المجموع لا الجميع ، ومن جهة المصطلح والعرف بأن من درس العلوم الشرعية ولو بعضها كالفقه (علم الحلال والحرام) والفرائض والحساب والتوحيد (علم الكلام) والنحو والصرف فاللغة . والمعاني والبيان حسب المقرر في العالم الاسلامي عموما وفي الأزهر خصوصا .

فهؤلاء يسمون عندنا علماء عرفا وشرعا ، لان علم الحلال والحرام هو سيد العلوم ، فجدير بحامله ان يسمى عالما . وما دمنا أيضا لم نحصر ولم نضبط من نعطي له اسم العالم . ويندرج مع العلماء . ولا شك ، انه مضبوط في الأزهر بشهادة امتحان العالمية ، واما عندنا في هذه الديار فعلى اجازة من ارباب الزوايا التى يدرس فيها الفقه أى يأذن الشيخ المدرس للطالب ليدرس تارة مع كتابة الاجازة ، وتارة بالاذن فقط ، فاذا اعتمدنا هذا - ولا بد ان نعتمده ، والا فلا يوجد عالم الا فى الأزهر (1) ومن الأزهر ، وهذا باطل بل ولو من فى الأزهر فقط فانى أعرف شيخين عالميين من أكابر علماء الأزهر احدهما الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الحالي أبو الفضل (2)، والآخر العلامة الشيخ محمود الخطاب ، وهما بقيد الحياة ، اما الأول شيخ الأزهر فلم أتتحقق كثيرا أنه شيخ الطريقة يعطى الورد اذ لم يصرح لي بذلك عند زيارتي فضيلته عام 1335 هـ . ولكن كان كل منا فى عقيدة الاشعري ، وطريقة الجنيدي ، وكان قصدي أن أسأله هذا لانه هو الذى سألني أولا ثم قيل لي انه من شيوخ الطرق .

وأما الشيخ محمود الخطاب فأشهر من ان يذكر ، ونادى فى مصر باتباع السنة هو ومريدوه ، وعرف بالفقرة هو وتلاميذه فى اللباس وقص الشارب واعفاء اللحي وعادى غالب علماء الأزهر من أجل مخافتهم ذلك ، وهجرهم ملتزما داره ، وله عدة تواليف ، وهو مدرس فى الأزهر معدود فى علماء الأزهر رسميا ، ومن اكابر الطريقين .

وأما فى الشام فأعرف صاحبي وصديقي العلامة الازهري الشيخ خالد النقشبندى الخطيب العام فى مصر والشام ، فانه شيخ الطريقة النقشبندية . والشيخ يوسف النبهاني الذى هو ضدنا وضد صديقنا الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار . ومعنى ضدنا وضد المنار انه ممن ينكر الاصلاحيين

-
- (1) كيف يصح هذا الزعم من أبى يعلى مع ان من يخاطبه - الشيخ ابن باديس - كان متخرجاً بشهادة العالمية (التطويع) من الجامعة الزيتونية بتونس ؟ وكذلك توجد جامعة القرويين وكلتاها : الزيتونة والقرويين - من أقدم جامعات العالم ، والدراسة فيهما مضبوطة معترف بها رسميا ؟ فلم يكن الجامع الازهر منفردا بتخريج العلماء كما يدعى .
- (2) أبو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الاسكندرية تولى مشيخة الأزهر ، لقيه الشيخ ابن باديس اثناء عودته من الحج عام 1332 هـ (1914م) فاجازه .

السلفيين وأنه يرى الولي على غير ما نراه نحن كما هو الخلاف القائم بيننا وبينهم . ولكن مع ذلك كله فإن أعدى أعاديه : صديقي الشيخ رشيد رضا إذا سألناه عن التبهاني فلا يقول انه ليس بعالم ، ولا متى عرف انه عالم ، بل يقول انه من علماء بلدهم ولكنه خرافي ضال مضل ، بل قبوري ومشارك ، وهذا غاية ما يقول الشيخ رشيد وأقول انا ، لا كما يقول الشهاب .

وكذلك شيخ شيوخ الطرق في مصر الشيخ البكري صاحب صديقنا الاستاذ الشيخ رشيد رضا - كما ذكرت ذلك في جوابي للبيضاوي ، واني أكتب هذا جازما بان يصلهم وكانى أكتبه وهم حاضرون وأنتظر الجواب منهم . وكذلك أعرف هنا عندنا في الزاوة ثلاثة بقيد الحياة ، علماء معتبرون من حيث العلوم الشرعية ، ولا أستطيع أن أجاريهم أو أقف معهم فيما عدى الكتابة والخط :

أحدهم الشيخ الحاج أحمد آجذيد ، شيعي حضرت عليه دراسة المختصر ، وختمته مرتين ، ومقدمة الأجرومية مرة ، والتوحيد (السنوسية) مرة .

والثاني صديقي الاستاذ الشيخ أحمد آل يوسف الجنادي فانه بحر لا ساحل له ، يتلو كتاب الله بعدة قراءات : ورش ، قالون ، عشر ، واما الفقه والفرائض والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق فحدث عن البحر ولا حرج .

والثالث الشيخ أحمد أبو القاسم البوجليلي فهو مثل الشيخ الثاني، وكانت قراءتهما على أبي الثالث الاستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو القاسم أعلم علماء الزاوة في عصرنا، وعنه اخذ أستاذنا المرحوم ابن زكري الشيخ محمد سعيد مفتي الديار الجزائرية ، وهذا - أعني الشيخ محمد أبو القاسم - شيخ طريقة ، خلوتي .

وأما كوني تورطت في العلاقة مع الشيخ عليوة الى ان اضطرت للدفاع عن نفسي فالجواب عنه :

أنى أعلنت عن نفسي اني سلفي ، وأعلنت اني تبرأت مما يخالف الكتاب والسنة ورجعت عن كل قولة قلتها لم يقلها السلف الصالح كما قال امام الحرمين أبو المعالي ولعننت الباطنية وسمع ذلك مني الخاص والعام ، فاتضح

مذهبي وديني ، وكذلك أعلن الآن انى إصلاحى كاتب على قدر معرفتي ،
اجتماعي عمراني سياسي .

فالذى يتصف بهذه الصفات ويعلمها عن نفسه فلا بد ان يجتمع ويعاشر
ويكون مدنيا ، فاذا توحش واعتزل وعاجر الناس كلهم - والحال ان أكثرهم
عصاة مبتدعون وعلى انه واحد منهم فى الهيئة الاجتماعية من الجنس والدين
والوطن - فاذا فعل فقد ناقض ما يقول ، أى فليس باصلاحى ولا سلفى
ولا عمرانى ولا مدنى ، وعليه فانى لا أعد واحدا منا - معشر السلفيين - اذا
عاشر احدا من المخالفين أو جماعة أو أمة - انه متورط فى العلاقة ، ولا أمره
ان يقطع العلائق من جميع المخالفين فى المسائل الخلافية فيبقى اذا مع الاحجار
والاشجار ، فانى فى هذا معاوية ، اذا مدت شعرة بينى وبين الناس اجذبها
واذا انجذبت ألينها ، وانما أريد ان ينظر الى اذا كنت مع مخالف الى احد
أمرين : اما ان يصيرنى اليه ، أو اصيره الى ، والا فالأنبياء عليهم الصلاة
والسلام جاءوا ليعاشرُوا الخلق ويجتمعوا ، وليدعوهم ، ولا يكون ذلك
بالاعتزال عنهم ، وكذلك المرشدون العلماء .

وأرى فى أخلاق كثير من طلبة العلم بديارنا هذه - هذا الخلق النزق ،
وضيق دائرة المعرفة ينزعون لأدنى شىء الى المعادة والمارة .

وفى علمي أن أول ما يدرسون خطبة خالد الازهري فى شرحه على
الاجرومية « الحمد لله رافع مقام المنتصبين لنفع العبيد، الخافضين جناحهم
للمستفيد » ولكنهم لا يعتبرون فى ذلك غير أنهم لحنوا أو لم يلحنوا، والتحرير
منهم من يتعجب فى براعة الاستهلال اذا تكلم بالرفع والنصب والخفض .

والسادة الصوفية لا يزيدون على التعجب فى قول الحسن بن أبى طالب
رضى الله عنه : « لو شتمني أحد فى اذنى اليمنى ، واعتذر الى فى اليسرى
لقبلت منه » .

هذه اخلاقنا - أهل الجزائر - اجتماعية ، دينية ، أدبية سياسية ولا تسع
حوصلة سيد منا خردلة لكل ضيق ، حسبى الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

الجزائر : الزواوى أبو يعلى

ليسوا بعلماء وإن وسمهم أبو يعلى بالعلم

أجاب الشهاب على دعوى الشيخ أبى يعلى رحمه الله فى تخرجتين على قولين له فى مقاله هذا فقال عندما انتهى أبو يعلى من عد العلماء الطريقين :

1 - « يدعى الاخ أبو يعلى ان شيوخ الطرق علماء فى معرض الدفاع عنهم والتعظيم من شأنهم هكذا على الاطلاق والاجمال ، وهم فى هذا الشمال الافريقى يعدون بالآلاف قد ملأوا المدن والقرى والمداشر ، واحتلوا السهل والجبل »

ثم لما نوقش الحساب فى هذه العبارة جاءنا - بعد البحث والتنقيب فى الشرق والغرب والخروج عن دائرة الوطن الذى هو محل البحث ، - جاءنا - أراح الله تعبهُ - بأقل من عدد أصابع يديه (1) !

لنتساهل مع حضرته ولنكمل له عدد المائة من الهواء ٠٠٠ فيكون حاصل هذه العملية الهوائية الهوائية ٠٠٠ هكذا : مائة من شيوخه العلماء فى آلاف مؤلفة من شيوخه الجهلاء . ثم اليس من الحق ان يقال له بعد هذا : انما مثلك كمن قال فى جلد حمار أسود فيه موضع كف أبيض انه أبيض فلما قيل له فى ذلك قال - بكل قوة - نعم هو أبيض ، اليست فيه بقعة بيضاء ؟ ان كلامى من باب المجموع لا من باب الجميع ؟ ٠٠٠ وهل بعد هذا المنطق يحسن بنا ان نطيل المناقشة مع فضيلة الشيخ أبى يعلى ؟

(1) حسب أبو يعلى تسعة ثلاثة مصريين : أبو الفضل ، والخطاب ، والبكرى واثنين من الشام : خالد النقشبندى ، والنبهاني . وأربعة من الجزائر : آجيز والجنادى والشيخين أحمد ومحمد أوبلقاسم .

2 - وقال عند انتهاء أبى يعلى من الاحتجاج على انه لا يحسن اعتزال الناس وخصوصا المرشدين منهم :

« يا ابا يعلى : ان اخوانك السلفيين لم ينكروا عليك معرفتك بصاحبك ، ولا معاشرتك لأتباعه ، ولا إتيانك لمجامعهم ، فهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم عاشر الكفار والمنافقين ، وكان يغشى يهود المدينة فى مجالسهم ، وانما أنكروا عليك مدحك وثناءك على شيخ هذه الطائفة ، وسكوتك عما فى ديوانه المطبوع بإذنه ، الرائج بين أتباعه بتقريره المملوء عقائد حلولية صريحة وتهجمات على مقام الربوبية ومقام النبوة سخيفة .، واغضاءك عما فى الكتب المنسوبة اليه من أحاديث موضوعة وتحريفات باطنية لكلام الله وكلام رسوله ، وانت الرجل المعروف بشدة الإنكار على السيوطى ، وابن عربى ، والشعراني وغيرهم . هذا هو الأمر الغريب منك ، والمنكر عليك ، ومحل الريبة فىك .

فاذا استطعت ان تخصص شيئا من وقتك النفيس لنقد ديوان الضلال ، وكتب التحريف والتخريف نقدا علميا نزيها كما أنفقت كثيرا من وقتك فى نقد أولئك الشيوخ المذكورين، فانك تكون قد برهنت على صدقك وإخلاصك ونزاهتك وبرأت ساحتك من قولة كل قائل فىك، وان لم تفعل فانك اذا من الظالمين ، اهـ .



الفصل الحادى عشر

لا تغفُ إنك أنت الأعلى

« هذا عالم كبير من أشقائنا المغاربة يعرب عن عواطفه الصادقة وتأييده التام لحركة الاصلاح التى يقودها ابن باديس واستهجانه لما قام به الجانى من محاولة الفتك به . وهذا الموقف منه قد كلفه غاليا اذ عزل من منصبه وابتعد من فاس بتدخلات من خصوم الاصلاح واضطهاد من حكومة فرنسا المتحالفة معهم .

قال الشيخ محمد غازي مدير المدرسة الناصرية بفاس تحت العنوان السابق ونشر فى العدد 86 من الشهاب الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ الموافق 3 مارس 1927 م .

« أكتب ما أكتب وأنا متأثر جدا مما دبره أصحاب الاغراض السافلة والمطامع الاشعبية ضد شخصكم الموقر - يايتها العالم الكبير والمصلح الخطير، كفانا دليلا على زعامتكم الاصلاحية ونزاهتكم الشخصية مجلة الشهاب الغراء التى تصدر تحت إشرافكم ورأيكم المحمود ، تلك الجريدة الوحيدة فى بابها التى خدمت الاسلام والمسلمين عموما والاصلاح والمصلحين خصوصا ، تلك الجريدة التى كان الشمال الافريقي متعطشا لمثلها منذ زمان، فجاءت بعد طول الانتظار نرفل فى ثوبها الاصلاحى القشيب بتلك اللهجة الحارة والحكمة الكبرى (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شىء) ، فهزت اعطاف المفكرين، وافزت قلوب الغافلين ، فانتبهوا بتلك الصيحة ودبت اليهم روح الحياة بتلك

النفخة ، فتهافت الناس عليها تهافت الفراش على السراج (1) حركت أقلام القاصرين وانطلقت ألسن العاجزين ، أما الكتاب والمقتدرون فمسرعى ولا كالسعدان (2) هنالك ابتلى المغرمون وفتن المدعون فما استفاقوا من لذيد أحلامهم ونشوة ترعاهم الا وعوراتهم مكشوفة ، واباطيلهم مفضوحة ، والناس تنقم عليهم من كل صوب وحذب ، فايقنوا ان نجمهم قد أفل ، ونفوذهم قد ضال ، فولوا الأدبار ورجعوا الى أنفسهم وقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم وقالوا : انصروا أنفسكم ان كنتم فاعلين ، فوثبوا الى عالم من علماء المصلحين وزعيم من زعماء المفكرين فأرادوا به كيدا فجعلهم الله الأخسرين ونجاه ولكن بادوا بالاثم العظيم .

على رسلكم - أيها الطريقون - ما هذه الهجمة ؟ أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ هذا وانتم تزعمون الخصوصية وتدعون الولاية والاجتباء ؟ اذكروا هل يحل غذا في شريعة الاسلام أم انما حرم على أمثالنا من العوام ؟

نحن لا ننكر عليكم شيئا من غذا لأن سبك الدماء شعاركم ، وازهاق النفوس دينكم . واذا كان ذلك جائزا ان تفعلوه بعضكم ببعض فكيف بخصومكم والد أعدائكم على زعمكم ؟ وانما نرجو من عطوفتكم أمرين :

1 - ان تحصوا لنا على صفحات (جريدتكم) عدد القتلى في برلمانكم الصحاري (الديوان) حيث سيقع بينكم احتدام كبير ، وجدال عظيم في استئصال جرثومتنا نحن المساكين الذين نريد ان نبدل دينكم وان نظهر في الارض الفساد !! لما نعلمه علم اليقين من ان (حضراتكم) مظاهر التجليات ومما يوجد في هذا الوقت الحاضر ، بل له الاغلبية الساحقة ، أنصار السلم العام والرحمة بالانسان كيفما كان .

(1) هذا الاعتراف الثاني الذي قرأته لاحد كبار علماء القطر المغربي الشقيق في تأثير الشهاب وصاحبه في يقظة المغرب ، والاعتراف الاول قرأته لزعيم النهضة المغربية ومؤسس حزب الاستقلال العلامة الكبير محمد علال الفاسي الذي كان من كتاب الشهاب أيضا وشعرائه أثناء هذه الحقبة ، وقد أعلن فضل الشهاب وصاحبه عليه في تصريح قرأته ونقلته جريدة (الشعلة) عام 1950م، رحم الله الجميع .

(2) مثل من أمثال العرب يقولونه في استحسان الشيء يروونه ولكن دون مثله مما سبق معرفته ، والسعدان نبات شوكة تسمن عليه الابل .

2 - ان تبيينوا لنا المنتصر من الفريقين فى هذه المعركة الهائلة : هل دعاة القسوة والارهاب (اليعقوبيون) (2) أو أهل الشفقة والاعتدال (الجرونديون) (3) لتبين مصير العالم هل الى سلم عام أم الى حرب عالمية قد تحيرت فى ذلك انظار الساسة العظام فى هذه الايام ، ولكم الشكر والسلام .

كفاكم - أيها الطريقون - من هذا ، ودعوا عنكم ادعاء التصوف فقد ألزقتم به مخازى كبيرة يبرأ الى الله منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب (4) لا تتذرعوا الى إذايتنا وأكل لحومنا والقضاء علينا باننا ننكر التصوف ، ولا على الصوفية ما لا ينكر . وانما عليكم أنتم أعمالكم التى لا توافق التصوف ولا الاسلام معا .

لا تظنوا اننا نجهل التصوف أو لا نقدره ، كلا . ولكن نحن أعرف به منكم فقد أخذناه من مصدره طاهرا نقيا ثم عرضناه بعد على الكتاب والسنة فما قبلناه قبلناه ، وما لم يقبلناه رفضناه اهتداء بهدي أربابه واقتداء بعمل أصحابه (5) ، أولئك العلماء بالله الذين أتاهم الله العلم والحكمة ، وخصهم بفهم أسرار دينه والاعتبار بآياته الكونية والتبصر بسنته التى لا تبدل لها . أولئك هم العلماء الاعلام نور الله بصائرهم وطهر سرائرهم ، وكشف عن قلوبهم حجاب الغفلة وعماية الضلال فتفجرت ينابيع المعرفة من صدورهم ،

(2) اليعقوبيون هنا حزب من الثائرين الفرنسيين المتطرفين كانوا يعقدون جلساتهم فى كنيسة كانت تابعة لرجال الدين الذين ينتمون الى سان دومنيك ويلقبون أيضا باليعقوبيين وكان على رأس هؤلاء الثائرين زعيمهم السفاك رويسير الذى بسط الارهاب لما تولى الحكم فقتل كثيرا من زعماء الثورة ثم قتل بدوره عام 1794 م .

(3) حزب سياسى من الثوار ايضا من اليمين توصلوا الى الحكم بعد سقوط لويس السادس عشر عام 1892 م ، ثم انتزعت منهم السلطة اثر هياج شعبى وقتل منهم 21 فى 31 أكتوبر 1793 م .

(4) ابن يعقوب هو يوسف عليه السلام . ألقاه اخوته فى الجب ثم جاءوا اباهم عشاءً فيكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . فالذئب المتهم من أبناء يعقوب برى ، بدون شك بشهادة الله سبحانه فى القرآن لهذا يضرب به المثل فى وضوح البراءة وكذب التهمة .

(5) علق الكاتب هنا بقوله : كان الجنيد رضى الله عنه يقول : تظهر لى النكتة من علوم القوم فلا أقبلها الا بشاهدى عدل : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وانبجست منها عيون الحكمة ، ونفذت سهام عقولهم الى بواطن الاشياء ومقتضيات الصفات والاسماء، فراوا بانوار الهداية المحمدية في الكتاب سطورا « ونريد ان نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونَمَكِّنَ لهم في الأرض » .

« وما خلقت الجنَّ والانسَ الا ليعبدون، ما اريد منهم من رِزْقٍ وما اريد ان يُطعمون، ان الله هو الرَّزَّاقُ ذو القوة المتين » .

« انما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وانَّ الآخرة هي دارُ القرار » ، « فلا تفرَّجْكم الحياة الدنيا ولا يفرَّجْكم بالله الغرور » .

بل سمعوا بأذان الحكمة والاعتبار « أفلا يتدبَّرون القرآن » ، « فاعتبروا يا أولى الابصار » ، فامتثلوا أمر الله وتدبروا وتبينوا في اختيارهم ما يبقى وتبصروا ، ونفضوا أيديهم من غير الله ، اذ علموا انه لا يضر ولا ينفع ، وافرغوا قلوبهم لله ، واشتغلوا لعيوبهم ، وأخبتوا الى ربهم ، وأخذوا حذرهم، ووقفوا عند ما حد لهم ، وقاموا بحق الورثة اكبر قيام (6) .

نظروا بافكارهم الثاقبة وآرائهم الصائبة الى مقام الخلافة الالهية الذي منحه الله للانسان بقوله : « **إني جاعل في الارض خليفة** » ، « **وبجعلكم خلفاء الأرض** » ، فأكبروه فترفعوا عن الاغيار ، وانسلخوا عن الشرور والاشرار ، اجلالا لمرتبتهم ، واخلاصا لله في عبوديتهم ، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : « ما أحببت شيئا الا وكنت له عبدا ، وهو لا يرضى ان تكون لغيره عبدا » (7) . بهذا ، وأعظم من هذا نالوا الخصوصية وأدركوا الولاية والاصطفاء وحاشاهم - ومعاذ الله - ان يكونوا على شيء مما أنتم عليه ، فلا نسبة بينكم بل هم - عندي - أعظم واجل من ان نفضلهم عليكم :

الم تر ان السيف ينقص قدره اذا قيل هذا السيف خير من العصا ؟

(6) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » .
(7) علق صاحب المقال على قول ابن عطاء الله بقوله : « لا ينافي هذا الكلام محبة الانبياء والصالحين لان حبهم لله وفي الله » اه يشير بهذا التعليق الى أن حب الانبياء فرض واجب . ولا يكون المسلم مومنا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وان يكون رسول الله - فداء أبى وأمى - أحب اليه من أمه وأبيه ونفسه التي بين جنبيه .

ولذلك لا تعدونهم انتم من أهل « الحضرة » وأصحاب الدائرة والعدد كالجنيد والكرخي (8) ، والثوري والسقطي وابن عياض ، والجيلاني ، وابن مشيش وامثالهم لأنهم لا يعرفون قطبا (9) ولا غوثا ولا يدعون لأنفسهم تلويحا ولا تمكينا، ولا عاقروا المدام بين الندامي ، ولا افتتنوا بالحدود والقدود ولا لزموا صهر (10) العقود ونقر العود ، ولا وقفوا على تلك الحدود أو قالوا بوحدة الوجود (11) حقا ليسوا من عرائس (حضرتكم) وأفراد جماعتكم ، بل ليسوا على شاكلتكم، وإنما هم علماء اعلام وأئمة عظام وفلاسفة الاسلام .

كل ذلك والفقهاء لهم بالمرصاد لا ينبسون بكلمة في فلسفة الاسلام ومدينة القرآن وسنن الاجتماع والعمران حتى تقوم قيامتهم وتدول دولتهم حفظا لكيان الدين وسياجه المكين ان يدخل فيه المغرضون ما ليس منه ، أو يلبس على العامة المتشبهون بالصوفية فيخبطون خبط عشواء ويضللوا العباد ويدعوا الى جهنم وبئس المهاد ، وصونا للحكمة عن غير أهلها أو وضعها في غير محلها (12) .

(8) الجنيد امام الصوفية ، من علماء السنة استاذ السري السقطي الذي مات ببغداد ، الكرخي هو معروف الكرخي امام زاهد سبقهما ، والفضيل ابن عياض عاصر هرون الرشيد وكان من العباد ، والجيلاني هو الشيخ عبد القادر توفي ببغداد . وكان عالما سنيا يجمع الطلبة ويعلمهم ويقوتهم ، وسفيان الثوري من رجال الحديث والفقه وله مذهب اندلس .
(9) علق الكاتب هنا بقوله : « ما ينسب الى ابن مشيش من ذلك اراه مكذوبا عليه ، ولي على ذلك أدلة » اهـ وابن مشيش من الصوفية المغاربة وتنسب اليه شطحات ، وهو في سند رجال الشاذلية .
(10) علق الكاتب هنا بقوله : « هذه العبارة وقعت في شعر الششتري حيث قال :

قد وقفت على حدود تلك الحدود ولزمت صهر قعود ونقر عود » اهـ من اضلال الشيطان لبعضهم انهم يزعمون سقوط القيام بالتكاليف اذا بلغوا درجة ما في التصوف .

(11) ابطال القول بوحدة الوجود منهم ابن عربي الحانسي ، وابن الفارض ، وابن العفيف النلمساني ، وجلال الدين الرومي الخ . . .

(12) كان الامام أحمد ابن حنبل شديد التكثير على كل ما يبدو منهم مما يخالف الشريعة ولا يثق بهم ولا بديانتهم وزعدهم ، وحتى بعض هؤلاء الأئمة الذين برأهم صاحب المقال . وقد ألف ابن الجوزي البغدادي الواعظ الشهير كتابا سماه « تلبيس ابليس » وأنكر عليهم كثيرا مما نسب اليهم ولم يسلم من نقده كبارهم . وكان مالك لا يقبل رواية زاهد يرغب عن المباح .

بهذا وذاك قام أمر الدين وارتفع مناره وعلا عماده : قبض هؤلاء الفقهاء على أمر الدين بيد من حديد فسدوا الذرائع ، والجموا كل قوال - مهما كان حاله - بلجام ظاهر الشريعة المتفق عليه ، ولم يلتمسوا لاحد مخرجا ولا خلقوا له عذرا .

ولولا ذلك لعطلت الاحكام وانتهكت الحرمات ، وضاعت الحدود وقال كل في الدين ما اراد . فلما مضى أولئك الصوفية المحقون ، والفقهاء المجتهدون وجاء من بعدهم ادعياء الفتن ودخلاء العلمين (وافق شن طبقة) واصطحب المتفهمة الجاهلون ، والمتصوفة الكاذبون فاستبدلوا الباب بالقشور (13) واشتغلوا بما لا يسمن ولا يغنى من جوع . بل غفلوا عن مواقع الخطا ومزلة الاقدام ، وتركوا - بتواضعهم أو عدم ثقتهم بكفاءتهم العلمية - أمر الدين فوضى في يد الجاهلين ، وأجلوا حامية مراكز خط الدفاع عن الشريعة المطهرة بدعوى التسليم لاولياء الله من غير ما بحث معهم ولا تمحيص للمحققين من المبطلين . اذ ذلك سنحت للمتريصين بالاسلام الدوائر - الفرصة ، ووجدوا لاتحادهم متسعا ولدجلهم محالا ، فاقسدوا من العقول ما استطاعوا وشوهوا في وجه الدين ما قدروا ، وأتوا - بدعوى الصوفية والتصوف - ما يسود منه وجه الانسانية ، وتقشعر منه جلود الذين لا يعقلون .

هنالك لفظ حملة الشريعة نفس نفوذهم الاخير ، ووضعوا تراث مجدهم التالذ ، مجد الوراثة المحمدية (14) بين مشائخ الطرق الغاشمين ، فما كان من هؤلاء الا أن ركبوا العصا ، واتخذوا السهى - لا عن جدارة - مسكنا وأوهموا عوام الناس - بل عامتهم ان بيدهم تصارييف الامور ومفاتيح المقدور ، فوقع ذلك في النفوس حيث لم يجد معارضا ، ورشح في القلوب اذ لم يسبق لها ما يخالفه من عقائد الدين الصحيحة السالمة كما قيل :

أتاني هواها قبل أن اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(13) كذا ، والصواب : استبدلوا القشور باللباب قال تعالى : « استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير » فالباء تدخل على المتروك المرغوب عنه . (14) هي وراثة العلم التي أشار إليها الحديث (العلماء ورثة الانبياء) وفي المحاوراة بين الشيخ أبي يعلى وبين صاحب الشهاب ما يثبت ان مشائخ الطرق ادعوا وراثة الانبياء مع جهل معظمهم - وحسبهم أبو يعلى في العلماء وادعى ان هذا معلوم ضرورة . وقد سبق ذلك .

بادروا الى استغلال هذه السلطة الروحية التي اثمرت بذورها على يد من كان بالامس يعكس آمالهم ويعاكس ارادتهم ، ويقف وقفة الحارس المتيقظ في وجه من يهاجم الاسلام بما لا يليق .

استثمروا هذه السلطة بعد ما دعموها بتلفيقات لا حظ لها من الصحة ، ولكن نسبوها الى بعض من يعتقد من الصالحين المتقدمين ، ونسجوا من عندياتهم على منوالها كالشياطين « يُلْقُونَ السَّمْعَ وَاكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ » ليموهوا على الناس انهم خلف أولئك الذين بان فضلهم ، وعظمت منزلتهم ، وانهم على آثارهم مقتدون . وهيئات ! هيئات ! ان يلتقى سهيل والسهي (15) وأين الثرى من الثريا .

فقل لقتيل الحب وفيت حقه وللمدعي هيئات ما الكحل كالكحل وكيف يطعمون ان ينالوا ذلك المقام ، وقد ناقضوا أصل الصوفية وفرعهم ، وخالفوا رمزهم وشعارهم ، فتكالبوا على الدنيا ، وسفلت أخلاقهم ، وطاشت أحلامهم ، وزادوا على ذلك أمورا أتجاشى عن ذكرها ، وأترفع عن وصفها ونعتها . ومع ذلك لا يستحون ان يجاروا أمام الناس بأنهم صفوة الصفوة ، وخاصة الخاصة ، قال قائلهم :

هم الرجال أدام الله مجدهم والغير والله أوباش وغوغاء !
فى حين أنا لا نسلم لهم معشار عشر ذلك ، بل لا نرى لهم قلامة ظفر حتى من التشبيه بأولئك الأماجد العظماء ، ويا ما أسعدهم ، وأوفر حظهم ، لو نالوا تافها من التشبيه الصحيح بأولئك القوم فكانوا كما قيل :
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح ولكن :

طلب الابلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الانوق (16)

(15) سهيل نجم بهي الطلعة يمانى مشهور عند العرب مذكور فى اشعارهم . والسهي كوكب خفى من بنات نعش الصغرى لخفائه تمتحن به الابصار ، وفى أمثالهم (أريها السهي وتريني القمر) .
(16) الابلق الفرس فى لونه بياض وسواد ، والعقوق الحامل ، والذكر لا يحمل ، وهذا مثل يضرب لمن يطلب محالا وقد تمثل به معاوية رضى الله عنه فيمن طلب منه قلما منعه طلب أكثر منه .

فهم كما قيل :

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها
استفادوا من تلك السلطة الموهومة ففتكوا بالأمة فتكا ذريعا، واثقلوا
كواهلها بالضرائب ، والزيارات ، واختلسوا أموالها بضروب الحيل واصناف
المكر والخداع، حتى تركوها وما لها من ناطق ولا صامت ولا تملك معهم فتىلا .
ثم ما وقفوا عند هذا الحد حتى زادوا عليه طورا ، فاستخدموها بقضها
وقضيضها فى مصالحهم الشخصية وحاجاتهم النفسية ، واغراضهم
الشیطانية، بل زادوا عليه أيضا . . . الى ما تعلمه وتراه .

ولا تزال الأمة ترزح تحت اعبائهم الثقيلة الى الآن من غير ان تأخذهم
عليها مرحة ، أو يرقبوا فيها إلا ولا ذمة . ما هكذا - والله - التصوف
يا صاح .

التصوف علم وعمل ، اما العمل فهو التخلق بأخلاق الله والتأدب بأداب
الحنيفية السمحة ، وتقوى الله سرا وعلانية ، ومخالفة الهوى ومحاسبة النفس
على النقيير والقطمير .

واما العلم فهو المرشد الى ذلك والدليل على عظيم هاتيك المسالك ، وأهم
ما يتخلق به الصوفي الحقيقي : الصبر عند البلية، والسماحة، والاناة، والعلم،
والعفو، واحتمال المكاره، والرضى بالقضا، والزهد، والقناعة، والورع، وعدم الغضب
الا لله، وحب الخير لجميع المؤمنين بل لجميع الناس، ومسالمتهم، ورفع الاذية
عنهم، وبعبارة أجمع وأخصر : هو التأسي بصاحب الشريعة صلى الله عليه
وسلم قولا وفعلًا وحالا. قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

ولا يخفى على القارى، النبیه ما ينبج عن هذه الخلال العظيمة والاعمال
الكبيرة والمجاهدات الاخلاقية الكريمة - ان صاحبها إخلاص - من العلوم
الدنية والمعارف الربانية ، والمواهب الصمدانية - للحديث الشريف « من
عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكذلك كان ، فقد كرع الصوفية
من موارد المعارف والأسرار ورووا فنالوا من العلوم بغيتهم ، وأدركوا أمنيتهم،
فاتوا من فلسفة الدين بالمعجب العجائب ، ولهم فى باب الارشاد والحكم

ما يبهر العقول ويدهش الالباب ، ومن غرر كلامهم (رض) فى ذلك : « لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله » . « الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها » ، « من علامة الغرور ترك الواجبات والمصارعة الى نوافل الخيرات » ، « الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك » ، « ما حرموا الوصول الا لتضييعهم الاصول » ، « الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية » ، « متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو فى كل حال متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك » .

هذه نقطة من بحار معارفهم الزاخرة ادرجتها هاهنا لينفذ منها الى اكنانه مراتبهم العالية وعلومهم الغزيرة . ومع ذلك فما أوتوا من العلم الا قليلا . هؤلاء هم الصوفية حقا ، والعارفون صدقا ، نجيبهم – والله – حبا نجما ، ونقندى بهم ما أمكن على قدر وسعنا ، وجهد طاقتنا ، « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » . على أنى لا ازكى نفسى كما لا ازكى على الله احدا ، وليس من قصدى التبجح بمعرفة حقائق التصوف وأسراره ، أو التلويح الى أنى ممن ضرب فيه بسهم فتقول عنى (مادم نفسه يقرئك السلام) لا . والله لقد صدقتك الخبر وانى اعرف بأمرى من غيرى فما ذقت ... ولو من ثمالتهم – جرعة وليس لى فى غنيمتهم قرعة .

وابن اللبون – اذا مالز فى قرن – لم يستطع صولة البزل القناعيس وانما ذكرت ذلك فى معرض الاستدلال ليعلم هؤلاء المدعون اننا نعرف الصوفية وان لم تكن منهم ، ولا نبخسهم حقهم ، أو نضع قدرهم كما لا نظريهم ولا نكيل لهم الشاء جزافا .

أترى بالله عليك أيها القارىء المنصف ان رجالا كهؤلاء العلماء يسمون أنفسهم بسمات الألوهية ، أو يدعون لأنفسهم ما خرج عن حدود الشرع ! كلا ، ثم كلا ، وحاشا ومعاذ الله ، هم براء من ذلك ، وان نسبته السفهاء اليهم افتراء عليهم وبهتاننا واثما ميينا .

أترى انهم يرضون ان يوصفوا بما يصفهم به هؤلاء الجهلاء أو يعظموا بمثل ما يعظمون به الآن ! لا . لا ، ورب الكعبة .

اتراهم - لو وجدوا فى هذا الوقت - يصبرون على هذه الجرائم التى توتى باسمهم ولا يكونون أول رام معنا لهؤلاء المردة بسهم العقاب والملام ، ثم يطعان أسنة الأقالام ، الى ان ينزلوهم عن مراتبهم ويبينوا للناس أجمعين انهم قطاع الطريق ، لا شيوخ الطريق ، وانهم جرائم الفساد يمتصون دماء الناس ، ويستنزفون أموالهم ، ويفسدون عليهم دينهم وعقائدهم ، فيتركونهم ولا دين ولا دنيا ؟

اتراهم يسمعون ما دخل علينا من الاوهام والخرافات والمرائى الكاذبات فلا يغارون على دينهم ولا ينتصرون له ؟ وهم ذادته وحماته ورجاله المخلصون ؟ الصوفية - رضى الله عنهم - لم يكن لهم شئ من هذا ولا عرفوه وانما كان حالهم كما ذكرنا ، والتصوف حقيقة ما قلنا يسائر الاسلام حيث سار ، ويتوجه معه كيفما دار ، يقبله العلم الصحيح ويؤيده الدين الحق فهو كما قال الجنيد (رض) : « علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة » وكان الصوفية أيامئذ علماء ، فقهاء ، محدثين وفى ذلك يقول الجنيد : « علمنا هذا لا يصلح الا لمن قرأ القرآن وكتب الحديث » فحفظوا بذلك من تلبسات الشيطان فلم يكن لهم شئ ينكر ، الا ما لم يسلم منه بشر ، من فلتات نظرية وعثرات لسانه (17) . ومن ذا الذى ترضى سجاياء كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه على ان كلامهم لم يكن - ولن يكون - ككلام من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم يجب قبوله مهما صح ، بل ما كان موافقا لصريح الكتاب والسنة قبلناه ، وما لا ، فلا . مع التماس العذر مثل فلتة ، عثرة ، غلطة والظن بهم على كل حال جميل .

اما أنتم المنتسحون - فجئتم بعد ما طوحت به طوائف الزمان ، ورمت به نوائب الحداث ، فما كان منكم الا ان تدرعتم ببعض اصطلاحاته عن طعن المنكرين ، وحاربتم باسمه حزب المصلحين ، ولكن سيهزم جمعكم وتولون الدبر فاربعوا على أنفسكم « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

(17) هذه الفلتات اللسانية هى ما يسمونه (الشطحات) تصدر منهم وقت الغيوبة (والحال) فمن صدرت منه حالة الوعي فهو مؤاخذ بها لا محالة ، ومن صدرت منه وهو غائب عن الوعي ان وجد لها مخرجا عفى عنه ، اذا اشتهر بالفضل ، وان أصر عليها أو لا مخرج لها عوقب وكذا ان لم يشتهر بالفضل .

ألم تعلموا أن مقاومتم هذه لا تزيد الناس الا نفورا منكم وحقدا عليكم حيث بكل حركة من حركاتكم الدفاعية - تفتضح عورة كانت عندكم مستورة ، وتبرهنون للناس على بطلان مدعائكم - فانتم تعينوننا من حيث لا تشعرون . وتخربون بيوتكم بأيديكم وأيدي المصلحين .

أنصفوا ، فهل كان الصوفية ينتصرون لأنفسهم ؟ لا . ولكنهم يسلمون ويرضون لأنهم يرون الفعل حقيقة من الله ، ثم هو الذى يتولى نصرهم من حيث لم يحتسبوا .

أين هو صبركم على الأذى واحتمالكم للمكروه ؟ ألم تسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ؟ أو ما كان من الدين ان تكتفوا بالكتابة فى الجرائد والقول ، فتبينوا للناس مذاهبكم واعتقادكم ، وتدفعوا ما يوجه اليكم من التهم ، وتكشفوا عما أحاط بكم من الشبه ، فيرجع بعضنا الى قول بعض .

ولكن أبيتتم الا ان تظهروا للناس خبث نواياكم وفساد طويتكم ، وتبرهنوا على ما تضررونه من السوء لمن يريد أن يغير منكرا أو يبين حقيقة .

ما فتكنتم الا بانفسكم . اما نحن فقد انتصرنا، وأديننا الواجب، وبلغنا الدعوة، فان هلكنا فى سبيل الله ، وان نجونا فقد عاهدنا الله ان نذب على الدين الى ان يظهرنا على القوم المجرمين .

ذكرتمونا بتدبيركم قضية اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس بجماعة الفدائيين و (شيخ الجبل) (18) بل هى أشبه بكثير بالقضية التى حكاه عن نفسه ابن العربي فى الاحكام حيث ذهب ليناضل امام الاسماعلية فلما غلبه ارادوا قتله لولا ان تظن فاسرع بالهروب حافيا .

(18) جماعة من الباطنية كان لهم شيخ يسكن بهم أعلى قمة جبل ويؤجرون انفسهم لمن آجرهم ، ولهم جراءة فى الفتك عظيمة لا يكاد يفلت منهم ضحيتهم، ويسمون أيضا الحشاشين لتناولهم مخدر الحشيش ، ومن لقبهم هذا جاء نعت كل مفتال (حشاش) فى الفرنسية وينطقون بها (أساسان) .

ولكن هل غاب عن حضراتكم ان قتل النفس حرام بل من أكبر الكبائر ، قال تعالى : « ومن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا » (19) الآية . ومهما وجدنا من عذر لأولئك لا نجد لكم عذرا ، لأن الفدائيين والاسماعيليين كفار ، لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، اما أنتم فاستحي ان أقول مثلهم ، وان كان مذهب المتصوفة يلائم كثيرا مذهب الباطنية (20) .

وقبل البحث عن هذا التشابه الكلي وما سببه ؟ أبرى، ساحتكم من ذلك ، لأننا نراكم تذكرون الله جهرا وتجعلون السبح في أعناقكم ، وتصلون أمام الناس . وان كنت أعلم ان الباطنية كذلك لا يتظاهرون بالكفر والالحاد ، بل يتزيون كثيرا بزى الزهاد والعباد .

وانما أعلم من أمركم انكم ارتكبتم جريمة لا تغتفر ، قد يكون عذرکم ان (حضراتكم) اذا غضبوا لا يقوم لغضبهم شئ ، ولكن : أين عقاب الحكومة وفضحيتمكم أمام الأمة جمعاء ؟

يقضى على المرء فى أيام محتته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن اما أنت أيها العبقري الكريم فنهيك بسلامتك ، ونهني الشعب الجزائري كله ببقائك لتقوده الى حيث الهداية والرشد والصلاح والفلاح . ولئن أصابك فى سبيل الله ما أصابك، فتعز بما أصاب من سلفك من المصلحين الصالحين ، واصبر فان الله يحب الصابرين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

فاس - محمد غاوي

مدير المدرسة الناصرية

(19) اختلف فى قاتل النفس عمدا غير مستحل القتل . هل له توبة ؟ ومذهب ابن عباس انه لا توبة له اعتماداً على هذه الآية التى تثبت خلوده فى النار . ومذهب الجمهور أن له توبة ان كانت توبته نصوحا أخذاً بعموم قوله تعالى - بعد أن ذكر موبقات منها الاشراك وقتل النفس بغير حق - : « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » اما اذا قتل نفساً مؤمنة معتقداً ان ذلك حلال له فهو كافر . وقد أفتى غلماؤنا ان قاتل النفس - ولو تاب - لا تقبل امامته .

(20) تراجع مقدمة ابن خلدون فى فصل « علم التصوف » فقد ذكر وجوه التشابه بين المتصوفين والباطنية ومن أين جاءهم هذا ؟ وفى عظماتهم وشعرانهم شخص يقال له النجم الاسرائيلى !

حزب الإصلاح لا ينكر التصوف الحقيقي

هذا ما جاء فى تعليق صاحب الشهاب على مقال الشيخ محمد غازى السابق
اذ قال عقبه - ونشر فى العدد نفسه :

« **الشهاب** : قد أبان حضرة هذا الكاتب القدير عن حقيقة التصوف
الاسلامى ومقام رجاله الاقدمين فى العلم والعمل والتقوى والفضيلة ، وذكر
ما اجمع عليه الجميع من وجوب عرض أصوله وأقوال أهله وأعمالهم على الكتاب
والسنة . وبين كيف أندس هؤلاء الدخلاء فى أهله وهم أبعد الناس عنهم لما
انحطت المدارك العلمية ، وتخلى العلماء عن وظيفتهم . وفى هذا كله ما يدحض
ما يتمسّدق به الدجالون ، ويجاريهم فيه المغرورون : من انكار حزب الإصلاح
الدينى التصوف الاسلامى الحقيقى من أصله ، وانكاره على عامة أهله ليصرفوا
الناس عن سماع كلمة المصلحين ويبغضوهم فى دعاة الحق من السلفيين ،
ويوهموهم أنهم هم على طريق أولئك العلماء الزهاد سائرون . والله يعلم أنهم
لكاذبون ، وسيحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ، اهـ .

ونلاحظ - من المقال ومن التعليق - شدة الالتحام بين القطرين الشقيقين
الجزائر والمغرب ، وتضامن علمائهما فى حرب الدجل والخرافات والفساد الذى
من ورائه قوة الاستعمار . وما يرى من عنف مشروع فى مهاجمة هؤلاء المدعين
التصوف المستغلين لغفلة العامة فانما يراد به افتكاك الشعب من أيديهم ،
وتخليصه من نفوذهم ، اذ كانوا محالفين للمستعمرين ، مرتبطين معهم . وليس
هذا ادعاء فقد كتبته الجرائد ، ومنها جريدة الطان ، ثم جريدة (المجلة الاهلية)
وقد ترجم الى العربية ونشر فى الشهاب . ولكن الشهاب بسعيهم واعترافهم
منع من الدخول الى المغرب ، وأثناء الثورة الجزائرية اعترف قائدها بتخلص
الشعب الجزائرى من نفوذهم ، وان كان هذا النفوذ قد استمر فى المغرب ، هذا
من قبل . اما الآن ؟ وتبقى علامة استفهام !

الفصل الثاني عشر

أثر الشهاب فى يقظة الشبيبة

وسوء أثر بعض الزوايا

تحت عنوان « لمن أشكو ؟ » نشرت (الشهاب) كلمة فى افتتاحيته العدد 85 بامضاء « مسلم غيور » من قاس يشكو من حال المسلمين - وخصوصا فى المغرب ، ومما جنى عليهم نومهم وانصرافهم عن الاسلام الحق الذى من مبادئه انه يوجب عليهم مراقبة أحوال جيرانهم ، ووزن قوتهم بقوة مناوئتهم ، مما تعبر عنه الدول الغربية - اليوم - بالتوازن الاوروبى ، وناهيك بما لاختلال التوازن من الاثر السيء .

وجاء فى هذا المقال الذى نشر فى العدد المذكور بتاريخ 25 شعبان 1345 هـ ، الموافق 24 فبراير 1927 م .

« نبذ المسلمون ويا للأسف - وهل يغنى التأسف فتىلا ؟ - كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فانتظروا النصر من حيث لا تأتى نصره ، وارتقبوا - وهم جالسون فى قعر بيوتهم - ان تهب عليهم رياح النصر او تشرق عليهم شمس السعادة .
يفزعون - كلما نابتهم نائبة ، أو حلت بهم كارثة - الى أصنام القبور ، كما كان يفزع اليها الأولون قبل ان تستنير افكارهم بمصابيح الدين .

يتعلقون بأذيال طواغيتهم من كهنة المشائخ الطرقيين ، ويتمسحون بها تمسحا ، يعتقدون أن فيه صلاح الدين والدنيا . خاب وخسر رجل يرجو المعونة من غير الله . وضل من ينتظر حصول مسبب عن غير سببه الذى اقتضت النواميس الكونية جعله سببا فى حصوله .

هذا هو السبب الحقيقي لسقوط مجد المسلمين ، وهذه علة من أكبر عللهم ،
فهل هم عنها مقلعون ؟

سبق أن ابنت - فى بعض كتاباتى - انه طاف بالمسلمين - وهم نائمون
تحت مفعول المخدرات التى خدر أرباب الطرق والزوايا بها أعصابهم - طائف
شعور فتنبه بعض أفرادهم للخطر المحدق بالجماعة الاسلامية ، وقام يعمل لصالح
دينه بكل قوة واعظم ثبات .

وسرعان ما سرى ذلك الشعور فى كل بلاد وقطر من الاقطار الاسلامية التى
منيت بذلك الداء العضال .

وقد كان قطرنا المغربى آخر من تأثر بتلك الأفكار الحرة السليمة، فنبح فيه
أفراد يعدون على الاصابع ، زاحموا إخوانهم على انهيار الصحف والمجلات ، فقامت
قيامة الدجالين والمشائخ وأبرقوا وأرعدوا ، وهرعوا للوسوسة التى هى سلاح
العاجزين .

افسحت هذه المجلة - يعنى مجلة الشهاب - المجال لبعض الشبيبة القاسية،
فنشروا على اعمدتها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الدين الاسلامى
وشرح المفاسد التى انجرت له من وراء أرباب الزوايا ، فرأى هؤلاء ان البلاء قد
حاق بهم من كل جانب ، فوسوسوا للحكومة ما وسوسوا مما اضطر ادارة
الاستعلامات الى التوجه من وراء بعض افراد تلك الشبيبة المتنورة ومحادثة
بعض ضباطها لهم فى ذلك الموضوع محادثة تنم عما لاحرار الفرنسيين من
التنبه والرزانة ... هذا آخر سهم فى كنانة الطريقين المشعوذين .

رمى به كبيرهم فى هذه العاصمة فأخطأ المرمى ، فلتحذر الشبيبة شره
ولتقاومه ...

اما الطرق فسنعلمهم من مقالاتنا المنشورة فى هذه المجلة ان غائلتها شر
الفوائل .

فاس - مسلم غيور

من هو الكاتب ؟

كان يكاتب الشهاب من فاس عدة كتاب كبار وعلماء أحرار منهم الشيخ محمد علال الفاسي زعيم الشبيبة حينئذ ، ومنهم الشيخ محمد غازي ، ومنهم الشيخ محمد أبو بكر السلاوي ، وكل واحد من هؤلاء مطلع على خبايا الزوايا ، متشبك معها في معركة . ولعل هذه الكلمة لاحدهم . وربما كانت للمرحوم علال اذ تكلم فعم ثم خص الشبيبة بالكلام - والله أعلم - ومع الأسف ان هذه السعايات اثمرت من بعد ، ومنع الشهاب من دخول المغرب ، كما منع صاحبه الشيخ ابن باديس من زيارة كان ينويها وعزم عليها الى المغرب ، وكبيرهم - الذي أشار اليه - هو الكتاني . وقد لعب ضد استقلال المغرب دورا كبيرا .



الفصل الثالث عشر

1 - نقيب الأشراف وانخداعه لمن خدعه بالله :

« كان نقيب الأشراف بالجزائر الشيخ محمد الشريف الزهار - من الشخصيات الجزائرية المحترمة، إماما بمسجد أسلافه بالقصبة ، ولكنه كان غرا كريما - كشأن المؤمن - ينخدع لمن خدعه بالله ، واتخذ موقفا من العلويين وشيخهم قبل أن يتبين ، فصرح بكلام فيهم وشهادة لهم ، فلم يسكت عنه (الشهاب) حتى لا يغتر المسلمون بكلمته لمكانته - ومكانة أسلافه - وطلب منه أن يبين الحقيقة ، فنشرت كلمة في الشهاب عدد 82 الصادر في 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م .

فما كان من هذا الأستاذ إلا أن تثبت ثم أعلن موقفه الصحيح الصريح ، واعتذر عما وقع منه قبل ، ثم تابع يفضح أمورا أخرى في مقال ثان . وفيما يلي ننقل ذلك مبتدئين باستفسار « طلب حقيقة » ثم بالبيان « الجواب بالبراءة » ثم بمقال « شر المغرورين أو الغروريين » .

2 - طلب حقيقة :

قال الشهاب في عدده المتقدم ذكره :

« منذ اجتماع العلويين في جامع سيدي رمضان للحج الأكبر (1) - كما يقول بعضهم - ونحن في حيرة والتباس حقيقة مما صدر عن أحد أعيان العاصمة وهو الشيخ محمد الشريف الزهار الامام بجامع جدة رضى الله عنه ، من وقوفه

(1) كان من عادة العلويين وتجديد شيخهم أن يعقدوا مؤتمرا سنويا يحشرون اليه من استطاعوا من الاتباع والمحبين ، ويجي، هؤلاء من سائر أنحاء القطر ومن تونس والمغرب والشرق وأوروبا . واطلق عليه بعضهم اسم « الحج الأكبر » شأن المبالغين .

بذلك المحفل ، والقائه لتلك الخطبة التي كادت ان تنشق لها السموات ، ومدحه
لذلك الشيخ مدحا مفرطا ادهش الحاضرين .
ودونك - أيها القارىء - ملخص قوله :

« أيها السادة انى كنت قبل الاجتماع بهذا الرجل العظيم أنكر عليه أقواله
وأفعاله وأقدح فيه وأسببه ، وأقول لأتباعه إن شيخكم بدعي زنديق بل كافر
وما اشبه ذلك . والآن - وقد اجتمعت به - والحمد لله - فقد ظهر لي ما كان
خفيا عني من الأسرار والأنوار ، وها أنا تائب مما قلته ، وأشهد انه ولي كامل
زاعد قطب . . . الخ » ، اهـ .

فبالله متولى السرائر هل كانت حقيقة اعتقادك - أيها الإمام - فى ذلك
القطب ما فهت به أمام الجمهور ، أم كان نطق لسانك مغائرا لجنانك ؟ فصادقنا
- أرشدك الله - حتى ترتفع عنا الحيرة ، وتنجو من الوقوع فى المحذور اقتداء
بك ، حيث كنت إمام مسجد ، شريفا ، بل نقيب الاشراف ، وابن عائلة
موصوفة بالصدق والكمال ، فكيف محضت فى هذا المجال ، فعجل بالجواب
على كل حال .

الجزائر - مستبين

3 - الجواب بالبراءة :

ولم يطل الانتظار لسماع جواب هذا الاستفسار فقد جاء الرد سريعا ونشر
فى العدد الموالى 83 الصادر يوم الخميس 27 شعبان 1345 هـ ، الموافق 10
فبراير تحت العنوان « الجواب بالبراءة » وهذا نصه :

الشهم الغيور مدير جريدة الشهاب الأغر سيدي أحمد أبو شمال،سلاما
واحتراما .

« اطلعت فى جريدتكم السمحة عدد 82 على سؤال عنوانه « طلب حقيقة »
بأمضاء « مستبين » ضمنه اجتماع العليويين بمسجد سيدي رمضان ، وخطبتي
فى ذلك الاجتماع ومدحي لذلك الشيخ مدحا مفرطا ، وطلب مني الكاتب حقيقة
اعتقادي . . . الخ »

فأقول - ولا أخشى لومة لائم ، لتظهر الحقيقة وضاحة الجبين ، وأشهد الله
الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - أنني برىء من بدع المبتدعين ،

وخزعبلات المتصوفين ، وشعوذة المشعوذين ، ونصرة السفاكين (2) احب
العلماء العاملين، والأولياء المتقين . طريقتي السنة والكتاب ، شاذلي رحمانى (3)
بلغنى عن الطائفة العليوية وشيوخهم (المربى) من الاسرار والانوار ما شوقنى
الى مشاهدة رؤيتهم، فاجتمعت بالشيخ وأصحابه فى مسجد جدى محمد الشريف
الزهار رضى الله عنه ، فكان كلامه فى الصلاح والارشاد والوقوف على حدود
الشريعة ونفع العياد (4) .

ولا يغرنك لين من فتى ، ان للحية سما يقتل ، فاعجبني ذلك ، وحمدت الله
على وجود رجل مثل هذا ، فى هذا الزمن ، وخطبت خطبتى التى لا انكرها ،
ولكن لما اطلعت على حقيقة أمرهم ، وحللتها تحليل الحكيم الكمياوى تمثلت
بالمثل السائر : (ما أنت أول سار غرة قمر) (5) فتبين لى الرشد من الغى
وظهر الامر بخلاف ما كنت أظن من أمور مصادمة للشريعة لا ينبغى السكوت
عنها ، ولا يسعهم انكارها ، ويختم عليها مشافهة ، وحذرتهم من سوء عاقبتها
عملا بقوله تعالى : « **وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين** » فأبوا وأصروا على فعلها .
فتكلمت مع الشيخ نفسه ليزجرهم على ذلك فتبسم وسكت ، فلما علمت أن
القوم اتفقوا على الضلالة نبذتهم نبذ النواة ، وهجرتهم وقاطعتهم وقلت لهم :
« هذا فراق بينى وبينكم لان الحب فى الله والبغض فى الله » فقد تحققت
صدق ما هو شائع عنكم ، من هتك الدين باسم الدين ، وحمدت الله حيث

-
- (2) يشير الى حادثة محاولة الفتك بالاستاذ ابن باديس ، وارقة دمه .
(3) الطريقة الشاذلية تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ،
وأصله من المغرب الاقصى وعاش كثيرا بتونس ، وله زاوية كبرى فى أعلى مقبرة
الجلاز . وهى الطريقة التى تفرعت منها الدرقاوية وعن الدرقاوية تفرعت
العليوية . والطريقة الرحمانية هى الطريقة « الخلوتية » وتنسب الى « سيدى
محمد - بفتح الميم - ابن عبد الرحمن » العالم الجزائرى الجرجرى الذى عاد
بها من الشرق وانتشرت ، وكان لها مقام محمود فى المقاومة الجزائرية للاحتلال
الفرنسى ، وهى طريقة الشيخ ابن الحداد ثم كانوا من بعد الاسلاف - كغيرهم .
(4) هذا هو الكلام الذى انخدع له أبو يعلى ، لكن الكلام وحده لا يكفى فقد
كان ديوانه فى السوق مملوءا ضلالات مما يخالف تصريحاته ، ولذلك لم يقتنع
الشهاب بادعاءاته .
(5) صدر بيت من بيتين قالهما الحريرى لمن بلغته شهرته فرفع مكانته فلما
رآه أزدراه وشك فى مكانته .

أخرجني من الظلمات الى النور ، وشاهدت الامر عيانا ، فليس من راء كمن
سمع • فتأسفت على ما صدر مني ، واستغفرت الله عسى ان يغفر لي ، ورجعت
عن ذلك ، فان الرجوع الى الحق افضل من الباطل •
هذا هو اعتقادي - أيها السائل - وهذا هو ديني الذي ادين الله به ، فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر •

كتب بالعاصمة في 4 فبراير 1927 م

محمد الشريف الزهار



4 - شر المغرورين ... أو الغرورين :

ثم اتبع الشيخ الزهار براءته تلك بمقال تحت العنوان اعلاه - كشف فيه أقاويل وأفعالا مما ينكر الاصلاح على أصحابها ، ويحاربهم من أجله - وقد نشر هذا المقال في العدد 88 من الشهاب ، الصادر في 13 رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، وهذا نصه بعد العنوان :

1 - « هم المتشيخون من المتعلمين ، وهم الرؤوس الجهال الذين اتخذهم الناس بعد ذهاب العلم بموت العلماء ، وافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا حتى ألفوا تآليف أباحوا فيها - لاهل البيت - جميع المحرمات ، مستدلين - بل محرفين لقوله تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ » الآية (6) ولا ينظرون لقوله عليه السلام : « لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (7) .

2 - والمتصوفون بل المتطرفون - طهر الله منهم العالم يزعمون انهم يجددون لهذه الامة أمر دينها ، باذن من النبي، صلى الله عليه وسلم لانه يجتمع معهم كل يوم وليلة ، ولا يغيب عنهم طرفة عين ، ويلقنهم كيفية الذكر والصلاة عليه ، ويطلعهم على مقام محبيهم في الجنة ومقام مبغضهم في النار، ويقول له :

(6) الآية هي قوله تعالى في سورة الاحزاب : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

(7) سرق امرأة مخزومية ، وثبتت عليها التهمة ، فكبر على بعض الصحابة أن تقطع يدها - نظرا لسمو مقامها في قريش ، فبعثوا أسامة وكان حسب رسول الله عليه - ليشفع لدى الرسول ، فغضب وأخبر ان الذي أهلك من كان قبلهم أنهم كانوا يعفون عن زلة الشريف ، وينفذون الحد في غيره ، ثم قال ما نقله الكاتب : « لو أن فاطمة بنت محمد سرق لقطعت يدها » وليس أشرف من مقام فاطمة وحاشاها .

قل لاصحابك يفعلوا كذا وكذا ، ولم يفكروا فى حديث (من رأى فقد رأى حقا (8) فان الشيطان لا يتمثل بي) - فلا يرى إلا فى المنام ، ولا فى الحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده فى النار » (9) .

ثم منهم من يقول : لو غاب عني النبي، يوما واحدا لخاصمته بين يدي الله(10) الى ما لا نهاية له من سوء الادب مع سيد البشر، ولا تسأل عما ينسبون لانفسهم من الخوارق والشعوذات والخزعبلات التى تروج على الجاهلية من أولئك (المتنطعين) واعوانهم المفتونين .

3 - وذرية الصالحين - وما أدراك ما ذرية الصالحين ؟ - تركوا ما كان عليه سلفهم الصالح وارتكبوا المحرمات ، ويزعمون ان آباءهم واجدادهم ضمنوا لهم وللمتمسكين بهم الجنة . ونسوا حديث : « يا فاطمة اعملي ولا تتكلي فاني لا اغني عنك من الله شيئا » .

ثم من عجيب امرهم واغترارهم انهم يشربون الخمر جهارا ثم يقول المعتقد فيهم : انني رأيت سيدي فلان فى « الطبرنة » وظننت انه يشرب الخمر فناداني وقال لى : اشرب من كأسى هذه ، فلما شربته وجدت رائحته طيبة ، وطعمه عسلا ، والزجاجة شممتها بعد ذلك فوجدت رائحة الخمر ! (11) .

(8) رؤية النبي، صلى الله عليه وسلم يقظة مستحيلة شرعا وعادة لانه مات فكيف يقع الاجتماع به والتلقى عنه ؟ ولم يقع هذا لابی بكر ولا عمر ولا لفاطمة فكيف يقع لغيرهم ؟ ورؤيته مناما لمن يعرف شخصه من أصحابه يقين لان الشيطان لا يتمثل بصورته ، اما من كان لا يعرف صورته ممن لم يجتمع به فمن أين له انه هو ؟ ألا يمكن ان يتصور الشيطان بغير صورته ثم يزعم أنها هى صورته ؟ ان الشيطان تجرا على ان يتصور بصورة ثم يزعم انه ... هو الله ! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - فليتأمل .

(9) حديث متواتر المعنى واللفظ . رواه نحو مائة من الصحابة، ولا شك ان من قال : لأصحابه أمرني النبي، صلى الله عليه وسلم أن أقول لكم « افعلوا كذا وكذا » كاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستوجب دخول النار . (10) أصل الخصومة بين ابن باديس والعلويين مثل هذا التعبير من ابن عليوة الذي رده ابن باديس فى رسالة له « جواب سؤال عن سوء مقال » واشتعلت الخصومة .

(11) كلمة « الطبرنة » تصدق - فى القديم - على كل مقهى أوروبى تباع فيه الخمر . والجلوس فيه كان مستهجنا جدا فى الراي العام لأنه مظنة السوء . ثم ان هذه الشهادة لا يمكن ان تقبل - لو صدرت - لأنها صادرة من «سكير» لمثله تبريرا لعملهما ، ولا تروج الا على المغفلين - والصحيح انها كذب مروى من « الاخوان » لتبرئة السكيرين من تهمة السكر .

ويقول آخر : رأيت ابن سيدى فلان ، ومعه امرأة زانية ٠٠٠ فلما خطر فى قلبى شىء منه نادانى وقال لى انظر ما أنا راكب فوجدتها دابة وهو فوقها ١٠٠ (12) الى غير هذا من امثاله وأكثر منه مما لا يكاد العاقل يصدق بوقوعه لولا مشاهدته وذيوعه .

وما اكتب لكم هذه الرسالة لتنشروها - الا لانى تلاقيت مع كثير من هؤلاء واطلعت على أمورهم فمتى يخلص هذا القطر التعيس من شرورهم ؟

محمد الزهار - امام ونقيب الاشراف

(12) أبلغ من هذا فى الاستبلاء ما يحكى أن أحدهم خرج من بيته وتسرك شيخه مع زوجته فى خلوة ، فلما رجع وجد الشيخ يفعل بها الفاحشة فقال مكذبا بصره « تريد أن تمتحننى لتفسد نيتى ! والله ما فسدت ! » وهذا الذى ذكره الشيخ لا يعفى شيخه لانه يثبت عليه الوقوع مع ٠٠٠ دابة - والدابة فى عرفنا العامى هى (الاتان) انثى الحمار ! !

5 - غاية حزب الإصلاح الدينى تطهير الطبقات : سكوت العلماء آفة

علق « الشهاب » على هذه المقالة من نقيب اشراف الجزائر بقوله :
« هذه الاصناف الثلاثة قد ملأت القطر الجزائري المسكين وشقيقه التونسي والمراكشى ، فقد أفسدت عليه امر دينه ودنياه وقطعت عليه طريق الحياة والتقدم . وقد امتزجت هذه الاصناف الشريرة بالطبقة العامة التى هى أساس بنائها ، ومبعث قوتها ومادة وجودها فلا يرجى للامة تقدم أبدا الا بعد تطهير هذه الطبقات من الادران . وتلك هى الغاية التى يسعى اليها حزب الإصلاح الدينى فى الاقطار الثلاثة . وما زاد هذا الداء انتشارا الا سكوت العلماء عن التغيير ، وكتمهم ما عندهم من علم ، وابتغاؤهم رضى العباد قبل رضى الله . واذا كانت لهم شبهة فى السكوت قبل اليوم فلا عذر لهم اليوم فى التخلف وقد رفع راية الإصلاح ابطالها المجاهدون ، فلينضموا الى حزب الله فان حزب الله هم الغالبون » .

الفصل الرابع عشر

الكتاب الإصلاحيون ، والضلال الخرافيون

« عاد الى القول الأستاذ بيبضاوى - وهو الشيخ مبارك الميلي رحمه الله تستر تحت هذا الامضاء المستعار ، وكان يفعل ذلك عندما يريد ان يشتد في الهجوم ، ويتنازل الى أسلوب القوم - وفي هذا المقال يرد على بعض ما جاء في جريدة البلاغ لسان حال العليويين وشيوخهم ، بمناسبة حادثة محاولة الفتك ، ومقاله منها « ابن ملجم القرن العشرين » - اذ هاجموه وألحوا في معرفة شخصه ، وزعموا ألا فرق بين القول والفعل، فجاء هذا المقال ردا عليهم ، وتحت العنوان الأعلى نشرته جريدة (الشهاب) في عددها 86 الصادر يوم الخميس 27 شعبان 1345 هـ ، الموافق 3 مارس 1927 م . قال :

« لقد حمل الكتاب الاصلاحيون - غير واحد ١٠٠! على طائفة الضلال الخرافيين - حملة الأسود الضراعمة على الحمر الوحشية، فلم تقابلهم بغير شهيق يملأ الفضاء ، ويصم الآذان .

اجتمعت هذه الطائفة اثر تلك الحملة باصطبلها ، ولم تستر اقدارها عن الأعين فأبرزت للناس (وريقة) لطختها بسيال أمعائها وحمأة أفكارها، فشموهت بها دمية الأدب الجزائري ، وغيرت جوه النقي .

حشرت - ولم تستح - وريقتها تلك مع الصحف الجزائرية ، وهجمت على الكتابة والتحرير هجوم أستاذها على الشعر والتفكير ، وكان الاجدر بها - لو عرفت كيف تعيش - أن تصرف عنايتها الى اصطبياد البسطاء في ظلام الجهل بسلاح الخزعلات ، وجوارح الدعاوى العريضة .

استعدت هاتيك الطائفة - من قبل ان تخلق جريدة المنتقد - الى نشر دعوتها بكل الوسائل ، واشترت - بعد تجربة طرق كثيرة للدعاية - مطبعة جمعت أموالها ممن ساقهم طالعهم الى مخالبتها ، وعزمت على اصدار جريدة لخدمة جناب القطب المنجم ! ولكن أستاذها - من افداد الاذكياء ! - عرف انها لا تروج الا عند المشتركين فى سببته ، فرفق بهم ، ولم يجمع عليهم اشتراكين ! وذلك مما لا ينتبه له الا من شاب فواده (1) فى اختبار طرق استدرار الدينار .

ولما جاءت نوبة الحديث عنه بجريدة (الشهاب) وجد الفرصة مناسبة لاصدار الجريدة ظنا منه ان الكتاب الاصلاحيين سيرفعون من قيمتها ويضيعون أوقاتهم فى معارضة هذيانها ، فتتشوف نفوس القراء اليها ، وتروج عند غير المشتركين فى سببته ، وفى رواجها افطع سبة للامة الجزائرية ، وان رضىيتها بعض صحفنا رصيفة لها ، ووصفتها بالغرا ، ! كأنها تتقرب اليها بذلك ، ولم تجد سييلا الا بنقل نعى المتوفين عنها .

ولعل هذا الفرض السخيف خفى على بعض الاصلاحيين فكتب عن تلك (الوريقة) بالشهاب ، وجارته فى ذلك الادارة نفسها - مرة فقط - وهو ما لا نود ان يقع من بعد .

اقترح على الكتاب الاصلاحيين - بالجزائر وفاس وتونس - الا يشعلوا أقلامهم البليغة بسفاسف هذه الشرذمة ، فانها لا تنأثر بالكلام البليغ ، ولا يندى جبينها من الفضائح ، ولا نتيجة تبحث عنها غير اجتلاب الفلس من طرقه المذمومة .

لا تظنوا ان هذا الاقتراح - ان قبلتموه - سيسرهما وتنشط فى عملها ، اذ يخلولها الجو ويتسع أمامها الميدان ، بل انه ليحزنهما ويحيرهما لان فيه حبس وريقتها عن الرواج ، وابقائها فى حوانيت باعة الخضر ، اذ انها لا تباع - بقسنطينة - الا عند أحدهم ، لانهم لم يجدوا من باعة الدخان من هو ذو لحية تيسية .

(1) الفودان : جانباً الرأس مما يلي الاذنين الى الامام ، والشعر الذى عليها .

لا تفهموا - من اقتراحى هذا - انى اطلب منكم ترك الكتابة رأسا عن هذه الشردمة فانى انما اطلب منكم الاعراض التام عن مناقشة تلك الوريقة لكونها ساقطة تجل مجلتنا الشهاب عن الاشتغال بها .

نعم ان فى الامة من تغره الشرثرة ، لذلك احب احيانا التنازل لمناقشة الفوغا ، ولكن فى غير (الشهاب) ، فلو وفى الواعد باصدار جريدة (المهماز) بوعد لكتبنا فى هذه الجريدة باللغة التى يفهمها أولئك الزعانف واجبرناهم على الحياء .

ولكن اكتفوا - أيها الكتاب المجيدون - بمناقشة الطائفة نفسها وإبداء ترهات طريققتها ، واظهار خزعبلات تعاليمها ، ولا تضعوا معاويلكم دون هدم صنمها .

ذلك الصنم العصرى الذى اجتمع فى وسطه العقائد الفاسدة المتباينة من مجسمة، وجبرية ، وباطنية ، وحلول مطلق ، وحلول معين (2) وغير ذلك مما يجده من يصبر لقراءة شرح ابن عاشر ، وهو شرح يشهد لصاحبه بانه من ابرع من يحرفون الكلم عن مواضعه .

ومع كونى اقترح عليكم أيها الكتاب ذلك الاقتراح فان استمنحكم العفو - مرة واحدة - فى ابداء ملاحظات قد تنفكهمون بها على مقالة (المنسوب لامة) كما هو قانون (اليقاشين) خلاف ما جاء فى الكتاب العزيز (3) .

(2) هذه كلها من طوائف المبتدعة : فالمجسمة يشبهون الله تعالى بخلقه ، وليس كمثله شئ ، والجبرية يقولون ان الانسان مجبور على فعل الخير والشر وهو كالريش فى مهب الرياح ، والباطنية - وهم غلاة الشيعة - يقولون ان للقرآن ظاهرا ، وله باطن يفهمه الائمة المعصومون ، ويؤولون معانى القرآن بما لا يقبله عقل ولا ثقل . وأهل الحلول يزعمون أن الله - تعالى - يحل بعباده الذات القديمة بالحادث ، وهو من قول النصارى فى طبيعة المسيح عليه السلام، ومنهم من يقول بهذا ومنهم من يقول : « ليس فى الوجود سوى الله ! » كل شئ عندهم هو الله ! . وكل هذه العقائد موجودة فى ديوان الشيخ وفى شرحه على المرشد المعين لابن عاشر ، وهو خلط عجيب زعم أنه يشرحه على مذهب القوم فاتى فيه بما لا يصدر عن عاقل . وقد اطلعت عليه ولم أصبر على ختمه !

(3) الذى انتسب لامة هو الكاتب العليوى (عدة بن تونس) ، ومن اسماء النساء عندنا قديما اسم (تونس) . وعادة الناس أن ينتسبوا لأبائهم (فلان ابن فلان) وبذلك جاء القرآن الكريم فى ابطال التبني : « أدعوهم لأبائهم هو اقسط عند الله » ولكن جرت عادة (اليقاشين) - وهم الذين يحترفون كتابة الحروز ، ويتخذون لذلك (حانوتا) يسدلون على بابه كلة . ويكتبون للحب بين الجنسين والكراهة أن يسألوا حرفاءهم عن اسماء امهاتهم لان ولادة الام لابنها لا شك فيه بخلاف الابوة ! وهذا ما يشير اليه الكاتب سخرية بالخصم .

اننى اشفق على هذا الكويتى ، أو (الكويذب) ولا أمزقه تمزيق الليث
للتيسر لانه حديث عهد بقراءة (سيدى خالد على الاجرومية) - كما يقول
امثاله حسبما يدل عليه : « حتى لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر » (4) .

وقوله : « من قبيل المجموع لا من قبيل الجميع » . وقد غرته نفسه - وهم
طائفة الغرور ، وحدثته نفسه بمنازلة يضاوى ! وهم شرذمة الدعاوى
- ما بالك لا أبالك - تلج مضائق لا ينفذ اليها سر شيخك ، وتحمل نفسك
ما لا طاقة لك بعينه ؟

لو كنت ممن يفهم الخطاب ويفقه معانى الكلام لتركتك تفزع من صولة
كل كاتب . فزع البكر من صولة الناكح (5) . ولو استطعت ان أفعل
كما فعل المتنبى مع ضيفه لربيت فيك الحياء ولو كان وجهك من أديم الكلاب .
ولكنك لم تستطع الصعود لفهم كلامى ، ولا أستطيع النزول لتفهمك
فأشكر الذى منحك البلادة وطوقك بالجهالة .

يقول ابن تونس انى أسأت الى القارىء بعنوان المقال (6) - كانه وكيل
على القراء (يعنى فزاي) (7) - لاننى ذكرته بفننة مشؤومة على المسلمين ولم
يفهم - ومن أين يأتية الفهم ؟ وجه المناسبة بين القضيتين التاريخية
والحالية (8) .

(4) سيدى خالد يسمى به شرح الاجرومية للشيخ خالد الازهرى وهو أول
ما يتعلمه الطلبة فى النحو بجامعة الزيتونة ، فى السنة الاولى ، ويسمون به
الطبقة الاولى كلها (طبقة سيدى خالد) وقد غاب عليه الاتيان باللام لان
« منتظرا » يتعدى بنفسه ، فالصواب منتظرا شيئا آخر .
(5) يشير الى قول الشاعر :

كبر تحب لذى النكاح وتفزع من صولة الناكح !

(6) يقصد المقال الذى عنوانه (ابن ملجم القرن العشرين) .

(7) كلمة فزاي عامية يراد بها الفضولى الذى يتدخل فيما لا يعنيه .

(8) القضية التاريخية هى اغتيال أمير المؤمنين على بن أبى طالب من طرف
أشقى هذه الأمة عبد الرحمن بن ملجم المرادى . والقضية الحالية هى محاولة
العليوى ميمين محمد الشريف اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس . فالمناسبة
واضحة ، ومن المعلوم أن وجه الشبه فى المشبه به أقوى فلا ابن باديس فى
درجه على ، ولا ميمين فى درجه ابن ملجم ولا القرن الاول مثل القرن الرابع عشر
ولكن ابن تونس - يحاول أن يشير - على الكاتب وعلى حزب الشهاب - نائرة
اخواننا الاباضية فى الجزائر ولم يدر أنهم من أول المنكرين على ابن ملجم فعلته
ويبرأون الى الله منه ، ولا تلزمهم معرفته « ولا تزُرُ وازرة وذر أخرى » .

أليسوا هم الذين ذكرونا بها ؟

أليس الشؤم يذكر الشؤم ؟

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ .

ويقول ابن أبيه : ان شيخه لا عقب له كما ان النبي صلى الله عليه وسلم لا عقب له ! لقد ذكرني بهذا - حكاية عن بعض الماجنين : كان ماجن لا عقب له ثم توفيت زوجته ، فسأله بعض أصحابه : كيف حالك ؟ فأجابته بأنه مثل الله فوق السائل موقف الدهش من هذا الجواب ، فقال له ذلك الماجن ألم أصبح لا صاحبة لى ولا ولد ؟

ولكن صاحب الحكاية هازل ماجن أما ابن أبيه فهو جاد محتج ! وبعد فلم أرد - لو قدر له الفهم - تغيير شيخه من هذه الوجهة ، ومن تأمل قولنا « انما هو رجل يخدم على نفسه فقط » عرف المراد (9) .

ومن شك فى بلادة هذا المخلوق فليتنظر الى تسويته بين الكتاب الاصلاحيين وبين اخوانه الفدائيين اذ يقول - أنقل عبارته للبركة ! : وای فرق تراه - بالله عليك - بين الجانى على المسلمين بيده ، وبين الجانى عليهم بلسانه (10) . أليس هذا التصريح - من كاتب فى وريقتهم الدفاعية - صريحا فى الدفاع عن ذلك الجانى ؟

ثم أليس ذلك حجة قاطعة على مشاركتهم فى الجناية ؟

ثم أليس ناطقا بأن عدتهم الدفاعية هى الهراوى والموسى فهم يعتمدون فيما بينهم على السر ، وفى الخارج على الشر (10) .

وقد أراد هذا المغبون - الا من البلادة - ان ينفى عن رهنه الدفاع بغير القلم واللسان فقال - نفعا الله بفقد أمثاله - « ولا تنس ان فى الزوايا خبايا ولتعلمن نبأه بعد حين ، وما هى من الظالمين ببعيد » (11) .

(9) كلمة ابن أبيه تستعمل عند ما لا يكون الاب معروفا وهى صادقة على أى أب كان شرعيا أم لا - وكلمة (يخدم على روحه) يعنى أن ليس له هم شديد ، وحرصه على الدنيا يشتهد ذمه فى العرف ، خصوصا اذا بلغ الامر الى بيع دينه بذنياه ولعل المراد أنه حريص لا يضيع الوقت .

(10) فى هذا التعبير صراحة بأن من انكر على مبطل ضال افساده للناس وتحريفه للدين مثل الذى يرفع عليه الموسى ويضربه ويحاول ذبحه ! ابن باديس وممن سواء عند ابن تونس !

(11) فى هذا الكلام تهديد واضح وأصرار على استعمال العنف مع المصلحين الذين يعتبرهم ابن تونس من الظالمين !

الفصل الخامس عشر

الاعتداء على زعيم النهضة الجزائرية العظيم

- أريد حياته ويريد قتلي

« كل ما تقدم من مقالات ومحاورات مما كتب باقلام جزائرية أو مغربية وهذا قلم تونسي كريم يشاركون في هذا الموضوع ، وقد أرسل مقالته من بعيد واختار لنشره مجلة الشهاب ، وعائلة شقرون من العائلات التونسية الماجدة، ولهم من يشاركون في هذا العلم بالجزائر وبالمغرب ، وليس هو الوحيد الذي كتب في الموضوع فقد نشروا مقالاتهم في الصحافة التونسية التي اهتمت بالحادثة أيما اهتمام ، وفي هذا المقال بيان لعاطفة صادقة مما يكنه امثال هذا العالم الفاضل لحزب الاصلاح ورئيسه ابن باديس ».

قال الشيخ علي بن محمد شقرون الطالب بالسنة الرابعة من القسم العالي النظامي بالازهر الشريف تحت العنوان أعلاه ونشر في (الشهاب) عدد 89 الصادر في 20 رمضان 1345 هـ ، الموافق 4 مارس 1927 م .

(أفضى الى بخير الاعتداء على الاستاذ الجليل والمصلح الكبير - بينما كنت طريح الفراش لألم ألم بي ، فحال بيني وبين القيام بالواجب نحو الأستاذ المعتدى عليه ونحو المجرم المعتدي معا ! !) .

نعم ، انه حال بيني وبين الواجب المقدس ، ولكنه - رغم شدته - لم يحل بيني وبين التألم والتأثر والتأوه وللحال تمثلت الأستاذ يقول : (أريد حياته ويريد قتلي) هكذا تضاعفت الآلام ، وهكذا تعددت الموجهات والخطوب، والارزاء وهكذا قدر الامر فكان .

لم يدع الأستاذ المصلح الكثير الى منكر ، ولم يعمل على ترويح ضلال أو احقاق باطل أو ازهاق حق ، أو اعتداء على كرامة ، أو انتهاك حرمة ، أو سلب أموال ، أو ازهاق أرواح الى غير ذلك من الاسباب التي تدعو الى التدمير والامتناع وتحريك تائثر النفس .

• ولكنه - حفظه الله - قام يدعو الى دين الله الحق بالتي هي احسن في غير عنف ولا شدة مبينا - بوجه مشروع وحجة سليمة - ما ادخل على الدين الحنيف والملة السمحة من الامور الباطلة والعقائد السخيفة التي ليست منه في شيء . علاوة عما يدعو اليه من الاخذ باسباب الرقي والتقدم في كل ناحية من نواحي الحياة الحقبة التي تتفق مع روح العصر الحاضر .

أفمن يدعو الى حق ويبين للناس ما اعتقدوه من شرع الله وليس منه يعتدى عليه وتنتهك حرمة ؟ وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟

نعم كل امرئ ينفق مما عنده ، فلا غرابة اذا تألبت جماعة الاضلال وأهل الباطل والافساد الذين اعتادوا ان يعيشوا عالة على العباد دون ان يدرك هؤلاء السذج البسطاء العقول ، الذين لم تنتور افكارهم ، ولم تنتقف مداركهم ما يستعمله أولئك الدجاجة من التمويهات الفارغة ، وما يتخذونه وسيلة لابتزاز الأموال بغير وجه مشروع ، وانتهاك الاعراض لاجل التبريك « **والله يعلم انهم لكاذبون** » .

عز عليهم ان يبين للناس حقيقة دينهم القويم ، وأمر أولئك المشعوذين خشية ان يفقدوا عطف العامة عليهم فيفقدوا - تبعا لذلك ما اعتادوا أخذه وسلبه وابتزازه دون حق أو شرع - فجمعوا جموعهم ، واصطفوا بطلا من ابطالهم - وهكذا اجتمع من قبل كفار قريش واختاروا منهم جماعة لازهاق روح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم - لينالوا من أبي الشيبية الناهضة ويمكروا به . ولكن الله مكر بهم وهو خير الماكرين فخلصه ونجاه كما نجى نبيه ووقاه :

واذا العناية لاحظتك عيونها - ثم فالمخاوف كلهن أمان ونحن - اذا استعرضنا شيئا من التاريخ ورجعنا الى الذكريات والحوادث الماضية وجدنا للاستاذ المصلح اسوة حسنة بغيره من الزعماء والعظماء والعلماء

الذين وهبهم الله قلوبا حية ، ونفوسا طاهرة ، وعقولا راجحة وغيره دينية صادقة ، فحاولوا ما حاوله الاستاذ الكبير وأرادوا بارادة المصلح العظيم ، فاصابهم ما أصابه في سبيل الله والدين والحق ! !

لقد نال زعيم تونس الجليل الاستاذ عبد العزيز الثعالبي (1) الشئ الكثير في هذا السبيل، وكادت تفتك به الغوغاء والزعانيف من أذنان أولئك الأوغاد المشعوذين ومن انتمى اليهم . ثم انظر اليهم - بعد ان فهم القوم ما دعاهم اليه ونبههم عليه - كيف قدروا جهاده ومجدوا فعله واحبوا ميوله واحساساته فأصبح أبا للشعب وحاملا لواء الامة بعد ما كان الد أعدائها (في زعم أعدائه) ولا تنس شبيرة اليوم ، والطبقة المتنورة في الامة من ازدرائهم علنا بالشعوذة والمشعوذين على صفحات الجرائد وفي الاجتماعات العامة .

وناهيك بما لاقاه فقيد الاسلام والمسلمين المرحوم الامام محمد عبده ، فقد قص علينا بعض شيوخنا من تلامذته - رحمه الله - قصصا وحكايات يندمل لها القلب ، ويذوب لاجلها الفؤاد أسى ، لان الاستاذ الامام حاول الاصلاح ، ونعى على المذبذبين سلوكهم وطرائقهم .

ولكن القوم يترحمون عليه ، ويتمنون امثاله من دعاة الاصلاح والعاملين عليه والمحبين له .

وهكذا احسنوا الى الاستاذ الباديسي من حيث أرادوا الاساءة الى شخصه الكريم - بل استغفر الله - الى المبادئ التي يجاهر بها ، ويدين الله عليها ، ويحجب قومه فيها ، بالدليل المقنع والحجة الصادقة والبرهان الواضح في

(1) الشيخ عبد العزيز الثعالبي - من آل الثعالبي الجزائريين ، استوطن أهله تونس من بعد الاحتلال ، ثم كان هو مؤسس الحركة الوطنية بتونس ، ألف كتاب (تونس الشهيدة) ونظم الحركة للمطالبة بالدستور ، وسمى حزبته (الحزب الحر الدستوري) وكان يدعو الى الاصلاح الديني والسياسي ، فاستعملت فرنسا سلاح الدين ضده كما ذكره الكاتب - ولكنه استطاع ان يؤلب الرأي العام التونسي ، والقيام بمظاهرات صاخبة ، وكاد القصر الملكي ينظم الى حركته ، فادركت فرنسا خطره ، وأخرجته من تونس ، وبقي حزبته يواصل الحركة من بعده ثم انشق - في غيبته - الى حزبين القديم والجديد ، وكان على رأس الجديد السيد الحبيب بورقيبة الذي واصل الكفاح الى الاستقلال عام 1956 م ، وكان الثعالبي عام 1927 م ، في قمة شهرته ومجده رحمه الله ، توفي بتونس في الاربعينات .

لين وعودة ورفق . فسجلوا اسمه في صحائف الزعماء والعلماء والعظماء
من حيث لا يريدون .

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل (2)
وبعد فقد بلغ السيل الزبي ، وأصبح الامر غاية في الخطورة ، ونهاية
في المجازفة بالاعتداء على الارواح ، والخروج عن مقتضى الواجب الذي يتحتم
تقديسه ومراعاة حرمة القانون (3) .

ان الاستهانة بالقانون جريمة لا تغتفر ، وذنوب لا يصفح عنه ، وعمل
لا يبرره شيء ، فقد انتهك ذلك المعتدى حرمة ، وخرق سياجه ، وشوهه
تشويها باعتدائه الشخصي على من جالسه في العقيدة دون ان يلزمه الاستناد
بعقيدة خاصة ، أو رأى خاص ، كما انه لم يلزم غيره بحال من الاحوال برأى
من الآراء ومذهب من المذاهب .

فأى مبرر يبرر له ان يتولى القصاص بنفسه دون ان يلجأ الى القضاء ؟
وما ذلك المبرر وأى قانون يسمح لمثل ذلك المعتدى باقتراف ما اقترف دون ان
وكل الامر الى رجال الادارة ؟

حقا انها جريمة مزدوجة تثير رجال القضاء وحماة القانون وأرباب الادارة
فماذا عساهم ان يفعلوا ازاء ذلك ؟

أرجو ان يتتبع الشهاب الاغر جميع خطوات القضية بدقة واسهاب ، حتى
لا نحرّم استيعاب اطرافها والالمام بشعبها على وجه كامل واف .
وختاما اهنيء الاستاذ أولا بنجاته ، أمد الله في عمره العزيز ، وأدام بقاءه
ونفع به . ثم الشبيبة الجزائرية الناهضة برافع لواء الاصلاح ، وحفظه من

(2) من أقوال أبي الطيب التي جرت مجرى الامثال .

(3) القانون - في ظل الاستعمار - انما هو لحماية المستعمرين وتثبيت
أقدامهم ، واما أبناء الوطن فانه يسرهم تناحرهم وفتك بعضهم ببعض ، سيما
إذا كانت الشخصيات التي تدعو الى الاصلاح والنهوض والحياة هي الضحايا .
ومن أشتكى الى « القضاء » الاستعماري فكمن قال المتنبي فيه :

« شكوى الجريح الى الغربان والرخم »

أو كمن قال فيه الشاعر الجاهلي :

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

تلك اليد الاثيمة -- ثم بقية الامة ممن يعطف على الحركة الاصلاحية وتصبو
نفسه الى نجاحها وتعميمها فى سائر نواحي الحياة .
ويجب ان يكون الحادث مشجعا للعزائم ، مقويا للهمم مجددا للقوى ،
باعثا على التقدم مرددين :

لا يظهر العجر منادون نيل منى ولو رأينا المنايا فى أمانينا

القاهرة - علي محمد شقرون

بالسنة الرابعة من القسم النظامى

الازهر الشريف



الفصل السابع عشر

للحقيقة والتاريخ

عبيد الله بن عمر لا عبد الله

كاتب هذا الاستدراك هو العلامة الشيخ اسماعيل بن علي بن صالح الميجلي من آل جفري أو ابن جفر ، وهي عائلة كبيرة من دائرة الطاهير - بني سيار - يستقر كثير منها بمدينة قسنطينة ويحترفون التجارة ويشاركون في حركاتها الاصلاحية والوطنية .

ومنهم زميلنا وصديقنا الشيخ عمر جفري رحمه الله ، أستاذ الرياضيات بمعهد عبد الحميد بن باديس ثم الاستاذ بثانوية حيحي المكي . وكان الشيخ اسماعيل رحمه الله زميلا للشيخ ابن باديس اثناء الدراسة بقسنطينة ثم سافر الى الشرق وتابع دراسته في الازهر ثم دخل في سلك أساتذة الازهر، وتزوج مصرية ، وولدت له أولادا كان أحدهم ضابطا في الجيش المصري ، ولكن الشيخ اسماعيل بقى على صلة بصديقه ابن باديس ورأيت كتابا للشيخ من اهدائه وهو « الاخلاق لابن مسكويه » .

وتوفى الشيخ اسماعيل بمصر ولم يقدر له ان يزور الجزائر(*) ولكن زوجته جاءت بعد استقلال الجزائر ، ورأيتها في مدرسة التربية والتعليم سنة 1962م .

(*) نبهنا الاديب الالمعي محمد العبد - الهاني - بستانجي - رئيس القسم العربي بالمطبعة - الى انه أدرك الاستقلال وزار قسنطينة 1963 م ، وصلى الجمعة بمسجد حسين باي ولقي أمامه الشيخ محمد الطاهر الميجلي - وقد عدنا اليه - للتأكيد - فأيد الخير ، وانه عندما ذهب الى الحج نزل عنده بالقاهرة فأكرم مثواه فلما كانت سنة 1963 زار قسنطينة ومكث فيها أياما في عائلته معززا مكرما - ثم ذهب الى مسقط رأسه بني سيار من ولاية جيجل ، وصعد الجبل ، وركب - من بعد السيارة والطيارة - الحمار !
ثم مات بالقاهرة - كما ذكر بعض اقاربه - عام 1966 رحمه الله . نذكر هذا للتحقيق ، وشكرا للاستاذ بستانجي .

وهذه الكلمة التي أرسلها الشيخ اسماعيل رحمه الله يصحح بها هفوة تاريخية وقعت في مقال للشيخ أبي يعلى الزواوى . وقد نشرت في العدد 90 من الشهاب الصادر في 27 رمضان 1345 هـ ، الموافق 31 مارس 1927 م ، وهذا نصها :

حضرة الوطنى الغيور (1) مدير مجلة (الشهاب) وفقه الله لما فيه خير الوطن وسعادة أهله ، وكتب لشهابه حظا وافرا من تمحيص الحقائق ، وتلافى ما زل عن الاذهان ، أو شطط به اقلام الكتاب . السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد اطلعت - فيما اطلعت عليه - فى العدد الثالث والثمانين من الشهاب على مقال مديح ببراعة الاجتماعى الكبير والباحث الخطير العلامة الشيخ سيدى الزواوى تحت عنوان « إلى الكاتب السلواي الفاسي » ذكر فيه فى مقام الاعتذار عن « البيضاوي » فيما ألقاه على الشيخ من تبعة فى الجناية الواقعة على الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ما نصه :

« وفهمت منه - يعنى المعتذر عنه - انه شديد الغيرة وحريص على السنة ومحِب للشيخ ابن باديس فاعذره كما عذر عثمان بن عفان عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، اذ حمله جزع الفتك بأبيه وبتسعة من الصحابة العظام - فقتل الهرمزان بدون محاكمة ، وأبى على بن أبى طالب الا محاكمة عبد الله بن عمر الى آخر ما ذكره فى هذا الصدد

ولما كان لكلام الشيخ منزلة خاصة فى النفوس - لما عرف به من سعة الاطلاع والعناية بالبحث والتمحيص - وكان فى كلامه مجانية للحقيقة من بعض الوجوه ، أحببت أن أبين ما فيه إظهارا للحقيقة ، ودفعاً لما يعلق ببعض الاذهان مما ينبو عنه مقام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، ذلك الرجل الذى كان معروفا بشدة الورع وكثرة التحري لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى شهد له صلى الله عليه وسلم بالصالح على ما فى صحيح البخاري فى قوله لحفصة أخته رضى الله عنهما : « ان عبد الله رجل صالح »

(1) حدثني الشهيد أحمد بوشمال مدير الشهاب رحمه الله أنه استدعى من طرف مديرية الأمن واستنطق من أجل هذا الوصف : « الوطنى الغيور » ! فليتصور مقدار الضغط والريبة آنذاك ، وكانت الحركة الوطنية فى بدء نشأتها ، وقد رأت من صاحب الشهاب مبداء « الوطن قبل كل شيء » .

ووصفه معاوية بأنه رجل قد وقذته العبادة ، فأقول : - مع اعترافى بفضل الشيخ ، واعتقادي ان الانسان عرضة للسهو ، والقلم قد يجور - : ان هذا الذى نسبته الشيخ الى عبد الله بن عمر ، وعده عثمان نفسه فتقا فى الاسلام ، لم يكن مما جنت يدا عبد الله ، ولم يكن عبد الله منه فى شىء ، وانما هو شىء اتاه أخوه عبيد الله بن عمر ، وكان أصغر من عبد الله سنا ، وذلك انه شاع - عقب طعن عمر ان هذه الجناية لم يتفرد بتدبيرها أبو لؤلؤة ، بل شركه فيها اناس آخرون ، فقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر - غداة طعن عمر - مررت على أبى لؤلؤة أمس ومعه جفينة والهرمزان - وهم نجى - فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه فى وسطه فانظروا بأي شىء قتل عمر . فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن، وكان رجل من تميم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر . فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أسرها فى نفسه - وكان رجلا من فتيان قريش وأبطالهم - حتى مات عمر ، فتقلد سيفه فأتى الهرمزان فقتله ، ثم مضى حتى أتى جفينة - وكان رجلا نصرانيا من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبى وقاص الى المدينة ليعلم الكتابة - فعلاه عبيد الله بالسيف . فلما سمع بذلك صهيب - وكان القائم مقام الخليفة - أرسل اليه من أتى به ، فأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف ، وينظر الخليفة فى أمره . فلما بويع عثمان جلس فى المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار :

أشيروا علي فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق ؟

فقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه : أرى ان تقتله !

فقال بعض المهاجرين : قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم .

فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك .

فقال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالي .

وعفا عن عبيد الله ، فلما استخلف علي وفرغ من أصحاب الجمل خافه عبيد الله بن عمر أن يقتله بالهرمزان فخرج حتى لحق بمعاوية ، فكان من

رجاله ، وقد شهد معه معركة صفين وفيها قتل ، قتله حريث بن جابر الحنفي
من رجال علي. ومن شعره في هذه الواقعة وقد حمل في آخرين على مسيرة علي :
أنا عبيد الله ينميني عمر خير قریش من مضى ومن غبر
غير رسول الله والشيخ الأغر ابطأ عن نصر ابن عفان مضر
والربيعيون فلا أسقوا مطر

وأما أخوه عبد الله فقد حمله ورعه علي أن يلزم بيته في كل تلك الشدائد
والاهوال الهائلة التي كانت بين الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين
مما لا نتولى الخوض فيه .

ذلك والله تعالى يحسن رعايتنا ، ويكتب لنا العصمة من الزلل في القول
والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة - اسماعيل بن علي بن صالح
الحيجلي بالازهر الشريف



الى مجلة المعرفة المصرية «شيخ علماء الجزائر» أم شيخ الحلول ؟

« طالما ألح علماء الاصلاح وكتابه الكبار - وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس - على الشيخ ابن عليوه - وحزبه وراءه - ان يفيى الى أمر الله ، ويتوب اليه من القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، مما هو مبثوث فى (شعره) ونثره ، رائج فى الاسواق برواج (ديوانه) وكتبه .

وكان الشيخ ابن عليوه - فى حياته - يصرح فى مجالس العلماء انه سنى يلتزم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويحاول أن يقنع بذلك العلماء السلفيين من أمثال أبى يعلى الزواوى رحمه الله ، وطالما جادل عنه فى الشهاب وغيره وشهد له - حتى بالعلم .

أما ابن باديس واخوانه فانه لم يقنعهم مجرد القول ، وشهادة الشيخ أبى يعلى ، بل كانوا يقولون : « ان كان صادقا فى ادعائه فيعلن براءته من هذه الاقوال الموجودة فى شعره ونثره ، وليسحبها من الاسواق فانها تؤذى الله ورسوله وتضلل المسلمين » .

لكن الشيخ و (اخوانه) كانوا يتصاممون عن سماع هذا الشرط فى الاقتناع بسنتهم ، ويخرجون بالصمت عن لا ونعم . وبقي الشأن هكذا حتى مات الشيخ ، وقام (اخوانه) بتجديد طبع (ديوانه) وكتبه والعمل على رواجها من بعده كما كانت رائجة فيهم فى حياته .

بل كان الشيخ يعمل بكل وسيلة لرواج مذهبه ، ويقوم بالاعلان والدعاية داخل الوطن وخارجه .

وقبيل وفاته كتبت عنه مجلة (المعرفة) المصرية القاهرية مقالا في تقرير
احد كتبه ، ولقبته فيه بـ « شيخ علماء الجزائر » .

والمقال - فى حقيقة أمره - دعاية عريضة ، وعلان طريف عن الشيخ قد
يتأثر به بسطاء العامة فى الجزائر ، فقد عرف كثير من قومنا باغترارهم بكل
ما يأتى من الشرق وخصوصا ما يأتى مكتوبا فى الصحف والمجلات أو فى
مطبوع الكتب أو المخطوطات ! فاذا جاء من مصر بان الشيخ هو « شيخ علماء
الجزائر » فانه لم يبق قول لقائل :

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام !

ولكن التسليم لم يكن من شأن حزب الاصلاح ، ولا اذعان الا لما جاء فى
كتاب الله أو سنة رسوله (ص) . ولا شهادة الا من خير عدل أمين . لهذا
لم يسعهم أن يسكتوا ، وتكلم الزاهرى بلسانهم يرد هذا الباطل ويكشف
هذا (الجهل) مستعملا مع (المعرفة) أسلوب اللطف واللين ، ولعلها لم تكن
(جاهلة) ، وانما كانت قد قبضت أجرة (الاعلان) ولم تتخرج فى قبضها
لأنها اعتبرته اعتبار (الاعلان) ، وان الزاهرى لم يكن متحاملا وليس وحده
الشاهد على بعد الشيخ عن صفه عالم ، فقد شهد بذلك الاستاذ أحمد توفيق
المدنى ، اذ قال فى كتابه (حياة كفاح) ، ج 2 رقم 70 عن الشيخ : « لا أزال
فى حيرة من أمره ولن أزال كيف تمكن من انشاء طريقه صوفية وهو شبه أمي ؟
وكيف كان له سلطان على الناس وهو لا يكاد يبين ؟ ذلك هو أحمد بن عليوة
المستغنى » .

وقد رأينا ان ننقل نص هذا المقال للزاهرى لنجعله خاتمة القسم (الرابع)
ونعرف ان الشيخ بقى مصرا على أقواله حتى آخر حياته ، فقد نشر المقال
بمجلة الشهاب بتاريخ جمادى الاخرة 1352 هـ الموافق أكتوبر 1933 م ،
وتوفى الشيخ ابن عليوة بعد اشهر من هذا التاريخ فى 2 ربيع الآخر 1353
جوان 1934م . عفا الله عن الجميع .

قال الشيخ الزاهرى :

(شيخ علماء الجزائر) أم شيخ الحلول ؟

حضرة الاستاذ الجليل صاحب مجلة (المعرفة) الغراء التي تصدر بالقاهرة السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فيا ايها الاستاذ انكم كنتم نشرتم في جزء فبراير الآخر من مجلتكم القيمة تقريرا لرسالة كتبت لشيخ الحلول ، واصدرها باسمه هو في الذب عن (مجد التصوف) أو عن (مجد التصوف) كما ينطق بها (سيدي الشيخ هذا . ولقد اسرفتم يا حضرة الاستاذ في تقرير هذه الرسالة فأعطيتموها أكثر من حقها ، ولا نلومكم على هذا فان المجاملة وحسن الظن منكم هما سبب هذا الأسراف في التقرير ، ولكن الذي نريد أن نلاحظه لكم هنا امران اثنان لا ثالث لهما . اما أولهما فهو قولكم عن شيخ الحلول : انه (شيخ علماء الجزائر) واما الثاني فهو وصفكم له بأنه يجادل بالنبي محمداً ، ويأخذ بأيدي خصومه في رفق ولين الخ الخ . . . اما انه (شيخ علماء الجزائر) فهذا خطأ مبين ، فانه لا يوجد في الجزائر كلها من يعترف لشيخ الحلول بالعلم ، ولا هو يدعى لنفسه العلم في هذه البلاد ، فضلا عن ان يكون (شيخ علماء الجزائر) ولا يخفى ان في هذا اهانة للجزائر ، وتشويهها لكرامتها وهو ما لا نرضاه لمجلة (المعرفة) الراقية التي عرفناها تضع الاشياء في مواضعها ، وعرفنا انها ليست من الصحف التي تجازف بالالفاظ والنعوت .

للمعرفة ان تجامل هذا الرجل وان تلاحظه بما يبدو لها من الكلام الطيب الجميل ، ولكن ليس لها ان تمدحه بما يحط من كرامتنا نحن الجزائريين جميعا . ترى لو قام احد من الجزائريين ووصف مشعوذا دجالا من دجاجة مصر الذين لا صلة بينهم وبين العلم ، فقال عنه : انه (شيخ العلماء في مصر) فهل يكون قد تحرى الواقع ، واعطى مصر قيمتها ولم يحط من كرامتها ؟؟

في الجزائر علماء ، وفيها جمعية لهؤلاء العلماء المسلمين قد اسندت رئاستها الى فتي هو من أكبر رجال العلم والعمل في هذه البلاد ، فلو انكم ايها الاستاذ قلتم عن هذا الرئيس بأنه (شيخ علماء الجزائر) لاصبتم شاكلة الصواب ، ولما اعترض عليكم احد بادني اعتراض . اما وقد وصفتم بها رجلا لا يعرف القراءة ولا الكتابة الا قليلا كشيخ الحلول فهذا ما لا يرضاه احد في

الجزائر ، حتى هؤلاء الخونة المردولون الذين يرأسهم شيخ الحلول فى نفس الامر ، ويرأسهم فى الظاهر أحد (مريديه) (1) .

واما انه يجادل بالتى على أحسن ، ويأخذ بأيدي خصومه فى رفق ولين الخ الخ . . . فهذا أيضا خلاف الواقع تماما ، فانه لا يوجد فى الجزائر أكثر من شيخ الحلول وقاحة وافكا ، ولا أشد منه بذاءة وسبابا ، ولا أقبح منه سفاهة وفحشا ، فهو انما أنشأ ورقته الضالة التى لم يعرف هذا الوطن اكذب منها ولا (ابردوجها) ولا (أصح رقعة) - لغاية واحدة وهى سب العلماء والولوغ فى اعراضهم ، وقد استكتب لذلك بعض من لا ذمة لهم ولا دين ، ولقد لجأ الى سلاح البذاءة والفحش وأكثر من استعماله بعد ان فشل واخفق فى استعمال الهراوة والموسى ، فهو مجرم سفاك يسفك الدماء ويعتدى على الاعراض وتلك سبيله الى المجد وسبيله الى الشهرة وسبيله الى أن تصفه (المعرفة) وغير المعرفة بانه (شيخ علماء الجزائر) وهذه هى أمنيته القصوى التى ليس له وراءها أمنية أخرى .

ليس شيخ الحلول الا (مقدما) من (مقاديم) الطريقة الدرقاوية الكثيرين فنصب نفسه (شيخ) لا (مقدما) فقط وهو قليل الاتباع والمريدين بالنسبة الى أى شيخ من أشياخ الطرق سواء .

ومع ذلك فانا لا انكر ان شيخ الحلول بشتمه للعلم والعلماء وولوغه فى اعراض حماة الشريعة المطهرة قد اكتسب شهرة فى الجزائر ، واصبح اسمه يجرى على اللسان والافواه أكثر من أى شيخ طريقة آخر ، ولكن اية شهرة هذه التى اكتسبها شيخ الحلول بسب العلماء ؟ هى مثل شهرة السارق بالسرقة ، ومثل شهرة السكر بالعريضة والسكر ، يجرى اسمه على اللسان والافواه ، ولكن كما يذكر الناس ابليس مقرونا باللعن وبلاستعاذة بالله من شره واذاه ، لقد نال شيخ الحلول فى هذه البلاد شهرة ، ولكنها سيئة شوهاء شنعاء مقرونة بكل كراهية واشتمئزاز ، حتى لقد كاد ان يصبح ملعنة هذه البلاد ، وماذا تقول فى شهرة ينالها مشعوذ دجال ، هل تكون الا من هذا الباب ؟!

(1) يشير الى الشيخ الحافظى رئيس جمعية علماء السنة ، رحمه الله .

لقد كان شيخ الحلول تاجرا يبيع الاحذية ويصنعها فافلس احتيالا وأكل أموال الناس . ثم ارتد إلى تجارة كلها ربح ، ورأس ماله فيها النصب ، والاحتيال يحتال على (الفقراء) المساكين ، فيسلب أموالهم ، ويشغل أبدانهم ويختلس إيمانهم ، ومع ذلك فهو يحترف طريقة التصوف ويستغلها استغلالا ماديا ، ولا يعرف من التصوف إلا أنه باب من أبواب الرزق ، وسبب من أسباب المعاش ، ووسيلة من وسائل الاكتساب . وليس له مزية ولا فضل على أشياخ الطرق الأخرى إلا أنه كان - وقد لا يزال - متين الصلة وثيق الروابط بجماعة القاديانية بالهند ، وهذه القاديانية معروفة بكفرها والحادها ، ولقد كانت هذه الطائفة الضالة عزمت على أن تنشر وباءها في الجزائر فاعتمدت شيخ الحلول للقيام بنشر دعوتها ، وقد لبأها فعلا ، فقد كان في سنة 1927 نشر في ورقته الضالة عدة رسائل جاءت من القاديانية في الهند تنشر بها دعوتها هنا بواسطة شيخ الحلول ، ولكن مجلة (الشهاب) يومئذ قامت فبينت للناس قيمة القاديانية وكفرها ونشر لعلماء الهند ومصر والشام وغيرها فتاوى في كفر هذه الطائفة وردتها عن الاسلام . وكذلك قامت جريدة (البرق) بنصيبها في مكافحة وباء القاديانية ، فاضطر شيخ الحلول إلى إهمال ما يرد عليه من هذه الطائفة ، ولم يعد ينشر لها شيئا ، ولكنه لم يعلن براءته منها ، وهو لا يزال شديد الصلة بها ، وإنما ينتظر الوقت المناسب لكي ينشر دعوتها من جديد ، وفي الحق أن شيخ الحلول يشبه القادياني من وجوه كثيرة فغلام أحمد القادياني قد ادعى النبوة وزعم أنه يتلقى الوحي من الله ، وشيخ الحلول قد ادعى الألوهية وزعم أنه هو الله . كما في ديوانه العامي الملحون . والقادياني يزعم أن أتباعه قد ملأوا الأرض بكثرتهم ، وأن الملك الفلاني والأمير الفلاني والعظيم الفلاني قد اعتنقوا دينه الجديد ، وشيخ الحلول كذلك يدعى أن أتباعه لا تخلو منهم بقعة من الأرض فاهل اليمن في زعمه كلهم من مريديه ، وأن زواياهم منتشرة في أمريكا وأوروبا واليابان وفي جزيرة (واق واق) ! وليس ببعيد أن يدعى أن سكان السماوات وأهل المريخ قد أصبحوا أتباعا له ومريدين ، وكان ادعى أن الأمير عبد الكريم بطل الريف هو أيضا من مريديه وما من عظيم لقيه أو سمع به إلا قال عنه أنه من أتباعه أو من مؤيديه ، ولقد زاره ذات يوم جماعة من أهل تلمسان فنشر بين أيديهم بعض الرسائل التي

جاءته من قاديانية الهند ، وكانوا لا يقرؤون خط الرقعة فصعب عليهم ان يعرفوا ما فى تلك الرسائل ، ولكنه زعم لهم ان (مقدمه) العام فى الهند أخبره فى هذه الرسائل بأنه أصبح له فى الهند كذا وكذا مليوناً من الاتباع والمريدين ، وان زهاء نصف مليون منهم يريدون زيارتى الى الجزائر ، ولكن أين الفنادق التى تكفى لاقامتهم ؟ قال وعلى هذا فانى عازمت أنا على السفر الى الهند ليزورونى هنالك فيها ! ثم قال لهم : الملايين فى الهند يتشوقون الى رؤيتنا والى تقبيل ايدينا وابن باديس والعقبى والزاهرى واصحابهم لا يعترفون لنا اننا أولياء الله ولا (يسلمون) لنا ، ولكن هؤلاء التلمسانيين قد ارتابوا فى هذه الملايين من الفقراء الحلوليين وشكوا فى وجودها فى الهند فبحثوا حتى عرفوا أنها رسائل جاءت من مركز القاديانية فى الهند ، والقاديانى جمع ما قيل فيه من مدح وثناء وطبعه فى كتاب يحتج به على صحة دعواه ، وكذلك شيخ الحلول كان - ولا يزال - يحتال على الناس حتى يكتبوه ويشنوا عليه ، وجمع ما حصل عليه وطبعه فى كتاب (الشهاد) .

والقاديانى يشتم خصومه بانهم كانوا مدحوه حتى ان خصما له أجابه ، وقال لقد مدحتك قبل ان تدعى النبوة ، وكذلك شيخ الحلول يسب خصومه الذين انكروا ادعاءه الألوهية بانهم كانوا اثنوا عليه ، وانا نفسى قد شتمنى مرارا فى ورقته الضالة بانى كنت أثبتت عليه بكلمة طيبة لا فى جريدة سيارة ولا فى محفل عمومى ، ولكن فى رسالة خاصة قد مدحتنى هو بأكثر منها ، وذلك انه كان مدح نفسه وطائفته بمناسبة احتفال اقامه ، ونشر وصف ذلك فى بعض الجرائد ، ولكن امضاه بامضائى انا فارست أنا الى الجريدة اتفى ان أكون ارسلت بمقال ما ، فى هذا الموضوع ، ونشرت الجريدة تكذيبى لهذا المقال وبرأتى منه ، فكتب شيخ الحلول الى يقول لى لا يلزم ان تتبراوا من هذا المقال ، ويقول ان فى التكذيب ما يمس به هو ، فكتبت أنا اليه أقول له انى احترمه ، ونفيت له ان أكون قد أردت المساس به وأثبتت عليه ببعض عبارات طيبة لا بأس بها ، وكنت اعتقد يومئذ ان صاحب الجريدة هو الذى زور امضائى ، ولم أكن قد اطلعت على شئ من كتب هذا المشعوذ الدجال ، ولما رأيت كفر هذا الدجال وادعاءه للالوهية ، وتعلقه بالقاديانية الخ الخ ...

وقفت له انكر عليه فجعل هو يسبني ويشتمني في ورقته الضالة ، ولكن بماذا يشتمني ؟ لقد شتمني بانى كنت مدحته واثنيت عليه ! فهو يعترف بان مدحه هو خطيئة من الخطيئات ، وبان الشناء عليه وزر من الاوزار ، وقد حكم على نفسه بالضلال من حيث يدري أو من حيث لا يدري .

نعم يا شيخ الحلول والضلال ، ان مدحك خطيئة والثناء عليك وزر وذنب ما دمت أنت على هذا الغيى وعلى هذا الضلال فان انت تبت وارعويت عن جهلك وضلالك ، فانا لا أتحرج ان اثنى عليك كما اثنى على كل من آمن وعمل صالحا والا فتلك هفوة ، اسأل الله ان يتجاوز لى عنها وان يحفظنى فلا أعود لمثلها ولا اغتر بعدها بدجال مثلك ، وانى استغفره تعالى وأتوب اليه انه كان توابا .

وهران : جمادى - 2 - 1352 هـ

أكتوبر 1933 م

عن مجلة الشهاب ج 11 م 9

محمد السعيد الزاهري

لم نشأ ان نغير شيئا من ألفاظ المقال :

أولا : لأمانة النقل ،

ثانيا : لأن الشيخ لم يتب ، و (القوم) - من بعده - مجتهدون فى رواج أقواله ، حريصون على اثبات (وحدة الوجود) . . . فى أمتنا أعادنا وأعادها الله منها .

القسم الخامس

1 - شلت يد الجاني

أول قصيدة نشرت في هذا الموضوع - كانت للشاعر الوطني الكبير (رمضان حمود) رحمه الله ، وقد أرسلها صحبة قطعة نثرية وضعناها في باب النشر .

ولد أدينا الكبير بمدينة غرداية سنة 1906 م ، ونشأ كما ينشأ غيره من أبناء سراة البلد ، فحفظ القرآن الكريم ، وتأدب بآداب العرب : فاستظهر كثيرا من النصوص الادبية من الشعر الفصيح والنثر الفني حتى أصبح وله ملكة جيدة في قول الشعر وكتابة النثر كما تشهد بذلك قصائده ومقالاته .

وكان الى ثقافته العربية الاسلامية على معرفة باللغة الفرنسية مما وسع مداركه ، كما كان يشتغل - مع ذويه بالتجارة - وعاش مدة في مدينة غليزان بالغرب الجزائري ولاية وهران سابقا حيث عشنش الاستعمار والاستيطان الفرنسي الاوروبي على حساب أهل الوطن ، ذهب اليها وعمره ست سنوات وبها قرأ الفرنسية، ثم هاجر الى تونس وعمره 16 عاما فانضم الى أفراد البعثة العلمية لأبناء الطائفة التي كان يرأسها الشيخ أبو اليقظان والشيخ طفيش رحمهما الله ، ودخل الزيتونة . ولكنه أصيب بالمرض هناك ، ولازمه حتى قضى عليه .

وقد كتب الفقيد في جريدة (وادي ميزاب) (وفي الشهاب) انتاجا طيبا ، شعرا ونثرا، يبين عن دين متين، ووطنية صادقة، وقومية سليمة، ويشرى مستقبل باسم، ولكن المنية عاجلته وهوفى عز الشباب، فتوفى عن ثلاثة وعشرين عاما سنة 1929م، فبكاه (الشهاب) وحزبه وشعروا بفقده ، وهذا نص القصيدة تحت العنوان السابق ، وقد نشرت في العدد 78 الصادر في 2 رجب 1345 هـ ، الموافق 6 يناير 1927 م ، قال رحمه الله :

عش سالما

(والقصيدة من بحر الكامل)

- عش سالما (عبد الحميد) من البلا قد خابت الاندال وهى كئائب (1)
عش كالهلال سناؤه وعلوه والكل نحوك انجم وكواكب (2)
عش سائرا نحو الامام ودم ولو هطلت عليك مصائب ونوائب (3)
عش ناصرا للحق وارع ذمامه حتى تتم ما عليه تطالب (4)
من يخدم الشعب العزيز فانه رغم الليالى على التفوق يركب (5)
من يخدم الشعب العزيز ويبتنى مجدا تهدم - لا محالة - صائب (6)
لما نهيتهم بكل رصانة ضاقت عليهم بالجواب مذاهب (7)

- (1) البلى - بالكسر وبالقصر - القديم الرث البالى وفعله بلى يبلى ومنه يدعو الشعراء بالسلامة قال ذو الرمة :
ألا يا سلمى يا دار مئى على البلى ولا زال غنياً بجرعائك القطر
والبلاء بالفتح والمد : الاختبار والامتحان من بلاء يبلىه : امتحنه . والشاعر قصره للضرورة ، ودعا له بالسلامة ، والسلامة - فى البلاء - الفوز عنده والصبر له . والنذل الخسيس المحتقر . والكئائب ج . الكتيبة : القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل
(2) السننى بالقصر : الضوء والنور ، والسناء بالمد : العلو والرفعة ، قال تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » وقال ابن زيدون :
ياأخا البدر سنساء وسنى رحم الله زمانا اطلعك
وادخال (ال) على (كل) و (بعض) مما انكره حذاق النحويين للازمتهم للاضافة أو التنوين ولكنه مستعمل ، وانجم : ج نجم من الاجرام السماوية المضيئة بنفسها ، وكواكب ج كوكب : اجرام سماوية تستمد ضوءها من الشمس ، وهذا اصطلاح جغرافى .
(3) هطلت من هطل المطر : نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر ، ونون كلمة مصائب ونوائب للضرورة .
(4) الذمام : العهد والضمان فى ذمة الله وكنفه وجواره ، ورعى العهد حفظه
(5) هذا ايمان كل وطنى صادق لا يبالى بما يقف فى طريقه من عقبات ليقيه بحسن العاقبة (من) اسم شرط وجواب الشرط (جملة فأنه) وقد اقترن بالفعل لانه لا يصلح ان يكون شرطاً مباشراً الاداة .
(6) سهم صائب : اصاب الغرض ولم يخطئه ، وهو خبر المبتدا فى أول البيت .
(7) رصن العقل وغيره استحكم وثبت واشتد .

- حاروا ولم يلقوا الدليل لسعيهم
 لم يفلح الجاني ولم ينسل المني
 قل للذي يسطو على عظمائنا
 هذا - الشهاب الفذ تلسع ناره
 واذقهم طعم الردى بسطوره
 وارشدهم بالبينات ليهتدوا
 مالوا الى التهديد وهو مجانيب (8)
 قاله يرفع من يشا ويقارب (9)
 مهلا فانك بالتمرد خائب (10)
 فارسله صاعقة فانك غالب (11)
 فالعبد للتقريع ، انه صاحب (12)
 بالحق انه للعقول مناسب (13)

- (8) حاروا : من الحيرة التردد وجهل الصواب في الرأي والمذهب مجانيب
 للصواب من الامر مباعد للحق .
 (9) المني : ج الامنية بغية يود الحصول عليها من امر محبوب مع عسر أو
 استحالة (يشا) ممدود قصره الشاعر للضرورة وذلك جائز ، يقارب بمعنى
 يقربه اليه « **واذا سالك عبادى عنى فاني قريب** » .
 (10) السطو : الوثوب والهجوم والاخذ بشدة ، يقال سطا به ، وسطا
 عليه ، ومهلا : رفقا وتؤدة ، أى امهل وارفق ، والتمرد التعدى على الناس
 ومجاوزة حد مثله ، وخائب : خاسر .
 (11) هذا : التفات الى صاحب الشهاب ، والشهاب من اسمائه : كل مضى
 متولد من النار ، ومنه شهاب السماء المرسل على الشياطين ، فهو نار قد ينزل
 صاعقة تشعل النار في الارض ، والصاعقة نار تسقط من السماء في رعد
 شديد عذب الله بها قوم ثمود لعنادهم ، قال تعالى : « **واما ثمود فهديناهم
 فاستجبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون** » .
 (12) الردى الهلاك والسقوط ، والعبد للتقريع يشير الى قول الشاعر :
 العبد يقسرع بالعصا والحرر تكفيه الاشارة
 (13) البينات : يريد بها آيات الله البينات أى بالقرآن : « **شهر رمضان
 الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » .
 وكانت طريقة ابن باديس التذكر بالقرآن ، وسنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التى جاءت بيانا له .

2 - إلى زعيم المصلحين إلى من أودى في الله إلى الاستاذ عبد الحميد بن باديس

هذه القصيدة من نظم الشاعر الكبير ، الكاتب الأديب الشيخ محمد السعيد الزاهري رحمه الله، جاءت بعد قصيدة الشيخ رمضان حمود، والشيخ الزاهري له اطوار في حياته ، فهو أديب لامع ينحدر من عائلة شهيرة في الزيبان الشرقية ، اشتهرت بكبار كتابها وشعرائها مثل الشيخ الهادي السنوسي رحمه الله ، والشيخ زهير أمد الله عمره .

حفظ القرآن في مسقط رأسه (مدينة ليانة) وتلقى المبادئ الأولى على علماء عصره في بلده ، ثم التحق بقسنطينة وبقي فيها بضعة أعوام يستمع الى علم وأدب الشيخ عبد الحميد حتى نال بغيته وظهر عنده نبوغه، ولكن ضاقت نفسه بحزم الشيخ في تربية طلابه وتقييد بعض حرياتهم ، فانتقل الى الجامعة الزيتونية ، ولقى هنالك كبار الطلبة الجزائريين أمثال الشيخ مبارك ، والشيخ العربي رحمة الله عليهم ، واستمع الى دروس فطاحل علماء الزيتونة وأدبائها، ومن هؤلاء الآخرين أستاذنا الشيخ معاوية التميمي رحمه الله ، وقبل أن يغادر الزاهري تونس كان له صيت كبير في الأوساط الأدبية .

وفي العشرينات عاد الى الوطن فانغمس فوراً في حركة النهضة وصار من أقدر كتابها ، حرر في المنتقد ثم في الشهاب ، وفي (صدى الصحراء) وفي (الاصلاح) وشارك في إنشاء وتحرير جريدة (البرق) القسنطينية، وامتاز

بلهجنه العنيفة فسبب له خصومات ومحاكمات ، وأسس جريدة (الجزائر) وجعل شعارها (الجزائر للجزائريين) ، وهو أول من يعلن ذلك كشعار له في الصحافة الجزائرية ، فلم تصبر الإدارة الاستعمارية عليها وعطلت صدورها . وكان يكتب بامضائه الصريح وبالامضاءات المستعارة ، ومنها « تأبط شرا » كما كان يكتب وينحل غيره كتابته ، وهو من الأدباء الذين أسسوا جريدة « الجحيم » كرد عادية سفهاء « المعيار » العليوية بنفس سلاحهم . فقهرهم وأسكنوهم . « وَلَكِنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ » .

وانتقل الى مدينة الأغواط بقصد تأسيس مدرسة فطال انتظاره - عينا - لرخصتها ، فانتقل الى تلمسان والقي محاضرات وكون بها حزبا مؤيدا له ، واشتبك في خصومات محلية (1) وراسل الشهاب بمقالات رنانة ، ثم انتقل الى وهران وقام بها مدة طويلة في عمل متواصل ، وأخيرا حظ زحاله بعاصمة الجزائر وبقي فيها الى ان لقي ربه ، رحمه الله .

كان الشيخ الزاهري اديبا ممتازا ، غزير الانتاج ، يسير عليه قول الشعر الجيد ، ولكنه يكتب النشر بأسهل وأيسر مما يكتب الشعر ، شهد له بطول الباع في الكتابة الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره ، وقد كتب - فضلا عن أدب المقالة - القصة ، ونشر اقاصيص اسلامية بعنوان (الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير) ، كما نشرت له مجلات راقية مثل : مجلة (المقتطف) المصرية للدكتور يعقوب صروف ، وهي مجلة علمية رصينة ، كما نشرت له مجلة (الرسالة) المصرية ، وكانت في عصرها لسان حال الأدب الراقي المتألق ، اما صحف الجزائر فقد شارك بقلمه وشعره في معظمها .

ولما تأسست جمعية العلماء عام 1931 م ، انتخب في مجلس إدارتها عام 1932 م ، وفي اجتماعها العام سنة 1934 م ، أنشد قصيدة رنانة مطلعها : حي العروبة في جمعية العلماء - وحي - ويحك - فيها الدين والشيما وتولى مع الشيخ العقبي رئاسة تحرير صحفها السنة والشريعة والصراط آخرها البصائر في سلسلتها الاولى ، ولكن لم يجدد انتخابه لعضوية مجلس

(1) اثناء وجوده فطسح اختلاسا ارتكبه بعضهم في مالية جمعية خيرية للعناية بالمساكين فحوكم مع زميل له ومع مدير الشهاب فحكمت المحكمة ضدهم وغرمتهم ، واخذت الحكومة واذا بها في مضايقته ، ولعل هذا من دواعي انتقاله من تلمسان الى وهران .

ادارتها اثناء اجتماعها العام سنة 1936 م . فكان ذلك بداية منعرج خطير في حياته . اذ اتهم بعض أعضائها بالعمل ضده ، وأخذ يقول عنهم السوء وينشره . ثم تجاوز القول الى العمل فأسس الجرائد الخاصة به وكتب ضدهم ثم ضد الجمعية ، من ذلك انه أسس جريدة (الوفاق) فلم ترج ، وردھا الباعة ورفضها القراء ولم يستسيغوا ان يتنكر لمبادئه ولإخوانه ، قال به الأمر الى ما آل اليه امر (النجاح) و (البلاغ الجزائري) ، وأخذ يصانع أعداءه القدامى وخصوص مبدئي الاصلاحى بالامس ، ويتني على بعض شيوخ الزوايا والطرق ، وقد كان من اشد كتاب المصلحين ضدهم ، ثم بلغ به الامر انه انضم عام 1939م الى الحلفاء - وفيهم فرنسا - اثناء حربهم ضد ألمانيا وحلفائها ، وكانت تغلب عليه نزعة ضد النازية ، وهذا خلاف ما صنعتته جمعية العلماء ورئيسها ابن باديس الذين قرروا الحياد والسكوت قائلين - كما سمعت بأذني فحواه من ابن باديس - (ان قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضى الشعب أغضبنا فرنسا ، وان قلنا ما يرضى فرنسا غضب الله علينا ولم يرض الشعب عنا فلنسكت) وحاولت فرنسا ان تعطلهم فلم تستطع ، اما الزايعري فنطق بما احبوا ان يقول في هتلر وحزبه ، ولم يكن نطق الزايعري مفهوماً أو معللاً معللة معقولة كميته الى اليسار ، فقد كانت أفكاره يسارية منذ عهد الجبهة الشعبية ، وكان له فصل يكتبه في جريدتهم بوعمران وينرجس الى الفرنسية ويمضيه باسمه الصريح م . س . زايعري ، ولكن هتلر كان مسالماً للاتحاد السوفياتي عام نشوب الحرب 1939 م ، اقتسم معه أرض جمهورية بولونيا . وكان موقف اليساريين غير محمود ، وما انقلب الوضع الا بعد ان هاجم هتلر أرض الاتحاد السوفياتي في 21 جوان 1941 م ، فهاجمه اليساريون بشدة وأسسوا المقاومة السرية في فرنسا ضده ، ولا يتهم الزايعري في وطنيته لانه كان متطرفاً لكنه سوء تدبير منه لترخص له الرقابة في اصدار جريدته . ومن عجيب اننى قرأت له في أحد اعداده زعمه بان الشعب الجزائري كله بجانب (الحلفاء) في الحرب ! مع ان عواطف الشعب لم تكن كذلك لما يقاسيه منها ، بل كانت مائلة لجانب خصوم فرنسا بعضاً لها لا حبا فيهم ولا اقراراً لمبادئهم .

واثر الحرب العالمية الثانية استمر في حطته وأسس جريدة (المغرب العربي) مهاجما فيها العلماء ، مادحا الطرقية والطرقين هاجبا بشدة الشيخ البشير الايراعييمى ، الذى سكنت عنه كثيرا محتسبا ، ثم كتب عنه مقالا نشره فى (البصائر) ويوجد منشورا فى كتاب (عنون البصائر) .

وأخيرا اضطرت الحركة الوطنية الى جريدة وحروف عربية فاستعارت ذلك منه لمدة قبل ان يخرجوا جريدتهم العربية الخاصة بهم ، ووجد نفسه فى خدمة الحركة الوطنية الصريحة ، ولما وقع الانشقاق داخل الحركة لم يحسن الاختيار وانحاز الى الآية المحسوة كما قال عمر (1) فكانت عاقبة أمره خسرا . فانه لما نشبت الثورة سكنت مدة ثم اخرج جريدته من جديد ، وشرح بلمز الجبهة وينتقد بعض تصرفاتها ، اذكر من ذلك انه صنع بقتل خائن اعدم بالمسجد الكبير بعد ما عاث فسادا فى جهة تابلاط واحتمى بالمسجد ، وقد اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماء قوم اذن فى قتلهم فى المسجد الحرام .

ومن ذلك انه انتقد انتقادا مرا سفر وفد فيه السيد فرحات عباس للاتفاق بالثورة وبأمر من القيادة ، وكتب عن ذلك كلمة فى جريدته عنوانها : (وفد مريب فى مهمة مريبة) وغابت عنه السياسة الحكيمة التى انتهجتها جبهة التحرير فى قبول جميع المواطنين - اذا نصحوا - فى صفوفها .

ثم تجرأ أخيرا ونشر صورة كبرى غطت كامل الصفحة الاولى من جريدته للسيد . . . الذى كان رمز الخلاف وزعم انه زعيم الشعب الاكبر وصادف ان كانت الفتنة فى اشدها بين فدائي الجبهة وبين اتباع (الحركة الوطنية) ، فكان هذا الانحياز المعلن منه بمثابة الحكم على نفسه بالاعدام .

وذات يوم من أيام 1956 م ، خر الشيخ الزاهري صريع خمس رصاصات من يد فدائيين فى مدخل نهج زبانة (لالير - آنذاك -) قرب جامع كتشاوة ،

(1) جاء رجل الى عمر بن الخطاب وكان يلى له عملا فى خلافته فقال له : رأيت الشمس والقمر فى حرب ومعركة ، فقال له عمر : وفى أى جانب كنت انت ؟ قال : كنت فى جيش القمر ، فقال عمر : كنت فى جانب الآية المحسوة ، قم والله لن تلى لى عملا أبدا ، يشير عمر الى قوله تعالى : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة** » فلما وقع الخلاف بين على ومعاوية كان الرجل فى جيش معاوية .

فذهب ضحية تهوره وسوء تصرفه وأصراره على الخطأ ، وعسى إن يلقي عند ربه خيرا مما لقي من الناس .

وكان - عفا الله عنه - لا يبالي ، وقد يسيء الى سمعته وعرضه مع نقاء سيرته وبعده عن الريب وإن عاش حياته عزبا ، فقد كان بوهران يسكن حذو حي المومسات ، فزاره أديب كبير من اصدقائه ودل على محل سكنه فلم يجده فيه فكتب له على بابيه :

سكنت - ويحك - في حي (البراديل) أما تخافن من قال ومن قيل !
ولم يكن الزاهري رحمه الله يخاف من أى قول يرسله أو يقال فيه .

كتبت دماؤك للهدى صفحات

اما هذه القصيدة فقد قالها في حادثة السطو على الاستاذ ابن باديس ، منوها بشخصية ابن باديس مستنكرا فعل خصومه واصفا بعض منكراتهم الدينية وتصرفاتهم الاجتماعية، وقد نشرت في العدد 78 من الشهاب الصادر في 9 رجب 1345 هـ ، الموافق 13 جانفي 1927 م ، قال (من بحر الكامل) .

لا تبلغ العلياء دون ثبات هيئات دون المجد كسل أذاة (1)
يا وقفة لك في سبيل الله لم نرعا لغيرك من ذوى الوقفات (2)
في الله ما لاقيت مما كاد يذ هب بالذى لك من عزيز حياة (3)
ان تكتب الحق الدماء فانت من كتبت دماؤك للهدى صفحات (4)
عجبا! لقد أسمعت حتى النائم من الورى بمقابر (الخلوات) (5)

(1) العلياء بالفتح والمد كالضم والقصر : المكان العالى المشرف حسا ومعنى وهيئات بفتح الاخير وضمه وكسره اسم فعل بمعنى بعد وفيه لغات ، والاذاة : الاذية والضرر .

(2) نصب المنادى لانه نكرة ، للتعظيم فهو في قوة النكرة الموصوفة يا وقفة عظيمة .

(3) من عزيز حياة من اضافة الموصوف لصفته ، والاصل من حياة عزيزة .
(4) ان كانت الدماء تكتب الحق والرشد والهدى ، فانت قد فعلت ذلك ، وقد صرح الشهاب بان نهضتنا كتبت بالبحر الاحمر الذى لا تمحوه الايام .
(5) حقا ان من يقبل الخلوة وشروطها من جوع وعطش وظلمة وأوعام ووساوس لقي قبر وضع نفسه بنفسه فيه .

بعثوا اليك (منوما) يعدو على ما فيك من جد ومن عزمات (6)
 قطع الطريق عليك في غلس ولم تكن التيوس لتقطع الطرقات (7)
 فاسأل منك دما زكيا في الدجى ظلما فيا للظلم في الظلمات (8)
 شلت يد (التيس) الشقى فانها شجت جميل الفضل والحسنات (9)
 لا تحفلن بعصابة تسطو على أهل الحياة وهم من الاموات (10)
 فسلحك العلم المبين وانهم منسلحون عليك بالسبحات (11)
 ولانت ذو العلم الصحيح وهم ذوا الاوعام والاحلام والشبهات (12)

(6) النائم لا يملك ارادته ، والمنوم هو الذى تسلط عليه غيره فتسبب في نومه بتخديره . وفي ذلك الزمان شاع استعمال التنويم المغناطيسى وذكره وتسخير النائم لارادة المنوم له . ويعدو يعتدى ويهاجم من العدوان عن جد من حزم ضد الهزل . وعزمات جمع العزيمة .
 (7) الغلس : ظلمة آخر الليل ، والجمع الاغلاس ، و (التيس) حيوان مسالم داجن يفترس من الاسود ولا يفترس غيره ، والشاعر يهزا بهم وقد اشبهوا التيوس - عنده - فى اللحى ، وانما قبح ذلك منهم لانهم ظنوا ان اللحية هى أعظم مظاهر الدين ، واللحية سنة نبوية صحيحة ، وقد كان ابن باديس رحمه الله يلتجئ ، وعلى مذهب مالك يعتنى بلحيته ويقبض منها ، اما اهمالها فقد اشبه اهمال التيس لها .
 (8) دماء الشهداء زكية لانهم يبعثون بها يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك ، والدم اذا سفك ظلما دون موجب شرعى فصاحبه - ان مات - شهيد .
 (9) شلت يده : ييسر شلا وشللا ، والفعل ماضى ، ولكن معناه الدعاء مثل قول عاتكة فى قاتل الزبير رضى الله عنه :
 شلت يمينك ان قتلت مسلما . جلست عليك عقوبة المتعمد والشلل توقف العضو عن الحركة وقد يكون لليد أو للرجل أو لنصف الجسم وشجت : جرحت ، وكان الجبين المشجوع جبين السجود ، واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وفي علمنا ان شيخنا رحمه الله كان يقوم الليل فجيئه جبين الحسنات .
 (10) العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . وتحفلن فعل مؤكد بنون التوكيد التخفيف : لا تهتم .
 (11) السبحة : فى الاصل الدعاء ، الصلاة ، النافلة ، وتطلق على خرزات منظومة فى سلك تتخذ للذكر وحساب عدده أو للتسلية ، ولم تكن فى عهد السلف ، واذا كانت من مظاهر (التقى) وتظاهر بها من ليس من أهل التقوى حقا فهي بدعة منكورة ، وقد اشتهرت بحملها ووضعها فى الرقاب هذه الطائفة .
 (12) الاحلام هنا جمع حلم بالسكون : المنامات ، ولها طور كبير فى حياتهم .

- ان كنت تألم في الجهاد فهم كذا لك يجرعون من الردى كاسات (13)
 وراك الثواب الجم عند الله في دار البقاء ووارف الجنات (14)
 ولسوف يبقى الدمر ذكرك خالد بالعلم لا باطالة الصلوات (15)
 لا تجزعن عبد الحميد لنكبة كانت عليهم أكبر النكبات (16)
 انت الزعيم الحر في الاصلاح والاحرار لا ترتد بالصدمات (17)
 سل اليراع على الذين تصيدوا هذى العباد بصالح الدعوات (18)
 قتلوا الشعور من الجزائر بالذى ياتون من حيل ومفتريات (19)
 نصبوا الديانة شركة للكسب فاصطادوا بها من كان ذا غفلات (20)
 وكسا خدائعهم بثوب (كرامة) ما مر من حقب ومن سنوات (21)

(13) يجرعون : جرعه الماء : ابلعه اياه جرعة بعد جرعة ، والاذى : الهلاك والسقوط ، والكاسات : الكاس ومعنى مؤنث . ولا يقال كاس الا اذا كان فيه شراب والا فهو كوب .

(14) الجم الكثير ، الجنات الوارفة الواسعة الظل ، ورف النبات اعتز واشتدت خضرته ونضرتها .

(15) وقد كان ابن باديس يطيل الصلوات ولا يريد ان يشتهر ذلك عنه لانه ما عدا الفرائض سر بينه وبين ربه ، ولولا هذه الصلوات ما خلد له ذكر !

(16) لا تجزعن : أكد الفعل بنون التوكيد الخفيفة ، وسقط حرف النداء من عبد الحميد ، والنكبة : الصيبة .

(17) لا ترتد : لا تنهزم ، والصدمات جمع الصدمة ، ومعنى الدفع بالجسم والاصطدام ، التضارب بالاجسام ، ومن ذلك اصطدام الفارسين - والسيارتين .

(18) البراع من الرجال الجبان ، وهو هنا القلم ، اشار الى العباد وهو جمع العبد باشارة المفرد المؤنث لانه فى معنى الجماعة .

(19) كثيرا ما يمحرقون بحيلة يحسبها السذج كرامة ، وانما هي كذب مفترى ، وقد قال الله فى سحرة فرعون : « سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ » .

(20) الشركة سكن الرأ ضرورة ، وأصله شرك بالفتح وشركة مفتوح أيضا والجمع الشرك : حبال الصيد وذو والغفلات من لا فطنة لهم ولا حذر عندهم .

(21) قد تظهر أشياء خارقة للعادة على يد عابد من عباد الله ، فان كان نبيا قد تحدى قومه ، وجاء بذلك من عند الله فهي معجزة بمثابة قول الله لهم (صدق عبدى فيما بلغ عنى) كالعصا لموسى تنقلب حية تسعى ، وكاحياء عيسى الموتى ، فان لم يؤمنوا استحقوا العذاب .

وقد يظهر الشيء الخارق للعادة من غير نبى ، ولا يصح منه حينئذ دعواه له ولا تبجح به ، ولا اخبار للناس عن أنه ظهر على يده أو سيظهر ، وهذا =

حتى لقد صان «التصوف» عادة والناس أسرى في يد العادات (22)
أودى التصوف بالعقول فلا ترى فى (القوم) عقلا وهو غير موات (23)
أولا التصوف ما رأيت ذوى اللحي يأتون أمرا وهو غير مواتى (24)
عجبا لقوم يحجبون نساءهم عن كل ذى عين وذى لحظات (25)
وعن الكواكب والنسيم وما له فى الفجر من جرى ومن خطرات (26)
ورأيت منهم من يبيع لشيخه ما كان من زوج له وبنات (27)
ولربما زار النساء (مرابطا) قد جئته لتطلب البركات (28)

= يسمى الكرامة وقد نفاها بعضهم كامام الحرمين لأنها تلتبس بالمعجزة والمحققون من العلماء يشبونها ، قال صاحب الجوهرة :

وأثبتن لاوليا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه
فالاولياء الحقيقون ينفونها عن انفسهم ويكتُمونها ان وقعت خشية الفتنة
واما الدجالون فانهم ينتحلونها ويدلسون بالباطل منها خداعا للناس وهذا
ما يشير اليه الشاعر .

(22) التصوف علم حادث فى الملة ، اختلف فى أصل اشتقاقه أهو من
الصفوف أم من الصفاء ؟ وقد عقد فيه ابن خلدون فى مقدمته فصلا بديعا وأثبت
ضلال المتأخرين من الصوفية وتأثرهم بالباطنية ودعاويها وديانتهم بالحلول
ووحدة الوجود فانظروا هناك فانه مفيد جدا .

(23) اودى به ذهب به ، وأداه الى الهلاك ، والقوم هنا جماعة المتصوفة
وموات هنا بمعنى ميت من الموت أى حل به الموت ، والارض الموات المهلهلة
المهجورة .

(24) مواتى : هنا بمعنى موافق ، أى غير موافق ولا لائق .

(25) يحجبون : يسدلون الحجاب دون النساء ، ولا يسمحون برؤيتهن ،
ومن ذلك وضع الخمار على الوجه عند الخروج - والسفور اظهار الوجه وكشفه
واللحظات النظرات بموخر العين عن يمين ويسار ، والملاحظة المراقبة .
واللحظة الوقت القصير قدر لحظة العين .

(26) الكواكب جمع كوكب : الاجرام السماوية التى تكتسب ضوءها من
غيرها ، والنسيم الريح اللينة لا تحرك شجرا ولا تعفى اثرا خطرات امتزازات
وتحركات ، وخطر له الامر لاح فى فكره .

(27) يتعجب الشاعر من شدة محافظة قومنا وعدم تسامحهم مع بعضهم
بعضا حتى ان الانسان ليحجب حريمه عن كل احد حتى على نسيم الفجر وهو
لا يسرى ثم يتسامح مع شيخه فيرى نساءه وبناته قد يزرنه ويأتينه يطلبن
منه البركة ويدفعن الزيارة ويعطينهن بركاته فى زعمه . وذلك مبالغة فى الثقة
وان كان الخلق فى قومنا الا تسامح فى شأن الحريم .

(28) لتطلب لالتماس البركة .

فيعدن في فرح بما حصلنه من فيضة من سائر الحاجات (29)
 وعفيفة هتك (المرايط) عرضها وتظن ذلك أظهر القربسات (30)
 فتظل تفخر في النساء بأنها ظفرت من الايسام بالرغبات (31)
 هذا (التصوف) عندهن وهذه آثار (علم القوم) والسادات (32)
 مات الرجال فلم تعد من غيرة لهم على الازواج والحرقات (33)
 ورأيت قوما يتركون عيالهم جوعا بلا قوت من الاقوات (34)
 يتصدقون على المشايخ والعيا ل يبيت من جوع على الجمرات (35)
 مارسوا اخلاق الشيوخ فلم اجد غير الخمول وغير حب الذات (36)
 ووجدت منهم من يعد اخا العبا دة وهو في لهو وفي لذات (37)

(29) الفيض مما يستعمل في التصوف يريدون به افاضة بحر العلوم الدينية على من وصلوا فيهم وقبلت عبادتهم ، والشاعر يرمز الى شيء آخر .
 (30 - 31 - 32 - 33) العفيفة الطاهرة التي ترفعت عن الفاحشة وصانت عرضها ، وافادت هنا واوردت الكثرة ، والمرايط في أصل الاستعمال الشرعي من لازم الثغور التي يأتي منها العدو ويسكنها بقصد الجهاد على الحدود ثم صار يطلق على من يلزم العبادة ويعتزل الناس لها في مكان ما ، ثم صار يطلق على أبناء الزوايا ومشايخها ولو كانوا جهلة عصاة وفساقا ، وهذا الاخير هو الصنف المراد من الشاعر وحاشا الاصناف الاولى فانهم من خيار الامة ، ولا توجد امرأة مسلمة ترى ان الفاحشة مما تفخر به على اترابها وتظهره ، فان من تطاوع أبناء المرايطين على الفاحشة يعرف فعله بها وفعلها معه وانه فاحشة ، والشاعر هنا يبالغ .

(34) كانت عادة قومنا ان ياتيهم (المشايخ) مرة او مرتين في السنة فيذبحون لهم الذبائح ويتكلفون في ضيافتهم واطعام اتباعهم ثم يجمعون لهم (الزيارة) ولا يعفى من نصيبه فيها احد ولو كان في مسغبة ، وهذا ما اشار اليه الشاعر .
 (35) يريد بهم بعض شيوخهم الزوايا ، على حرقة الجوع والفاقة يحسبه الناس من العباد القانتين وهو في الحقيقة يبيت عاكفا على لذاقة وشهواته .
 (36) مارس الشيء عالجته وعاناه ، وتمرس به احتك به ، والشيوخ : يريد بهم شيوخ الزوايا الخامل من الرجال : التساقط من لا تباهة له ، والخمول الضعف ، والخفاء ، وحب الذات : الانانية وايشار النفس على حساب الغير .

(37) من يتظاهر امام الناس بالعفاف وبالتنسك والعبادة ، والحال انه صاحب لهو وبطالة وانغماس في اللذات .

طلبوا صلاح المسلمين ففرقوا	الاسلام فى طرق وفى اشئنا (38)
وبنوهم من بعدهم لا يهدأو	ن اليوم فى وقت من الاوقات (39)
يتكفون الناس الحافا عسى	يعطونهم من فضلة وفتات (40)
والناس لم تبق الضرائب عندهم	فضلافهم فى انعس الحالات (41)
ضاقا سبيل بنى الشيوخ فهل ترى	فى الناس ذا فقر وذا صدقات؟ (42)
لم تجد أبناء الشيوخ كرامة	اثر، ولا ما قيل من نفحات (43)
نهضوا لحزب المصلحين لعلمهم	يقفون دون طريقه عشرات (44)
آذوك حين دعوت من ضلوا الى	دين النبى بحكمة وعظاا (45)
واذاية الجهلاء مثل اذاية الـ	عجما ما كانت بذات ترات (46)
صبرا «زعيم المصلحين» على الأذى	لا بد دون الشهد من لسعات (47)
والمرء يدرك بالثبات على العلا	ما عز من غرض ومن غايات (48)

- (38) جعلوا المسلمين طرائق مختلفة منشئة مع ان الاسلام دين واحد وطريقة واحدة .
- (39 - 40) بنوهم يرتحلون طلبا للثروة ، يتكفون الناس أى يمدون نحوهم أكفهم ويلحون فى طلب الناس اعطاءهم فيعطونهم من الفضلة وفتات موائدهم ، والفتات ما تفتت وتكسر من الشئ المقوت .
- (41) يقول ان الناس قد انهكتهم ضرائب الاستعمار واتت على ما عندهم . فهم فى نحس مستمر .
- (42 - 43) لم يعد أبناء الشيوخ ينتفعون بما يروى من كرامات نسبت لأبائهم ولا جدادهم من قبل ، ولا ما يروى من نفحات مروية لهم .
- (44) نهضوا : قاموا ، عشرات : جمع عشرة : مزلة وسقطة أى موضع العثور
- (45) آذوك : أصابوك بضر حينما دعوت الضالين الى الرشيد بحكمة وموعظة
- (46) التره مصدر وتره يتره وتره وتره اصابه بمكروه أو بانتقام منه ، والوتيرة : الانتقام والظلم فيه ، ومعلوم ان الحر لا يأخذ بثاره من حيوان اعجم
- (47) عجز البيت تضمين لمثل آخر شعرى (ولا بد دون الشهد من ابر النحل)
- (48) عز : غلا ونذر وقل ، الغاية : المنتهى والمطلوب .

حمتك يد المولى لشاعر الشباب المشهور

هذه قصيدة رائعة من روائع أمير شعرائنا - بلا منازع - الاستاذ الكبير محمد العيد آل خليفة رحمه الله ، اصل عشيرته من بلدة كوينين بقرب مدينة الوادى (سوف) من ولاية بسكرة ، وولد بمدينة عين البيضاء فى 27 جمادى الاولى 1323 هـ - 28 أوت 1904 م .

وبعد حفظه القرآن الكريم بمدرستها الابتدائية انكب على طلب العلوم الاسلامية الدينية والعقلية واللسانية ، وأول من أخذ عنهم الشيخان محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجى ، وظهر نبوغه مبكرا ، واستمع الى علماء عصره فى بسكرة بعد ان انتقل اليها مع أسرته عام 1918 ، فاستمع الى المشائخ على بن ابراهيم العقبى ، والمختار بن عمر اليعلاوى ، والاديب الكبير جنيدي المكى ، ثم توجه الى الجامعة الزيتونية بتونس عام 1921 م ، فانخرط فى سلك طلبتها وسمع من كبار مشائخها ، ولكن لم يطل به المقام فيها كثيرا اذ عاد الى وطنه بعد سنتين واستقر حينما ببسكرة عروس الزيبان فاشتغل بالتعليم ، وأخذ ينشر فضله وأدبه بما يعلم ويلقى ، وبما يكتب وينشر ، فذاع صيته وعرفت قصائده الرنانة من خلال المنتقد ، والشهاب ، وصدى الصحراء ، والاصلاح ، وخاض معمعة الصحافة ، فشارك فى اخراج (صدى الصحراء) التى أسسها السيد أحمد بن العابد عام 1924 م ، كما شارك العقبى فى اخراج جريدة الاصلاح ، ثم انتقل عام 1927 م ، الى العاصمة فاستندت اليه ادارة (مدرسة الشبيبة) بأعلى حى باب الوادى (قرب ثانوية عقبة اليوم) ، وكانت



الشيخ محمد العيد آل خليفة

مؤسسة وطنية حديثة ألتف حولها رجال البر والاخلاص فبذل في ادارتها والتعليم بها كل ما لديه من قوة الايمان والشباب والوطنية باخلاص ، وكان بجانبه - في التعليم - خيرة أبناء الجزائر مثل الشيخ باعزيز بن عمرو احد كبار المتخرجين من مدرسة ابن باديس واحد الكتاب النابهن ، والشيخ فرحات ابن الدراجي بوحامد المتخرج من الزيتونة واحد الكتاب المجيدين ، والشيخ جلول بدوي الاديب المشهور ، والشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤلف المؤرخ ، وغيرهم ، رحم الله الأحياء منهم والاموات .

وممن نبغ في عهده من تلاميذ المدرسة - اذكر منهم ولا احصيههم - الاساتذة : عثمان بن الحاج بوقطاية ، والاستاذ الطاهر بوشوشى ، وكلاهما أديب نابغة شاعر نائر ، والاستاذة شامة بوفجي ، واختها .

ولكن هذه المدرسة أصيبت بنكبة عظيى وزلزلت زلزالا شديدا يوم قبلت جمعيتها بوضعها تحت اشراف (الاكاديمية) الفرنسية ورقابتها في بداية الحرب العالمية الثانية ، ويقال ان ذلك كان بتأثير من الشيخ الطيب العقبي رحمه الله ، وكان الشيخ محمد العيد يحبه ويقدره ويجله لانه من أساتذته ، ولكنه لم يرض عن الوضعية الجديدة ، وأول ما أصابها ان فارق الشيخ محمد العيد ادارتها ، ثم غادر الجزائر فرارا من هذا الجو الجديد ، وما زالت هذه المدرسة فى انحدار منذ ذلك اليوم حتى حصول الاستقلال ، ولم يكن لها انتاج يذكر وذلك ما كانت الادارة الفرنسية تقصده مما رفضته جميع المدارس الحرة وقبلت جمعيتها به .

قضى الشيخ محمد العيد فترة الحرب العالمية وما بعدها مترددا بين بسكرة وباتنة ، دأبا على التعليم والادارة ، وعاد الى انتاج الرجال بالتعليم والتكوين ، فتخرج عليه شباب فى بسكرة ، وفى باتنة حيث أدار مدرستها مدة عامى : 46 - 47 ، وعندما عقد مؤتمر (المعلمين وهيئات المدارس الحرة) بمدينة قسنطينة فى 16 مارس 1946 م ، كان من أبرز رجاله وألقى فيه قصيدة عصماء ؛ وكان هذا المؤتمر تمهيدا لمؤتمر المعلمين الاحرار الذى انعقد تحت اشراف جمعية العلماء فى سبتمبر 1946 م ، وبمركزها ، وترأسه المرحوم الشيخ محمد بن العابد السمانى أحد افاض المعلمين الاحرار ، وهذا المؤتمر هو الذى أعلن (العصيان المدنى) ضد قرارات فرنسا القاضية بتعطيل جميع

المدارس الحرة والمنع من فتح القديم منها وانشاء الجديد الا برخصة وتحت اشراف الاكاديميات ، وقالوا : (اطلبوا الرخصة تعطكم أياها) فقلنا : لا نعترف بالقانون الذي يمنعنا من حرية تعليم ديننا ولغتنا ، ومنذ أكتوبر 1946 م ، افتتحت أبواب مدارسنا متعرضة للغرامة والغلق وسجن المعلمين . وعندما نشبت الثورة في 6 ربيع الاول عام 1374 هـ نوفمبر 1954م كان الشيخ محمد العيد في مدرسة العرفان بعين مليلة (على 50 كلم ، من جنوب قسنطينة) بجانب أخيه وصديقه الشيخ محمد بن العابد السماوي رحمهما الله ، فأما الشيخ ابن العابد فقد صعد الى الجبل وشارك في الثورة كجندي من أول رصاصة أطلقت ، رغم علو سنه : ففي مساء يوم 31 أكتوبر 1954 م ، سلم ابن العابد مفاتيح المدرسة لزميله محمد العيد وقال له : أنا ذاهب ! ولكنه لم يلبث الا قليلا واعتقل وعذب عذابا أليما حتى فقد بعض حواسه وحكم عليه بالاشغال الشاقة ، وما انتهى عذابه الا بانتهاء الاحتلال عام 1962 م . وأما الشيخ محمد العيد فقد ألقى عليه القبض عام 1955 م ، وزج به في سجن قسنطينة ولم يكن عليه بيان بفعل معين ، وحضر للدفاع عنه بعد كبار المحامين من باريس ممن كانوا يحضرون للدفاع عن الثوار وكبار الشخصيات ، فخرج من السجن بعد بضعة أشهر وبقي كأمثاله من الجزائريين في عذاب الترقب وانتظار الغدر من لحظة لآخرى ، وكان تحت الرقابة الدائمة المشددة والاقامة الجبرية في مدينة بسكرة ، فعاش معزولا عن المجتمع الى ان انبلج صبح الحرية .

وبعد الاستقلال عاد الى ميدانه في التربية والتعليم ، بقي مترددا بين باتنة وبسكرة ، وحضر الى الجزائر لمناسبات منها وفاة صديقه وصفيه الشيخ محمد البشير ابراهيمي رحمه الله . وقد رثاه ، وحضر اقامة بعض ذكرياته ، وذعب الى الحج موفودا من وزارة الشؤون الدينية 1385 هـ (1966 م) وقد جمع بعض شعره في ديوان أنيق ونشر في حياته ، ولكنه يحتاج الى عناية أكبر لتفسير أحداثه ، فان قصائده سجل خالد للنهضة الجزائرية من بدايتها في العشرينات الى حياة الاستقلال في الستينات .

وفي الاسبوع الثاني من شهر رمضان 1399 هـ (جويلية 1979 م) ختمت أنفاسه بمدينة ، باتنة ثم نقلت جثته غداة يوم الوفاة الى مدينة بسكرة

حيث شيع جثمانه فى حفل رهيب حضره بعض الوزراء وكبار رجال الحزب والحكومة والادارة ، وقام بتأبينه - باسم وزارة الشؤون الدينية - رئيس المجلس الاسلامى الاعلى .

يستاز شعر محمد العيد بالمتانة مع سلاسة الاسلوب وعذوبة الالفاظ ، وعمق المعانى وطرافتها ، وقد شبهه أمير البيان شكيب أرسلان بانه فى شعراء العربية يشبه البهاء زهير ، وكان كبار المشائخ كلهم يججلونه وينزلونه بأعلى منزل ، أما الابراهيمى - وهو الذواق فى الادب - فكان يضعه فى مكانة لا يسمو اليها أحد عنده ، ولا يحتاج محمد العيد الى برهان أسطح من شعره . نشرت هذه القصيدة فى عدد الشهاب 81 الصادر فى 3 رجب 1345 هـ ، الموافق 7 يناير 1927 م .

قال محمد العيد يخاطب الشيخ ابن باديس : (والقصيدة من بحر الطويل)

3 - حمتك يد المولى

حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيالك من شيخ حمتك يد المولى (1)
وأخطأك الموت الزؤام يقسوده اليك أمرؤ أملى له الغي ما أملى (2)
فياالوضيع النفس كيف تظاولت به نفسه حتى أسر لك القتل (3)

(1) لشاعرنا الكبير براعة لا تجارى فى رد العجز على الصدر كما فى هذا البيت من هذه القصيدة وحماية الله لاوليائه من عنايته بهم ، والمولى : المولى والنصير ، والسيد والمالك ، والقريب أيضا وكلها صالح هنا الا الاخير . أولى : اخرى واليق واجدر من غيرك .

(2) الزؤام : السريع الكريه : أمرؤ انسان ، والغى الضلل وخلاف الرشد ، وأملى له : وسوس له وأمره وأوحى اليه (ما) هنا نكرة أو موصول يراد بها التفخيم كما فى قوله تعالى : « فَعَسَيْهِمْ مِنْ الْيَمِّ (ما) عَسَيْهِمْ » أى شئ عظيم الهول .

(3) (يا) حرف نداء للاستغاثة والمنادى محذوف تقديره : يا عباد الله ونحوه والجار والمجرور - هنا - مستغاث منه متعلق بحرف النداء لتضمنه معنى الفعل (ادعوا) أو متعلق بفعل مضمير .

وتظاولت نفسه تجاوزت به قدره وتكلفت الطول وهى الحقيرة ، واسرار القتل كتمانها وذلك قتل الغدر والقبيلة وهو قتل الجبناء لان الشجاع ينذر خصمه ويقول له (خذ حذرك ودافع عن نفسك) . ثم يبارزه وانما يبارز الانسان كقوه ، واما الوضيع فانه يفغر من استنكف عن منازلته . وقاتل القبيلة لا عفو عنه وان عفا ولى الدم لانه غادر .

ونالك فى جنح الدجى بهراوة فأدماك، بل أدمى الكرامة والفضلا (4)
وأدمى البرور المحض والرفق والهدى وأدمى الشعور الغض والحذق والنبلا (5)
وأهوى الى نصل بكف لثيمة تعود ان ينضى بها ذلك النصلا (6)
فأوسعتها وهنا وأوسعها قوى وأجهدتها عقدا وأجهدما حلا (7)
وكادت يد الجانى العليوى تعتلى يد الشيخ لولا الله أدركه لولا (8)

(4) الدجى : الظلام ، دجا الليل يدجو اذا اظلم ، وجنح الدجى طرفه وكنفه والهراوة - بالكسر - العصا الضخمة كالنتى فى الفاس والمعول ، والدبوس منها نوع من الهراوى يكون أغلظ فى وسطه منه فى طرفيه ، وقد يكون بارزا ماضيا فى بطنه . وأدماك : أسال دمك ، مثل : دماك ، وما أدماك انت بل أدمى الكرامة . لانك كريم وأدمى الفضل لانك فاضل .

(5) هذه صفات جمعها الشاعر فى بيت واحد ، براعة تذكر ببراعة أبى الطيب المتنبى، ولم يقل له أنت بر ، أنت رفيق ، أنت حاذق نبيل الخ . . ولكن الجانى بجنايته اصاب كل هؤلاء فيه . البرور ضده الفجور : المخالفة بالاحسان ، والطاعة والصدق ، والمحض الخالص من الشوائب ، والرفق اللين ، ويقابله العنف والغلظة ، وفى الحديث : « ان الله يحب الرفق » والهدى والرشد والسداد ، وضده الضلال ، والشعور يريد به الاحساس والغض الطرى ، احساسه رقيق ينطبع فيه بسهولة الخير فيجزي به ، والشر فيتألم منه والحذق المهارة والاتقان وذلك من اثر الذكاء ، والنبيل الذكاء، والنجاة والفضل وكرم النفس والمحتد .

(6) النصل حديدة الرمح والسهم والسكين ، وكان الجانى يحمل سكيناً من النوع المصنوع بالجزائر يدعى (بوسعادى) يمتاز بصلاية نصله ومضاء رأسه وسهولة غوصه فى الثياب وفى الجسم ويصلح للطعن به كما يصلح للذبح ، وكان مرخصا فى حمله معلقا كما كانوا يعلقون السيوف . وأنضى السيف من غمده : سله وجرده .

(7) الوهن : بالفتح أو السكون الضعف فى الامر أو العمل أو البدن « حملته أمه وهنا على وهن » ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون » القوى : جمع قوة قدرة واطاقة ، والقوة ضد الضعف ، اجهده بذل جهده وطاقته وجد فى أمره معه ، والشاعر يصور ابداع تصوير ما بذله الجانى فى تنفيذ جريمته وما بذله الشيخ فى مقاومته .

(8) كادت : قربت ، واذا كانت فى الاثبات ، فالفعل معها قرب ولم يقع واذا كانت فى النفي فقد وقع الفعل ، وقرب ألا يقع ، وهى تعمل عمل كان وخبرها جملة فعلية ، فعلها مضارع يتجرد - غالبا - من (أن) عكس عسى ، ما اروعها من بيت يشرح اشفاق الشاعر - بل الامة - من عاقبة الصراع بين هذا التعيس وبين ضحيته ثم يتنفس الصعداء بنصر الله .

فوافتك بالنصر العزيز طلائع مباركة تترى من الملا الاعلى (9)
 وحفت بروح القدس شخصك فانشنت مصيبتك الجلى كرامتك المثلى (10)
 وغادرك الجاني الشقى موليا وهل يسلم الجاني الشقى اذا ولى (11)
 وان انس، لا أنسى الذين تضافروا على الفتك بالجاني فقلت لهم مهلا (12)
 اليس من الآيات أنك بيننا تعامل بالعدل الذى أغضب العدلا (13)
 وترضى ، ولو عمن تبرم بالرضى وتسلى، ولو عمن أبى منك أن تسلى (14)
 وتحفظ حتى من أراد بك الاذى وتنصر حتى من أراد بك الخذلا (15)
 لك الله من داع الى الله لم يثق بغير كتاب الله والسنة الفضلى (16)

(9) وافاه : ادركه ، والطلائع : جمع طليعة ، وهى مقدمة الجيش تترى
 يأتى بعضها بعد بعض مع تراخ .
 (10) حفت : احدثت واستندارت واحاطت ، وروح القدس جبريل عليه
 السلام انشنت : تولت وانعطفت ، المصيبة : البلية ، وكل أمر مكروه ، والجلى
 الشدة العظمى مؤنت الاجل ، وهو الامر العظيم ، والخطب الجسيم ، والمثلى
 مؤنت الامثل الخيار والافضل .
 (11) موليا : فارا معرضا بعد ان كان مجتهدا فى تنفيذ جريمته .
 (12) تضافروا : تعاونوا ، مهلا : رفقا اسم فعل أمر منقول عن مصدر الفعل
 يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ومعناه : تمهل وارفق ولا تسرع
 ولو لا تدخل الشيخ وأمره باستعمال الرفق مع الجاني عليه لقتلته الجماهير
 الغاضبة ، ولما صدر عليه الحكم بخمس سنوات سجننا لم يكن بذلك راضيا ،
 ورآه كثيرا فى حقه ولكن الحق العام استعمل حقه فى الموضوع لخطورة الجريمة
 واصرار الجاني على موقفه .
 (13) حقا انه لمن آيات الله ان يكون الداعية الى الله مؤتسيا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو الذى قال له الله : « اَدْفِيعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ فَاذَا
 الَّذِي يَبْتَكَ وَيَبْتُهُ عداوةً كَانَتْهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » ، وما يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وما
 يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » روى عن بعض السلف انه قال : ذلك محمد صلى
 الله عليه وسلم .

وقد أغضب الجاني العدل - لانه سفك دم مسلم ، وهو حرام عليه .
 (14) تبرم بالشئ، سئم وضجج ومل ، وتسلى تطيب نفسك وتنسى الاساءة .
 (15) الخذل : ترك النصر والاعانة وقت الحاجة .
 (16) لك الله ، خبر ومبندأ، وهى صيغة تعجب مثل : لله دره، ولله انت انما يثق
 بكتاب الله لانه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويثق بسنة
 رسول الله لانها جاءت مبينة لكتاب الله ، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم
 لا ينطق عن الهوى فما لم يكن من كتاب الله وهو مخالف لسنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فهو الضلال لا شك فيه ، وفى الحديث فى حجة الوداع
 قال صلى الله عليه وسلم ما فعواه : « تركت فيكم ما أن اتبعتموه لن تضلوا
 أبدا : كتاب الله وسنة رسول الله » .

سعى لبنى الاسلام بالخير ما سعى فأبلى (رعاه الله) في الخير ما أبلى (17)
ولم يلبث الاشرار حتى تأمروا عليه فلم يألوه في شرهم خبلا (18)
أرادوا به الفتك الذريع شماتة وما كان للفتك المراد به أهلا (19)

فهل كان هذا شأن من يدعى التقى ؟
وهل كان هذا شأن من يدعى الوصلا ؟ (20)
أما كان ازهاق النفوس محرما ؟
على القوم أم ظنوا النفوس لهم حلا ؟ (21)

(17) سعى : مشى بجهد وسرعة ، وسعى عمل ، وأبلى اظهر بأسه حتى بلاء
الناس فاختبروه ، وهل أشد من السطو عليه ؟
(18) تأمر القوم بفلان ، واثمروا به هموا به ، وأمر بعضهم بعضا بقتله
وتشاورا في قتله .
لم يألوه : من الا يألوا الوا ، قصر في الامر ، ولم يال لم يقصر ، يقال : (لم
يال جهدا) لم يقصر ولم يدخر وسعا ، والخبل والخبال الفساد والجنون
يصاب به ، والخابل المفسد الشيطان .
(19) الذريع : السريع والفظيع ، والشماتة الفرح ببلىة الغير وهي من
اخص الاخلاق ، ونصب شماتة مفعولا لاجله ، وفي القرآن الكريم من قول
هرون لايخيه موسى لما أخذ بلحيته يجره اليه « قال : ابنُ أمِّ إِنْ القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء » .
(20) ان الذي يتقى الله لا يؤذى المؤمنين والمؤمنات ولا يستحل دماءهم
واعراضهم ولا يشمت بمن نزلت به بلىة منهم ، والوصل : - في عرف
المتصوفة - بلوغ مرتبة خاصة عند الله وقبوله اعمال المرید وانى له ذلك ؟
وقد صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم - قال عند وفاة أخيه من
الرضاع عثمان بن مضعون : « والله لا أدري ما يفعل بى » تعليما لامته
ألا يفتر احد بمنزلته فيأمن مكر الله . فليجتهد في عمل الصالحات وليظن
بالله خيرا .
(21) بلى ! فان قتل النفس التي حرم الله - الا بالحق - من أكبر الكبائر
لقوله تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ
عليه وَلَعَنَهُ وَاعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » وأختلف علماء أهل السنة في قبول توبة
القاتل عمدا والجمهور على قبولها ان تاب توبة نصوحا ، وقال ابن عباس لا توبة
له ، وافتنى علماؤنا ألا يتولى الامامة ولا يصلى خلفه ، وهذا اذا قتل وهو
يعلم ان النفس عليه حرام فاذا استحلها واعتقد انها غير حرام فهو كافر لانه
انكر معلوما من الدين بالضرورة ، وازهاق النفوس قتلها واهلاكها والاقدام
على فعل ما يتلفها .

- إذا كنتم - يا قوم - بالحق قادة
فأدلو ببرهان اليه كما أدلى (22)
- تنحلتم - يا قوم - فعل محمد وما فيكم من كان يشبهه فعلا (23)
- وحملتم - يا قوم - هدى محمد من الزيف أقوالا ينوء بها حملا (24)
- فصورتم الاسلام كالليل قاتما
من الزيف ، والاسلام كالصبح أو أجلى (25)
- فواعظم صبرى أين عهد محمد ؟ تراه يبيح الله رجعتة أم لا ؟ (26)
- وواعظم صبرى أين عهد صحابه أقاموا هدى القرآن بينهم فصلا ؟ (27)

(22) زعموا انهم علماء يقودون الناس بالحق الى الحق فهاتوا البرهان على ما تدعون « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » يقال : أدلى بالدلو : أرسلها في البئر ، وأدلى بحجته أحضرها واحتج بها ، والبرهان الحجة الواضحة .

(23) تنحلتم : اتخذتم مذهبا وادعيتكم ذلك ونسبتموه لانفسكم ، ولا يتم ذلك الا بشبهه في افعاله ، لان سنته قول وعمل واقرار .

(24) الزيف : الميل عن الحق والاعوجاج عن طريقه . وهدى محمد طريقه وسبيله ، وفي الحديث : « ان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد » وما لم يكن من هديه فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وحملتم السنة أقوالا لا تصلح لها ولا تصح معاني لها وهي من الكذب عليها ، ذلك من ينوء بحمله هدى النبى ، ودعاوى المتصوفين أكثرها مما تأباه السنة ولم يؤثر عن النبى واصحابه فان كان شرا فكفاهم بذلك ، وان طنوه خيرا فهل غفل عنه الرسول وهو أولى بكل خير ؟ ناء بحمل الشئ ، نهض به بجهد ومشقة ، مثقلا وناء به الحمل أثقله وأماله .

(25) قاتما ضاربا الى السواد ، والقمام الغبار الاسود ، وأجلى أكثر جلاء وظهورا .

(26) وا : حرف نداء مختص بالنذبة والمنادى هنا من قسم المضاف فهو منصوب وتراه : تظنه ولا يستعمل مضارع رأى بمعنى ظن ، الا مبتدأ للمجهول يا هل ترى ؟ أنراه يكون كذا ؟ يتبيح : يقدر ويهيى ، ورجعتة : عودته .

(27) صحابة محمد صلى الله عليه وسلم من اجتمعوا به فصدقوه وعزروه ونصروه ، وقد يطلق هذا اللقب الشريف على الذين سبقوا منهم ولازموه كابى بكر وعمر ، وأبى عبيدة وعلى غيرهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وقد يطلق على جميعهم حتى الذين راوه وهم صغار وهذا هو اصطلاح المحدثين والشاعر يقصد المعنى الاول لانهم هم الذين حكموا من بعده ويصح ان يقصد الثانى لان الناس كانوا ملتزمين الاستقامة كلهم حكاما ومحكومين ، والقرآن كان هو الحاكم بين الجميع وعند الجميع بينهم فى انفسهم وبين غيرهم .

تعال (أبا حفص) تر العدل ذاعبا كما شئت الدنيا تر الظلم محتلا (28)
تر الغي مرفوع المعالم محكما تر الرشد مدفوع المعالم مختلا (29)

تغيرت الآثار بعدك وانطوت
رسوم الهدى واخلوق الدين ان يبلى (30)

وجاء على الاسلام بعدك معشر تعدوا حصى الاسلام وافترقوا سبلا (31)

(28) أبو حفص عو عمر بن الخطاب رضى الله عنه اسلم في السنة الخامسة من البعثة استجابة الدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعز الاسلام به فاعتز باسلامه المسلمون وكان - مع أبي بكر - كالأوزيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات الرسول كان مع أبي بكر قوة له وأوصى له بالخلافة من بعده فاقام العدل وجاءت على يده الفتوح وحقق الله في عهده للمسلمين ما وعدهم به في كتابه وعلى لسان رسوله حتى قتله اللعين أبو لؤلؤة المجوسى عند صلاة الصبح في ذى الحجة 28 من الهجرة ، وكان مثال العدل والقوة لا تأخذه في الله لومة لائم وفيه يقول عبد الله بن مسعود : ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر ، وقال رجم الله ذلك المرء كان اسلامه عزاً ، وهجرته نصراً ، وخلافته رحمة ، ومناذاته منا ضرب من ضروب نفنن الشاعر في اداء معانيه والاعراب عن مشاعره لا يريد ان يشكوه له ، واحتلال الظلم انه غلب على مواطن الحكم ودور القضاء وقوله تر مجزوم فى جواب الطلب : تشاهد وتنظر (29) الغى : الضلال ، واصله الغوى سبقت الواو الياء فقلت ياء وادغمت فيها وكذلك كلما اجتمعنا واحداً ما ساكنة ، والغوى بكسر الواوى : الضال المنقاد للهوى . والمعالم : جمع المعلم مما يستدل به على الطريق ويهتدى به من يسلكها محكما معيلاً به غير منسوخ ، والقانون المحكم هو الذى يقع به الحكم والذى عدل عن الحكم به يقال فيه نص منسوخ ، والرشد والاستقامة على الطريق وهو ضد الغى ، والمختل الواعن الفاسد ، يقال اختل الامر وهن وفسد واختل عقله زاع .

(30) انطوت : انحسرت وطويت بعد نشرها ، والرسوم جمع رسم وهو ما بقى من اثر الديار ، واخلوق قال فى اللسان ، سبلا طرقاً وهذا ما نهى عملاً ومعنى : وبلى : رث ، ثوب بال رث قديم .

(31) المعشر : الجماعة ، والقوم والرعط ، ولا واحد له من لفظه ، قال ذو الاصبع العدواني :

وانتم معشر زيد على مائة فأجمعوا أمركم - طرا - فكيدونى
ويستعمل للرجال دون النساء كما قال فى اللسان ، سبلا طرقاً وهذا ما نهى الله عنه فى قوله : « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

فلم يحفظوا لله حصنا ولا حمى ولم يرقبوا فى الله عهدا ولا الا (32)
 غرار لهم فى الحق دعوى عريضة وان سمعوا الحق استخفوا به جهلا (33)
 فهل كان دين الحق دين جهالة وهل كان أهله زعانقة غفلا (34)
 فدم يابن باديس كما كنت راشدا

فانى رأيت الرشيد يستاصل الدجلا (35)

وخذ بيمين الحق تعل عليهم فانى رأيت الحق يعلو ولا يعلى (36)
 وان تك قد مستك منهم بلية لذلك فالداعى جدير بان يعلى (37)

(32) حصن الله وحماء ما لا يجوز ان يتعدى حدوده ، وفى القرآن الكريم : **« وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »** وفى الحديث : **« ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه »** وعهد الله ميثاقه يأخذه المسلم على نفسه عندما ينطق بالشهادتين والال العهد وفى القرآن : **« لا يَرْقُبُونَ فى مؤمنٍ إِلَّا ولا ذمة »** لا يرقبون فى مؤمن عهدا ولا يحفظون ميثاقا ولا يوفون به .

(33) الغرار : الجماعة المتماثلون من قولهم (هم على غرار واحد) أى متماثلون استخفوا : اظهروا الاستخفاف والاستهانة ، وجهلا مفعول لاجله لان من يستهين بالحق فهو أحمق بعيد عن المعرفة والعلم .

(34) الجهالة : الحمق والجفاء والغلظة والسفاهة وعدم المعرفة والعلم ، وأهله جمع أهل - وهو ملحق فى الاعراب بجمع المذكر السالم - بمعنى ذويه المنتسبين اليه والزعانقة : جمع زعنفة : أجنحة السمك ولا خير فيها وكل جماعة ليس لهم أصل واحد ويطلق الزعنف على القصير وعلى الطائفة من كل شئ ، والغفل من الرجال الذى لا يرجى خيره ولا يخشى شره .

(35) استاصل الشئ : قلعه من أصله ، والدجل الكذب والتمويه والتمخرق كفعل الدجال وهو الكذاب الذى يخرج آخر الزمان فيليس على الناس دينهم ويفترون به ويتبعونه ، ورأيت هنا بمعنى علمت وتيقنت والمفعول الثانى هو الجملة الفعلية .

(36) تعل مجزوم فى جواب الامر : تغلب وتنتصر ، فالحق ينتصر ويغلب الباطل وان كانت للباطل صولة ، فان للحق جولة ولا يعلى على الحق ، وفى وصف الوليد بن المغيرة للقرآن جاء قوله : (ان أعلاه ، لمشر ، وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى) .

(37) بلية : مصيبة ومكروه ، وهذا عهد الله للمؤمنين **« ألم • أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون »** وقال تعالى : **« لتبلون فى أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيرا »** وقد بلى ابن باديس رحمه الله فى نفسه وماله وعرضه وفى حياته وحتى من بعد موته اذ ما يزال قوم قد أكل الحقد عليه قلوبهم يعرفون بما لا يعرفون ولكن الله سبحانه بمنه وفضله قادر ان يجعل له ما جعل لعباده الصالحين : **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا »** .

حنانيك لا تأخذ بها الشعب انها جناية أفراد ذوى همم سفلى (38)

حنانيك لا تعرض عن الشعب وافتكر

بادوانه واجمع لأحوائه الشملا (39)

ولا تأس فالناريخ - يا شيوخ - حافظ

لأعمالك الكبرى وأمالك الجلى (40)

سينتو على الاجيال شكرك مومئا اليك وأنباء الورى سور تتلى (41)

(38) حنانيك : من الشفقة والرحمة والرقه فى القلب مصدر نائب عن فعله عامله محذوف تقديره تحنن مرة بعد أخرى ، وحنانا بعد حنان والمؤاخذه بالذنب المعاقبة عليه واللوم والتوبيخ وهم الرجل ما يهم بفعله وينوى القيام به ويجول بفكره عمله ، وانما يكون ذلك حسب مكانة الرجل قرب رجل كما قيل :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدمر ويقال رجل هم أى ذو عمة يطلب معالى الامور ، ولكن بعض الناس تنحط همته الى ما فعل هؤلاء الجنة فهمهم لا اسفل منها .

(39) الادواء : جمع داء، المرض ، والدواء ما يعالج به المرض ، وفى الحديث (تداءوا فان الذى انزل الداء انزل الدواء) وفيه ما فحواه : «ان لكل داء دواء الا الهرم» . والشمل ما اجتمع من أمر القوم ، يقال جمع الله شملهم أى ما تفرق من أمرهم .

وكان ابن باديس - رحمه الله - همه جمع شمل الشعب فى كئلة واحدة لان هذا ما أمر به الاسلام ونهى عن خلافه فى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » واذكر ان ادارة الشهاب الاولى فى عدد 13 من النهج الذى يسمى اليوم باسمه فى قسنطينة كانت فيها لافتة بخط جميل وغليظ كتب فيها قوله تعالى : « ولا تنازعوا فتشكوا وتذهب ريحكم » وما زالت صورتها مطبوعة فى ذهنى وفى نفسى حتى الآن .

(40) لا تأس لا تحزن ، والمأساة الفاجعة وكل حادثة تحمل على الاسى وهو الحزن وفى القرآن الكريم : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

(41) مومئا : مشيرا ، والاماء : الاشارة ، والورى : الخلق ، وقد بلسغ الشاعر القمة فى هذين البيتين ووقع لهذا الرجل المؤمن كل ما توقعه له دون ان يكون قصده اثناء عمله . بعض ذلك راه فى حياته ومعظمه ما كان بعد وفاته وقد حفظ التاريخ عمله وها هى الاجيال تتلو شكره وكل حيل يومىء اليه ويعينه لمن بعده ، وكيف ينسى عمله - وان نسيه الناس - وقد كتبه الله فى الامام المبين : « انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شىء احصيناه فى امام مبين » .

وقد أصبح يوم ذكرى وفاته عيدا للعلم يحتفى به فى كامل انحاء الوطن وجبذا لوصفا هذا العيد من كل الشوائب التى تنافى جلال هذه الشخصية وجلال العلم رحم الله ابن باديس ، ورحم الله الشاعر العظيم محمد العيد .

4 - الى العلامة السلفى

4 - الى العلامة السلفى (والقصيدة من بحر الوافي) :

هذه القصيدة من نظم أحد كتاب وشعراء المغرب الشقيق الذين كانوا يشاركون بانتاجهم الادبى فى (الشهاب) ويخذونه منسرا لنشر دعوتهم الدينية وحرب التدجيل فى شعبهم وبث اليقظة والنهضة فى امتهم والتعاون مع الكتاب والشعراء الاصلاحيين فى الجزائر وقد كان لحادثة الاعتداء على الاستاذ اثر كبير ، فكتب الكتاب كثيرا مما جاء فى باب النشر ، وأرسل الشعراء بقصائدهم ننشر منها فى هذا الباب ما نعتز عليه ، ومنها هذا القصيد للشيخ محمد القرى من فاس بعث به بمقدمة قصيرة ، ونشر فى (الشهاب) 82 الصادر يوم الخميس 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م .

قالت الشهاب :

صدى الاعتداء فى المغرب الاقصى :

جناب مدير مجلة الشهاب المحترم ،
تحية وسلاما .

الرجاء منكم ان تنشروا على صفحات - الشهاب - الاغر القصيدة التالية بمناسبة نجاة العلامة السلفى المصلح السيد عبد الحميد بن باديس من ضربة الشقى الاثيم ولكم مزيد الشكر .

وقاك الله كيد الخائنين وأخزى المبلسين الملحدينا (1)

(1) وقاك : حفظك وصانك من الاذى ، والكيد : المكر والخداع الخائن الغادر الناقض للعهد والامانة . وأخزى : اذل وأهان ، والمبلس : من لا خير عنده ، والمتحير : لا بينة عنده من أمره ، أو من يعمل عمل إبليس ، والحد فى الدين مال عنه وطعن فيه وانتهك حرماته ، والحد فى اسداء أو صفات الله حرف فيها وبدل ، والملحد الكافر الذى ينكر الا لوهية ، والمراد هنا : المتحرفين عن الحق فى اسماء الله وصفاته ، والحق من دينه ولم يرد بهم الكافرين .

- ولا لاقوا من الاقلام الا طعنا يصرع المستكلبينا (2)
لقد ظنوا - وما ظنوا هباء - بأنهم سيضحوا مفلتينا (3)
وان قتلهم مرء مهين على قوم يقرون المهينا (4)
وان قتلوه لا يبكى عليه ولا يلقي حماة مثيرينا (5)
فيقتصون من الف بظفر له ان لم يقوموا شاهرينا (6)
من الاشرار ناس دأبهم ان يعيشوا في الاتهام مشوشينا (7)
وان ضحوا على التشويش اروا حهم كي يكتبوا في المجرميننا (8)
وان راحوا بكل قبيح عار وان تابوا بلعن اللاعنينا (9)

(2) الطعان : الضرب برؤوس الرماح ، والاقلام لها رؤوس كالرماح ، وقد يكون طعانها انفذ اثرا من طعان الرماح واقتل ، والمستكلبين : المتخلفين بخلق الكلاب ، يقال استكلب الرجل اذا نبج كالكلاب ، وفي الكلاب وفاء يضرب به المثل ، وفيها نباح يرعب ويؤذي الضيوف .

(3) ما ظنوا : ما : هنا موصل والعائد محذوف تقديره : ظنوه ، وهباء : خير الموصل والهباء : - وجمعه اهباء - الغبار ودقائق ساطعة ومنثورة على وجه الارض ، والمراد : الشيء الحقير ، مفلتين : ناجين من شر فعلهم : افلت اذا تخلص من شر . وقد حذف النون من فعل سيضحوا ولا وجه له لان الفعل غير مجزوم ولا منصوب ، والضرورة في مثل هذا قبiche ، وان استعملت وهي كثيرة في العامة .

(4) مرء : رجل ، مفرد لا جمع له من لفظه ، مهين : حقير ، يقرون : يقبلون ويسكتون .

(5) ظنوا أنه لا يبكى عليه لهوانه عليهم وضعته عندهم . حماة : جمع حام من يدفع الاذى عن قومه ويحمي ذمارهم ، المثر : القائم بالثار ، المطالب بالدم المدرك لثاره .

(6) يقتصون : يأخذون بالفصاص ويبالغون فيه لو أخذ من رجلهم ظفرا لاقتصوا له من الف . وشاهرين : مصلتين السيوف ، يقال شهر السيف : سله ورفعته .

(7) دأبهم : عاداتهم وشأنهم مشوشين مخلصين ، شوش الامر خلطه وصيره مضطربا .

(8) ضحوا : بذلوا نفوسهم وأرواحهم ، وشان من يفعل هذا الربح ، ولكن عاقبة من يضحي على التشويش ان يكون مكتوبا في قائمة المجرمين .

(9) راح : جاء أو ذهب في الرواح أي المساء وعمل فيه هذا هو الاصل ويستعمل في مطلق الذهاب والمضي . العار : ما تلحق به مذمة ويستحي من كشفه واطلاع الناس عليه ، والقبيح مشتق من القبح وهو ضد الحسن في القول أو في الفعل أو الصورة . تابوا : عادوا ورجعوا .

- أولئك من يروا طعاما لذيذا إذا عاشوا غموة فأتينا (10)
 إذا قتلوا إذا سفكوا دماء تراهم في الشقا متبخترينا (11)
 يعدون الفضيلة أن يكونوا جنة ، في الجنة مبرزينا (12)
 يحبون المديح بكل وصف تسميهم به منتطعينا (13)
 إذا شئت امتداحهم فقل في امتداحهم بقاة مفسديننا (14)
 لهم في ذاك فخر ، أي فخر وأحب أن يسموا مقلقيننا (15)
 أراح الله منهم كل شعيب وأحيا المرشدين المصلحيننا (16)
 وأبقى من يصون سياجه أن يناوى من أرذال خائنيننا (17)
 فكم قوم هنالك قد دعوا مسلمين ، وما هم بالمسلميننا (18)
 نعم ، قد سلموا في دينهم فاستحقوا أن يقال مسلميننا (19)

- (10) غموة : جمع غاو . ضال منقاد للهوى وقد يضل غيره ويغويه ، وهو الفاتن المضل لانه يوقع في الفتنة ، ومن الفتنة الكفر والاختلاف والقتال .
 (11) من أكبر الفتنة القتل وسفك الدماء والشقاء - وقصره الشاعر ضرورة - ضد السعادة وهو الشدة والعسر ، متبخترين : ما شين مشية التبختر والتمایل والاعجاب بالنفس وهي مشية يبغضها الله الا في ميدان الحرب امام العدو ونكاية فيه .
 (12) برز : فاق أصحابه في عمل وسبقهم .
 (13) المنتطم المتكلف المتناق في كلامه المتحذلق والمتشدد فيه .
 (14) يقصد الشاعر - والله اعلم - ان براعتهم لا تظهر الا في ميدان الغي والفساد ، وليس لهم وجه يستحقون المدح به الا هذه البراعة ! ودليل ذلك ما جاء في البيت التالي .
 (15) أحب : صيغة تعجب ، فعل ماض حول الى صيغة الامر ويدخل حرف الجر على فاعله تجنبنا لقبح اسناد الامر الى الظاهر ، قال تعالى : « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ » أي ما اسمعهم وأبصرهم ، والمقلق : المزعج .
 (16) دعاء عليهم ، لفائدة جميع الشعوب ! وأحى دعاء للمصلحين ، والفعل في الدعاء ماض في اللفظ انشاء في المعنى لان الدعاء يطلب للمستقبل .
 (17) المراد بالسياج هنا : حدود الله ، والسياج الحائط على كرم ونحوه من النخيل والاشجار المثمرة والنباتات والخضر .
 (18) كم الخبرية : يراد بها التكثير . يحسب كثير من الناس في المسلمين ولا برهان لهم من قول أو عمل أو اعتقاد !
 (19) مسلمين بالتشديد من الاستسلام لا من الاسلام .

هم أهل المقابر والزوايا امانتهم الاله مذبذبينا (20)
تعليق الشهاب على البيت الاخير ، (بل عداهم الله وارشدهم) .

(20) نسبوا الى المقابر لانهم يلتجئون اليها ويتقربون - عامتهم - بالقربات والنذور ويتمسحون عليها ، ويدعونها رغبا ورهبا ، والزوايا : جمع الزاوية المراد بها المؤسسات التي يراسها شيوخ كانت في أصلها تجمع طلبة العلم يحفظون القرآن ويتعلمون العلم على شيخ ، ثم صار الخلف يرثها عن السلف من ال الشيخ ولو لم يكن من أهل العلم والمعرفة والسلوك الصحيح ، ثم ندر في شيوخها العلماء وتراسها الجهال ، وتسربت الى المعتقدات الضلالات والجهالات ، وهذا ما انكرته الحركة الاصلاحية ، وخصوصا لما تحالف بعضهم مع السلطة الاستعمارية كما فعل الشيخ عبد الحى الكتانى بالمغرب ضد السلطان الشرعى وضد الحركة الاستقلالية .
ومع ذلك فان ابن باديس لم يقطع كل أمل فيهم ، بل كان يتخذ منهم موقف الناصح الامين ويأمل الهداية لهم ، ولهذا لم يقبل ان تكتب لهم الموت على سوء الخاتمة بل دعا لهم بالهدى والرشد ، عكس ما دعا عليهم الشاعر بموتهم مذبذبين .

الشاعر الفقيه الشهيد محمد القرى الفاسي

4 شوال 1356 هـ ،

8 ديسمبر 1937 م ،

رأينا هذا الشاعر الكبير العالم المسلم يشارك اخوانه « المصلحين » في أحداثهم بالجزائر ، ويتألم لما اصاب الشيخ ابن باديس ، ويتلهف شوقا الى لقاءه ، ويعرب عن صدق عواطفه الاسلامية الوطنية ، وقد كان - يوم انشاء الشهاب 1925 - في عنقوان شبابه كما كان من الذين شاركوا في تحريره وترويجه والتأثر به ، اذا كان الاتجاه واحدا والغاية واحدة ، « فقد تشبعت مجموعة من الشباب المغربي بافكار الافغانى ومحمد عبده وكان بداية انطلاقهم ، ولم تأت سنة 1925 حتى تأسست حلقات سرية بين هؤلاء الشباب بدأت تتطور وتعيش أحداث وطنها بكامل الانتباه ٠٠٠ » (1) ، وبلغت أخبارها الدولة المستعمرة - كما أشارت اليه مراسلات الشهاب - وكان ذلك بفعل وشايات خصومه - من فاس .

ومنعت (الشهاب) من دخول المغرب التي كانت محرومة من صحافة وطنية يستطيع فيها هؤلاء الشباب ان يعلنوا افكارهم ، ويبثوا الوعي الصحيح ، ويحاربوا ضلال الخرافيين والزيغ والفساد فى العقائد والاعمال ، ويكشفوا دسائس المستعمرين واذنابهم من الجامدين والعملاء .

(1) (من ذكريات سجين مكافح ٠٠٠) للاستاذ ابراهيم الكتانى . ص 88 .
منقولة عن جريدة (العلم) .

وفى عام 1930 بلغ الحمق بالفرنسيين الى اصدار (الظهير البربرى) يعلنون فيه الغاء المحاكم الشرعية فى مساكن المسلمين البربر بالمغرب - وكانوا يمثلون 60 ٪ أو يزيدون - واحلال العادات والاعراف البربرية الجاهلية محل أحكام الشريعة المحمدية ، - ومن هذه العادات حرمان المرأة من الارث ومن كل حقوقها الانسانية التى اعترف لها بها الاسلام - وكان غرضهم من هذا « الظهير » محاولة فصل البربر عن الاسلام وعن العروبة ليسهل ابتلاعهم من النصرانية الصليبية وادماجهم فى الامة الفرنسية ، وذلك ما حاولوه فى الجزائر وأملوا ان تتحقق احلامهم ، اذ كانت بلاد القبائل محرومة من المحاكم الشرعية ، والحكم بالشريعة، وكان الشعب يقاتلها ويتحارب الى علماء الشريعة راضيا بها وبهم، لكن الشباب المغربى الوطنى تنبه لهذه المحاولة الخطيرة ضد الاسلام ، وضد وحدتهم الوطنية فراها فرصة مؤاتية لاعلان وجوده (ولم تأت سنة 30 حتى استطاعت هذه الجماعة السرية ان تعلن نفسها وترفع رأسها عندما دعت الى مقاومة الظهير البربرى وزج بالكثيرين فى السجن » (2) .

كانت حقا مظاهرات رائعة ، حاسمة فى القضاء على هذا المشروع الخبيث ، فقد دعمت لتجمعات كبرى فى المساجد ، حيث يحلق المؤمنون ويرفعون أصواتهم بالنشيد العذب :

يا لطيف ، الطف فيما جرت به المقادر ،
ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر

وعلى صوت هذا النشيد استيقظ شعب المغرب ، وهب الى العمل الجدى ، وعرف انه لن يزول الخطر ما دام المستعمر جاثما فوق أرض المغرب ، فاستند ساعد الحركة الوطنية السرية .

« وظهر ثقلها أكثر حينما جاءت سنة 1934 أثناء المطالبة بالاستقلال فى هذه السنة تم توسيع الحلقات السرية على أساس تنظيم الشعب فى حلقات ضمت الخرازة والدباغة والقيصرية والعطارين » (3) .

(2) المصدر والصفحة .

(3) المصدر المذكور والصفحة نفسها . وهذا القول من جريدة (العلم) ، وصوب المؤلف ان مظاهرات الاستقلال لم تقع سنة 1934 .

وجاءت سنة 1936 فانتصرت في فرنسا أحزاب « الواجهة الشعبية » وهي متألقة من أحزاب اليسار وأبرزها الأحزاب الثلاثة : الراديكالي ، والاشتراكي والشيوعي ، وظن كثير من الناس انه يمكن ان يكون اليسر واللين في معاملة العرب والمسلمين ، وهكذا سمح لبعض الأحزاب الوطنية بالظهور أو بالانشاء ، أو بالعودة الى العمل وكان هذا في تونس والجزائر والمغرب ، وسمح بالنشاط « لنجم شمال افريقيا » ثم « حزب الشعب » وفي المغرب للكتلة الوطنية . وفي تونس لحزب الدستور .

ولكن حكومة الواجهة الشعبية نفسها خيبت الآمال ، وبرهنت على ان اليسار الفرنسي لا يقل « وطنية » - أو رجعية - عن اليمين ، اذا تعلق الامر بمقاومة الوطنيين ! ففي عهد حكومة الواجهة جاء الامر بحل حزب « نجم شمال افريقيا » تم بحل « حزب الشعب الجزائري » وزج بزعمائه في السجن وقدموا الى المحاكمات وصدرت ضدهم أحكام الاشغال الشاقة ! ثم كان الامر في تونس كذلك ، وأحداث 9 أبريل 1938 معلومة . وكانت أحداث المغرب أشد قسوة وعنفا ، وهي التي أودت بحياة هذا الشاعر الوطني الكبير .

فقد « جاءت سنة 1936 فحدث اصطدام آخر على اثر المطالبة بانشاء الصحافة » (4) . فحتى عام 1936 لم يكن مسموحا للمعاربة بصحافة وطنية يعبرون بها عن خوالج نفوسهم .

اما سنة 1937 م فان « العمل السري بدأ يأخذ طابعا أكثر فعالية ، فبعد العمل في السر وفراءة اللطيف أحست الحركة الوطنية أن الوقت قد حان لتأسيس تنظيم سياسي شعبي . . . لكن الحماية . . . وافقت على تأسيس جمعية سياسية على شرط ان تشتغل بالسياسة وتكتب في الصحف ولا تنزل الى الجماهير الشعبية . . . ولم تقبل الحركة اقتراح الحماية ، وتقرر تأسيس التنظيم السياسي بغية تعميم الوعي وتنظيمه بطريقة أكثر شمولية . . . فعلا حدث الاصطدام مباشرة بعد التنظيم الذي شهدته كثير من المدن المغربية كان أعنفها في فاس وفي القنيطرة ، وفي فاس بالضبط استمرت المظاهرات عدة

(4) المصدر المذكور .

ايام دون توقف ٠٠٠ وكان الاجماع الشعبى فوق طاقة الاستعمار ٠٠٠ لم
تمر هذه المصادمات دون انتقام وحشى من جانب الحماية » (5) .

وقعت هذه « المصادمات » بتاريخ شعبان 1356 الموافق ليوم 27 اكتوبر
1937 ، والايام الموالية له فى مدن فاس والقنيطرة وسلا ، والرباط ، ووجدة .

وجن جنون الفرنسيين فألقوا القبض على كثير من الوطنيين ، منهم ابرياء
لا ذنب لهم الا وجودهم فى ساحة الاحداث ، ومنهم علماء كبار فى جامعة
القرويين ، وعلى رأسهم الشهيد محمد القرى شاعر فاس ، ومثله اخوانه فى
العلم والانتساب الى القرويين : ابراهيم الكتانى ، وعبد العزيز بن ادريس
العمروى والفقيه رشيد الدرقاوى ، والاستاذ عاشمى الفيلالى ، والاستاذ
عبد الهادى الشرايبي ، والفقيه محمد بن عبد الله . ومنهم طلبة ، وقدموا
الجميع الى محكمة القوانين العرفية . وصدرت عليهم الاحكام بعامين او عام
او ستة اشهر سجنا .

ولكنهم لم يسكنوهم السجون ، بل وجهوا بهم الى بعض معتقلات التعذيب
والتقتيل حيث سلموهم الى جنود الليف الاجنبى ، او الى جماعة « القومية »
تحت اوامر الضباط الفرنسيين وأوكلوا اليهم تعذيبهم بالتجويع والضرب
والارهاب حتى الموت .

وعندما كتبنا عن شعر شاعر فاس كنا نجهل كيفية استشهاده ، ثم
أسعدنا الحظ - اثناء ملتقى الفكر الاسلامى الثامن عشر - بقاء حبيبه وصديقه
ورفيقه فى المحلة الكاتب الكبير الشيخ ابراهيم الكتانى الفاسى القروى ،
فاتحنا بهدية تمينه هى كتابه النفيس (من ذكريات سجين مكافح فى عهد
الحماية الفرنسية البغيض او ايام قولميما) وفى هذا الكتاب قرانا صفحات
رائعة من الكفاح البطولى والمحنة المؤلمة التى تعرض لها هؤلاء العلماء الوطنيين .

يشتمل الكتاب على 190 صفحة ، فيها وصف 50 يوما من العذاب الالىس
المهين الذى تعرض له هؤلاء المجاهدون ، ودقق كيف قتل شهيدان أحدهما اتهم
زورا بسرقة رغيص ، والثانى هو هذا العالم الاديب الشاعر محمد القرى .

(5) المصدر المذكور ، ص 189 ، منقولا عن جريدة (العلم) .

والكتاب نفيس جدا نال جائزة المغرب لعالم 1972 . ولا يحق - فى رأينا -
لمؤرخ يتناول عصر الوجود الفرنسى فى بلادنا الا يطلع عليه ليعرف ما كان
يلاقيه الاحرار فى سجون ومعتقلاته .

فى الطريق الى المجهول :

بعد اسبوع واحد من القاء القبض على المتهمين كانوا قد فرغوا من تقديمهم
أمام محكمة الطوارىء المستعجلة ، وحكم عليهم بالسجن . والمعتاد أن يقضوا
مدة الحكم فى السجون العادية يتمتعون بحقوق السجناء ، مثلما يتمتع به
سجناء الحق العام من السراق والفجرة والقتالين والمجرمين . لكن هؤلاء علماء
وفقهاء وأشراف ووطنيون ، لهذا قضت « حكمة » الاستعمار الفرنسى ان
تخصهم بالسجن (السياسى) ! واذا كان معناه عند الامم معاملة السجين معاملة
انسانية خاصة ، تقتضيها قوانين الدول فانها عند الفرنسيين معناها معاملته
بأقسى ما يمكن بالتقتيل والتعذيب . ويتحدث الاستاذ ابراهيم الكتانى عن
أحداث اليوم الثالث من رمضان 1356 هـ 8 نوفمبر 1937 م فيقول : « عند
الزوال وقفت القافلة لتناول طعام الغداء فسمحوا لنا بالنزول ، فرادى للبول
بجانب السيارات باستعجال ، وقد شاهدت أثناء نزولى الشهيد محمد القرى
- أعلى الله مقامه فى عليين - كان يركب شاحنة غير التى اركب فتبادلنا
الإشارة بالتحية من بعيد ثم عاد كل منا الى شاحنته » .

والذين تناولوا طعام الغداء هم الحراس أو الزبانية ، اما الوطنيون فكانوا
رغم العذاب والسفر والتجويع صائمين .

ولما وصلوا الى معتقل « قالميما » اخذوا فى تعذيبهم ليل نهار ، واقتصروا
فى اضعافهم على رغيغ زنته 200 غ يتناولوه من قدر على العمل ويحرمه كل
مريض وعاجز ولم يسمحوا لهم بماء نقى ، كما لم يسمحوا لهم - بالصلاة الا
داخل المعتقل - فرادى ، وبعد اسبوعين كانت الحالة قد بلغت ما جاء فى
وصف يوم الثلاثاء 19 رمضان 23 نوفمبر عن قتل برىء متهم بسرقة رغيغ
قال :

حوالى الساعة الثامنة والنصف اجتمع جماعة على المتهم بسرقة الرغيغ -
يضربونه حتى سقط للارض واستمروا فى ضربه حتى أغمى عليه وسالت دماء

غزيرة من أنفه وفمه . ووقف علال الاعور فوق صدره وبطنه وجعل يرفسه بحذائه الغليظ بعنف وسرعة ويتحرى مقاتله على الخصوص فيرفسها أكثر وكذلك الوجه حتى تلتطخ جسمه وسروايله واستمر في رفسه حوالى 20 دقيقة الى ان بردت أنفاسه ٠٠٠ ثم سحبوه عند جذع نخلة ، وقد طالت قامته وتفتحت عيونه على هيئة مفزعة ، وعلاه اصفرار فاقع ، واستمر على هذه الحالة اليوم بأكمله لم يتحرك منه عضو ، ولا طرفت له عين فتحققنا نحن عن موته - وكنا - بعد ذلك نؤرخ بموته فنقول « وقع هذا قبل - أو بعد - قتل صاحب الرغيف ٠٠٠ » وقد تكررت نفس العملية في هذا اليوم مع نحو من سبعة اشخاص كلهم سحبوا بعد الضرب والرفس ، وانعدام الحركة وانقطاع النفس وسيلان الدماء ٠٠٠ ولكنهم - جميعا - قاموا من غشيتهم فأعيدوا حالا للعدو السريع والعمل الثقيل والضرب الشديد ٠٠٠ لكن صاحب الرغيف استمر في موته ٠٠٠ » .

وما انتهى النهار حتى كان عدد الذين انفكت أرجلهم أو انتفخت أقدامهم أو خارت قواهم ٠٠٠ قد قارب العشرة ممن لم يسقطوا ٠٠٠ ولكنهم عجزوا عن الرجوع الى المعتقل على أقدامهم فساروا بين اثنين يهادون ، وقد كان بينهم الشهيد محمد القرى رحمه (6) .

في إدارة الشؤون الأهلية :

الحكام يشاركون بأنفسهم في التعذيب :

بعد يومين - أى يوم الخميس 21 رمضان 25 نوفمبر أخذ المعتذبون الى إدارة الشؤون الأهلية فاستقبلهم النقيب فى مكتبه ، ومن بين من حمل اليه الشهيد محمد القرى . قال المؤلف عن هذا الحاكم :

« ٠٠٠ جعل ينادى كل واحد باسمه ٠٠٠ يحيط به جيش من الضباط وصف الضباط الفرنسيين ، ومن القوم ، وكلما أبدى حركة أو اجاب عن سؤال ضربوه جميعا ضربا مبرحا ٠٠٠ فلما وصل الى الشهيد محمد القرى - وكان قد انكسر ظهره من كثرة الضرب ، وانثنى فلم يبق يقيمه ، كما لم يبق قادرا على الوقوف ، وكان قد أتى به اليوم فى العربة مع من أتى بهم فيها ، كما

(6) المصدر المذكور ، ص 108 .

انه انى به محمولا البارحة واليوم قبله - جعل يضربه فوق راسه بسوطه بكل قوة ، والدما، تفور من راسه كانه نافورة قوية فتغمر ثيابنا ووجوهنا ، وهو مع ذلك لا يزداد الا ضربا . ايه ايها الفقيه (الكرى) اين جئت لثموت ، واين دعيتك التريه لتدفن ؟ ثم تركه وذهب يضرب الآخرين .

وقد تأثر الرقيب الكرسيكى لما وقع للفقيه القرى رحمه الله ، فتقدم والاسى باد على محياه واحضر قطنا وكحولا ، وجعل يمسح بهما جروح الشهيد الدامية واثار الانفعال الشديد (7) باد ولا تظن ان هذا الكرسيكى انسانى رحيم ، فانه هو واينه من الزبانية وذرية الشيطان الرجيم ، لكنه وجد فى الرقيب من يزيد عليه قسوة وفظاظة ولعنة ف (ر ق) قلبه الجلمود ، فالحاكم شأنه ان يشكى اليه من اعتداء السجائين . فاذا بلغ ان يكون سجان من الزبانية **احزن قلبا منه فكفاء قسوة .**

أحق هذا أم هو نوع من التعذيب :

وبينما المعذبون فى احدى حصص التعذيب قال لهم الترجمان : « ان سيدى الرائد وصلته رسائل فى هذا اليوم من السلطان ومن الحكام الكبار فى الرباط وفاس بأمرونه فيها بمضاعفة تعذيبنا ، والنعجيل بقتلنا . وتنفيذا لذلك جمعنا لهذا المشهد الحفيل الذى سيكون فاتحة العمل الحاسم المعجل بالقضاء علينا وراحة المغرب منا . . . ولقد علم الله ان القلم عاجز عن وصف ما جرى على حقيقته . . . وحسبك ان تعلم ان السيد الجزائرى الذى كان موطفا بقولمينا قد حضر هذه العشية وشاهد ما جرى لنا فبلغ به التأثر ان انتحر حسبا قيل . . او مات كمد . قابله الله بعفوه وغفرانه » (8) .

وبعيد جدا ان يأمر السلطان محمد الخامس بتعذيب العلماء وقتلهم وقد أصابه - من بعد - من الهوان والسجن والابعاد ما أصابهم .

ويقول عن يوم 20 رمضان : (جاء الكورسيكى فوجدنى فى حالة سيئة فتركنى مع المعطوبين ومنعنا جميعا من تناول رغيف الصباح . . . وعندما عاد اصحابنا فى المساء وزع عليهم رغيف العشية وسحبنا نحن الى مغارة المعطوبين

(7) المصدر المذكور ، ص 122 .

(8) المصدر المذكور ، ص 123 .

ووزع علينا ربع رغيف عن جميع اليوم أى نحو 50 غ ، وقيل لنا ان المريض لا يحتاج الى طعام وعلى من شعر بحاجة الى الاكل ان يخرج من بين المرضى ٠٠٠ ويخرج غذا للعمل (9) .

ويقول عن اليوم السابع والعشرين من رمضان : (لم يغمض للواحد منا جفن ولو لحظة واحدة اذ كنا جميعنا فى أنين متواصل وألم شديد كامل ٠٠٠ وقد بات عند رجلى - فى هذه الليلة - الشهيد محمد القرى رحمه الله ، وكان قد أصيب فى عروق ركبته اليمنى من شدة الضرب فأضحت رجله مرتفعة الى أعلى ، بحيث لا يقدر على وضعها الى الارض وهو يود - بجذع الانف - لوضعها فيبكي وينتحب ، ويتعلق بهذا ويرجو ذلك أن يقف أو يجلس فوق ركبته عساها تنزل للارض . فاذا ما فعل زاد تألمه وأبينه ٠٠٠ والرجل لا تفتأ مرتفعة الى أعلى لا تنخفض ولا ترجع) (10) .

اغتيال القرى أو « يوم الشهيد القرى » :

يوم 29 رمضان هو اليوم الخامس والعشرون من العذاب وهو يوافق 3 ديسمبر وسماه المؤلف يوم الشهيد القرى وقال : (انه من غير شك أخذ يوم من ايام (قولميما) فلقد جاء (الولد) فأمر بأخراج جميع المعطوبين كائنة حالتهم ما كانت فتكونت منهم فرقة خاصة عين لمرافقتها بعض (القوم) وتقدمها من هم أحسن حالا ٠٠٠ انهم جميعا استطاعوا السير عدا الاستاذ الشهيد محمد القرى ، فقد عجز عن الوقوف بله السير .

فما زالوا يتفننون فى التمثيل به بكل أنواع التمثيل مدة الساعتين اللتين قضوهما فى الطريق وأظنه سار جلها حبوا على يديه ورجليه مع الضرب الشديد المتصل ، وحمل يهادى بين اثنين من رفقائه فى أقلها على ما أظن مع الضرب أيضا والرفس واللكم للقلب والانشين والدماغ ، فلما وصل - وصل فى حالة لا تتصور ٠٠٠ اجتمع عليه طائفة من (القوم) ومعهم (الولد) - ولد الكورسيكى - وبالغوا فى تقتيله بوحشية فظيعة بحجة انه صحيح يتظاهر بالمرض والعجز ليخدع الحراس ويفلت بذلك من العمل وأخيرا تركوه فى

(9) المصدر المذكور ، ص 144 .

(10) المصدر المذكور ، ص 145 .

الهجرة مبطوحاً على وجهه ، باسطة يديه مفرقا رجليه ، بعدما انتزعوا منه
الرغيف الذى كانوا أعطوه إياه مع بقية (المعطوبين) عندما أخرجوهم . . .
والذى كان فيهم من لم يسر للرغيف وجها منذ يوم السبت الماضى ، ومنهم
الشهيد - يلاحظ ان هذا يوم الخميس - .

وبعدما جلسنا للغداء تقدمت منه فسالتة عن حاله ، وعرضت عليه ان
آتيه بخبز وزيت فقال : انه لا يشعر بجوع - مع انه لم يأكل منذ سبعة ايام ،
ولكنه أبدى رغبته فى الشرب فسقيته وهو منبطح على وجهه اذ لم يقدر على
الجلوس . وحوالى الساعة الثالثة استأذنت الولد فى الشرب فاذن لى ، وكان
سطل الماء قريبا من (الشهيد) فنادانى طالبا الماء ، وكان ذلك آخر عهدى
به » (11) .

أثناء الرجوع - ويقول عن ولد الكورسيكى (الرحيم) :

» . . . ثم رجع يسب ويلعن ذلك القرى الذى أبى ان يسير على قدميه
زيادة فى التظاهر بعجزه وضعفه . ثم أختار اربعة منا أمرهم ان يسيروا معه
ويحملوه من يديه ورجليه ، وقال لهم : لا عليكم اذا انفكت أوصاله ، أو
انخلعت عظامه .

وقد حدثنا (المعطوبون) ان الذين كانوا مرافقين له انه - رحمه الله - كان
عاجزا عن الوقوف وعن السير وان (القوم) تفننوا فى تعذيبه والتمثيل به
بدعوى ارغامه على الوقوف والسير .

من ذلك انهم كانوا يوقفونه بين شخصين ويجعلون الهراوة (المانقو)
تحت ذقنه ، ثم يزيلون الشخصين ويتركونه واقفا معتمدا على الهراوة ، ثم
يزيلون الهراوة من تحت ذقنه فيهبى بقوة لوجهه فيجتمعون عليه بهراويهم
بكل قوة لرأسه وظهره ، ثم يقفون على ظهره بأحذيتهم ويرفسون ويركلون
بكل قوة صائحين سابين لاعنين . وقد تكررت هذه العملية منهم هذه العشية
أكثر من عشرين مرة قبل أن يراهم (الولد) - ولد الكورسيكى - ويأتى
اليهم ، فلما جاءهم ضاعفوا وحشيتهم أضعافا مضاعفة ، وجعل هو يهدد بوطئة
بسنايك فرسه ويقفز من فوقه عدة مرات . . . ومنذ حمله الاربعة الذين ذهب
بهم منا - كما أمرهم - و (القوم) يتبارون فى ضربه على رأسه وظهره
بهراويهم الغليظة حتى وصلوا به الى المعتقل فوضعوه فى مربوط الدواب .

(11) المصدر المذكور ، ص 149 - 150 .

لقد مرت بنا في هذا اليوم الاسود المشهود حوادث جسام ، ولكن فطاعة
ما وقع للشهيد فيه - رحمه الله - جعلنى أقصر الحديث في هذا اليوم عنه (12)
- وفي اليوم الموالي 30 رمضان « نقل الشهيد الى اسطبل خارج المعتقل » (13) .
وفي يوم العيد (في هذا الصباح ذهب اثنان منا لنقل (الشهيد) الى
المستوصف ، وعند رجوعهما اخبرانا أنه في النزاع الاخير .

استشهاده :

وقال عن يوم 4 شوال (8 ديسمبر) : « في هذا اليوم أسلم الروح الشهيد
محمد القرى رحمه الله ، بعدما غاب خمس ليال واربعة ايام لا نعلم ماذا جرى له
فيها زيادة عما وقع بمراى منا ... »

فكان موته خسارة لا تعوض ورزية وطنية عظمية اذ كان مؤمنا سلفيا صادق
الايمان شاعرا مكثرا وكاتبا وخطيبا مؤثرا وعلامة لغويا مطلعا متبحرا ، ومكافحا
متفانيا ، وكان الى ذلك ذا أخلاق دمة ، لين الجانب متواضعا محبوبا منكرا لذاته
مخلصا لاصدقائه ... على انا لم نتحقق خبر استشهاده الا بعد رجوعنا من
قولميما الى سجن (عين على مومن) الفلاحى « (14) اهـ .

وكانت وفاة هذا الشهيد من أسباب انتهاء محنة اخوانه ، فانهم لبشوا
من بعده نحو 20 يوما في العذاب ، ثم جاء الامر بنقلهم الى السجن المذكور وهو
سجن مدنى أغلب المسجونين فيه من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة (وقد
الفظيع (15) ونقلوا - بعد ذلك الى سجن الدار البيضاء حتى أعلنت الحرب
مرت بنا في هذا السجن أهوال وفظائع ، ولكنه لا نسبة بينه وبين جسيم قولميما
العالمية الثانية في سبتمبر 1939 والذي أعلنها هو م . دالادى زعيم اليسار
ورئيس الوزراء ووزير الحرب الفرنسى ، وهو الذى اعتز على الوفد الجزائرى
وهدهدته وتوعده بأن مدافع فرنسا قوية ، فقال له ابن باديس : هنالك مدافع
أقوى منها فقال : وما هي ؟ قال : مدافع الله .

(12) المصدر المذكور ، ص 150 .

(13) المصدر المذكور ، ص 150 .

(14) المصدر المذكور ، ص 156 .

(15) المصدر المذكور ، ص 175 .

صدي الاعتداء :

احساس لطيف من شاعر شريف

هذا صوت شعري نفاذ ، مثل الشعر التونسي في أدب فاجعة الاعتداء ، على الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، وشاعرنا اليوم هو الشاعر الكبير الاستاذ صالح سويسي الشريف القيرواني .

وقد كان الشيخ ابن باديس يعتز بتونس ويعترف بفضلها وبفضل جامعتها واساتذتها عليه وعلى وطنه ، ونوه - اعترافا بالجميل - بهذا في كل مناسبة عرضت ، وكان لكل استاذ منهم مكان في قلبه من الاحترام والاعزاز والتكريم ، وذكر في لسانه ، ولكنه كان يخص اثنين منهم بالذكر والتنويه ويقول : ان تعليمهما اياه تجاوزا به حد التعليم الذي يكون من مثلهم لمثله الى حد التربية والتوجيه وتكوين الشخصية .

احدهما جزائري قسنطيني وهو الشيخ حمدان الونيسي العالم الفذ والمربي الكبير ، والثاني تونسي قيرواني وهو الشيخ محمد النخلي أول من جهر بفكرة الاصلاح ورفع رايته بالجامعة الزيتونية بتونس .

واذا كان بجانب الشيخ حمدان الونيسي أنه مواطن ابن باديس وبلديه ، وأول من تلقى عنه التربية الدينية والعلمية ، فان بجانب الشيخ محمد النخلي انه ابن القيروان - وأعظم بها - ذات المجد التليد في العلم وفي التاريخ وفي العائلة الخاصة ، وانه آخر اساتذته في العلوم القرآنية .

ان القيروان مقر الاجداد أيام عزهم ومجدهم وملكهم وسلطانهم انها مسقط رأس جده - الذي ما زال ينتسب اليه - المعز بن باديس حامى السنة وقامع البدعة وفخر الملوك والسلاطين وعاصمة آبائه وابنائهم الصيد .

لقد أشار الشاعر التونسي الفحل - بذكاء ومهارة في قصيدته - الى هذا الجانب الحساس في نفسية الشيخ عبد الحميد دون حرج ولا إحراج ولا تبجح أو تفاخر، ولا شك انه بلغ ما أراد .

والشاعر الشيخ صالح سويسي من أبرع شعراء تونس وأشهرهم في عصره ، نشأ وعاش في مدينة القيروان ، وكان فيها مثل الشيخ خزندار في تونس هما الناطقان بالشعر العربي المتين بمتانة الأخلاق والدين والوطنية يعترف لهما أدباء تونس وشعراؤها بمكانتهما المتقدمة السامية .

وهذه القصيدة التي تقدمها أرسل بها الشاعر الى مجلة الشهاب - وهو من قرائها - صحيفة رسالة رقيقة فنشرتهما في عدد 88 الصادر بتاريخ رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، بعد تقدمة وجيزة، وهذا ما جاء في الشهاب :

صدي الاعتداء :

إحساس لطيف من شاعر شريف

(جاءتنا الرسالة التالية من الأديب الديني شاعر القيروان ، فنشرها شاكرين فضله ، خجلين مما وصفنا به ، لحسن ظنه ولسنا له بأهل) .
« حضرة المرشد الفاضل ، والمؤمن الكامل ، مقاوم البدع والتدجيل وواسطة عقد الاخيار في هذا الجيل أوجد الرجال ، ورافع صروح الكمال أبو العباس سيدي أحمد بوشمال أمد الله بروج من عنده ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان حادث السطو الليلي على العالم المجدد ، والمصلح المفرد الأستاذ الكبير سيدي عبد الحميد بن باديس - قد أخذ رنة في العالم الاسلامي عند الافراد الذين نور الله وجوههم ، وأفعم قلوبهم بحب الخير والسعادة الى أبناء هذا الدين - .

نعم هي رنة أسف وفرح في آن واحد ، فالأسف من جهة وقسوع بعض الضرر في ذلك الجسم الذي ملئ علما واصلاحا ، والفرح لوجود عالم يصدع بالحق ويهون عليه كل ألم يحصل له في سبيل إصلاح المسلمين .

أيها المدير المصلح أرجو المَعذرة عن تأخير كتابتي في هذا الحادث لاني كنت حليف سقيم ، وأخذت الآن في اطراف المعافاة ، فله الحمد والشكر الجزيل .

وقد نظمت الأبيات الآتية راجيا غرض النظر عن الغلط والقصور .
والسلام .

دم أريق في سبيل الله (والقصيدة من بحر البسيط)

« دم جرى في سبيل الله والدين فيه المثوبة يوم العرض والدين (1) »
أجر المجاهد فيه دون ما ريب في جنة الخلد بين الحور والعين (2) »
من جسم عبد الحميد العبقرى بدا
نجل ابن باديس نبراس السلطين (3)

(1) دم جرى : نكر الدم بقصد تعظيمه وتفخيم أمره فهو موصوف قوة ، والدين في صدر البيت المراد به الملة والشريعة كما في قوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » وقوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » واما في عجز البيت فان المقصود هو الدين بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى : « ملك يوم الدين » يوم الجزاء ، وكما في قولهم (كما تدين تدان) ويوم العرض هو يوم الحشر ، قال تعالى : - في الحاقة - « يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ » والمثوبة : الثواب والأجر على الأعمال .

(2) دم جرى في سبيل الله : فهو دم مجاهد ، وفيه أجر من سال دمه في سبيل الله دون ما رية يناله في جنة الخلد ، والنعيم المقيم ، الحور : جمع الحوراء وهي التي اشند بياض الابيض من عينيها ، واشند سواد سوادها ، والمذكر أحور ، والعيناء التي عظم سواد عيناها في سعة ، وجمعها : عين ، ومذكرها عين ، وقد مدح الله نساء الجنة بهذين الوصفين فقال : « وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ » .

(3) العبقرى : منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب ، والنجل : الولد والنسل ، والنبراس : المصباح وهي سريانية ، والشاعر يزيد انه ولد المعز بن باديس وهو اشهر ملوك الدولة الصنهاجية ولد عام 398 وتوفي 454 وولى الملك بعد أبيه وهو صبي (406 هـ) ورباه الوزير علي بن أبي الرجال فنشاه على مذهب أهل السنة وكانت الدولة اسماعيلية باطنية فاعلن مذهب السنة وفرج عن العامة والعلماء ما كانوا فيه من غم وهم فانتقم منه الفاطميون بمصر لقطعه دعوتهم وارسلوا عليه الاعراب من صعيد مصر واقطعوههم بلدان المغرب فاجتاحوا القيروان وخربوا العمران ولكنهم عربوا الوطن نهائيا ، وكان المعز عالما ادبيا يقرب العلماء والادباء ويجمعهم في بلاطه حتى انه لم يجتمع - بعد الخلفاء العظام - من الادباء مثل ما اجتمع عنده ومن اشهرهم الحسن ابن رشيق وابن ابي الرجال والشاعر القيرواني ابن شرف .

دم بعلم وطهر صار ممتزجا بقوة العزم يجرى في الشرايين (4)
 من ضربة من خبيث الفعل ذى بدع من جهله صار مبعوث الشياطين (5)
 عبد الحميد وقاك الله من فئة تمكن الجهل منهم أى تمكين (6)
 أرضيت ربك والجهال قد غضبوا قوم تبدوا بتدجيل وتلوين (7)
 سلوا الخناجر من الجهل وأنت لهم جردت سيف علوم للملاعين (8)

نجاك ربك من أنجى بقدرته

في ظلمة الليل - عند الضيق - ذا النون (9)

(4) الشرايين : واحدها شريان وهى العروق النابضة التى يجرى فيها الدم الاحمر فى الجسم ويقابلها الاوردة وهى التى يجرى فيها الدم المتعكر ، فالشرايين تحمل الدم المصفى الخارج من القلب والاوردة تحمل العائد اليه .
 (5) ذى بدع : صاحب بدع جمع بدعة ، وهى عبادة الله بامر مستحدث فى الدين لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة قولية أو اقرارية ، فهو حدث مردود على صاحبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقد تكون البدعة فى الاعتقاد وذلك ما عليه الباطنية ومن اعتقد اعتقاداتهم ، وقد تكون فى الاعمال التعبدية وقد تحتفلان والعباد بالله ، واغلب ما يفعله دعاة التصوف جامع بين الاعتقاد الفاسد والعمل المبتدع الشياطينى هى التأمير بالفحشاء ، قال تعالى : « الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ » وهل أفحش من قتل نفس مؤمنة يخلد قاتلها فى النار ؟
 (6) الفئة ، الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته أو من فاء اذا رجع . تمكن الجهل : رسخ الحمق والفظاظة .
 (7) تبدوا : هنا بمعنى ظهوروا ، وتبدى أيضا اذا خرج الى البادية وسكن ، بها فصار بدويا ، والتدجيل : فعل الدجل وهو الكذب والتمويه واطهمار خلاف ما يبطن ومنه المسيح الدجال الذى يظهر فى آخر الزمن ، والتلوين : تقديم الالوان المختلفة ماديا أو تغيير أساليب الكلام من أسلوب الى آخر .
 (8) جردوا الخناجر ، وهى جمع الخنجر بفتح الخاء وكسرهما السكين أو السكين العظيمة ، فهم تسلحوا بسلاح مادي من جهلهم بينما كان سلاحك العلم والعلم غالب يسخر المادة ويدللها - والملاعين جمع الملعون المطرود عن الخير المخزى واستحقوا هذه الصفة بنص القرآن فى قوله تعالى فى القاتل : « ... وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ... » .

(9) ذو النون هو نبي الله يونس بن متى، أرسله الله الى أهل نينوى (شمال العراق) فكذبوه وآذوه فبرم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتماديهم فى اصرارهم ، فذهب مغاضبا لهم قبل أن يؤمر ، وأسلم قومه لما رأوا العذاب وآمنوا بربهم ، وابتلى الله يونس فالتقى فى البحر فالتقمه الحوت وهو مليم، فنادى ربه متضرعا ، ودعاه خاشعا فاستجاب الله دعاءه ونجاه من الغم قال تعالى : =

- كم من دماء جرت للمصلحين وكم
 قد نالهم من ضروب الذل والهون (10)
 أما لكم أسوة فى حيدر وكذا
 نور الهدى عمر ذى البأس واللين (11)
 فاصدع بارشادكم وأجهز على بدع
 منسوبة - عند أهل الجهل - للدين (12)
 ودم الى ملة الاسلام ناصرها والله يحرسكم بالكاف والنون (13)
 ناظمها : صالح سويسى الشريف القيروانى - 1 رمضان 1345 هـ .

= « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » . وهذا وعد صادق من الله ان ينجى كل مؤمن يتوجه اليه عند الضيق والغم ، ويوحده بدعائه مخلصا .

(10) المصلحون الذين سالت دماؤهم فى سبيل الدعوة الى الاصلاح كثير من قبل الاسلام ومن بعد بعثة رسول الله به قال تعالى : « وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير » وقال على بنى اسرائيل : « ويقتلون النبيئين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » .

(11) حيدر : هو لقب على كرم الله وجهه ، وحيدرة الأسد فقد كان ممن قتل فى سبيل الله من المصلحين أسد الله الغالب على بن أبى طالب زوج فاطمة البتول وأبو الحسن والحسين سبطى الرسل ، ولم يشفع فيه عند قاتله المخذول موافقه فى نصر الله ورسوله فى جميع المواقف ولم يشفع له عنده أسبقيته للإسلام ، ودفعته شقوته الى اهراق دمه ، ومن شدة شقائه اعتقاده - لعنه الله - أنه يتقرب الى الله بقتل على ، حقا انه أشقى هذه الامة كما كان احمر تمود عاقر الناقة أشقى قومه ، وإما عمر فقد قتله اللعين أبو لؤلؤة المجوسى ، وكلاهما : عمر وعلى قتل عند صلاة الصبح ، عمر بمسجد المدينة ، وعلى بمسجد الكوفة ، وابن باديس اعتدى عليه وهو خارج من المسجد فله أسوة بهما ولحاق ان شاء الله بمقامهما ، وكان عمر من البأس بحيث يهابه الشيطان ، كما جاء فى الحديث ، وكان من اللين بحيث يسهر على رعيته ويحمل الطعام للجوعى على ظهره ، ويدعو زوجه أم كلثوم بنت على لقبالة امرأة بدوية ، وتلك تربية النبوة رضى الله عنه ، ونون الشاعر عمر للضرورة .

(12) أجهز على الجريح : اتم قتله واتى عليه ، وقد اثر عمل الاصلاح على البدع واهلها وعلى المصلحين ان يجهزوا عليها .

(13) الكاف والنون : هما كلمة الله النافذة ، قال تعالى : « إنما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون » .

فى ذمة التاريخ افطلع حادث لشاعر السلفيين وخطيبهم الاستاذ الشيخ الطيب العقبى

هذه القصيدة النفيسة هى اطول القصائد فى هذا الموضوع ، وقائلها هو
الشيخ الطيب العقبى رحمه الله وهو شاعر فحل ، وناثر قدير ، وكاتب وخطيب
وصحفى ، لعب دورا هاما فى النهضة الاصلاحية .

ولد الشيخ الطيب بجبل (أحمر خده) من قبيلة أولاد عبد الرحمن - كما
أخبرنى به الاستاذ محمود الواعى وهو ثقة - من جبال الاطلس الصحراوى
بقرب (سيدى عقبة) مدينة الفاتح العظيم - عقبة بن نافع الفهري القرشى -
حيث استشهد صحبة ثلاثمائة وبضعة عشر من جلة الصحابة والتابعين رضوان
الله عنهم اجمعين .

هاجر الى الحجاز صغيرا صحبة عائلته أثناء حملات الهجرة التى تسبب
فيها محاولة فرض التجنيد الاجبارى على الجزائريين فى صفوف الجيش
الفرنسى لاجبار الشباب على خدمة الجيش الفرنسى ليكونوا وقود حروبهم
الاستعمارية القذرة - كما كانوا فى احتلال الطونكان (الهند الصينية) وفى
مدغشقر - أو ليكونوا دروعا لهم تقيهم هجمات خصومهم الالمان وغيرهم ،
أو لبناء مجدهم العسكرى .

ولقد قاوم الشعب فكرة التجنيد بكل وسائله الهزيلة ومنها ترك الرض
والهجرة منه ، ولكنهم استطاعوا فرضه عليهم عام 1912 م ، ورغم قيود
المجحنة بالجزائريين ومنعهم من تسلم مناصب الجيش العليا فقد كان فيه خير

لهم « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » لانه أيقظ الروح العسكرية في الجزائريين ودرّب عددا كبيرا على فنون الحرب واحسان استعمال مختلف الاسلحة العصرية، فكان لها اثرها اثناء الثورة الفاصلة ، كما ان صنوف الاجحاف ، وأنواع الظلم والتمييز العنصرى أيقظ روح المقاومة والتفكير فى وسائلها .

ادركت أحداث الحرب العالمية الاولى الشيخ الطيب وهو بالحجاز وأثناء ذلك بدأ أعماله فى ميدان الصحافة فاشترك فى تحرير جريدة (القبلة) جريدة الامير حسين - أمير مكة المكرمة - فى عهد الاتراك (الملك حسين من بعده) . ولما انتهت الحرب وكانت مأساة الملك حسين وابنائاه عاد الى الجزائر فى بداية العشرينات 1920 واستقر بمدينة بسكرة وكان فيها طليعة نهضة فكرية عربية اسلامية بدأت نسمايتها تهب على الجزائر كلها ، فكان الشيخ العقبي من مؤججها بما كان يلقى من الدروس الحية والمحاضرات القيمة ، وبما كان ينشره من مقالات نارية وقصائد مؤثرة ، وقد كان ينشر انتاجه فى (المنتقد) ثم فى (الشهاب) وفى (صدى الصحراء) ثم أسس جريدة له دعاها الاصلاح عام 1927 م .

كان الشيخ العقبي فى دروسه وخطبه ومقالاته ينهج نهج السلفيين فى احياء السنة وامانة البدعة ، والهجوم بشدة على البدع والضلالات ، والالوهام والخرافات ، وقد اختار خطة الهجوم العنيف والصراحة المرة ، واثارة الخصوم ابلغ اثاره فاستفزهم واثّر كثيرا عليهم كذلك كانت مقالاته فى المنتقد وفى الشهاب من بعده .

وجاء يوم رأى الشيخ عبد الحميد بن باديس الجنوح الى استعمال اللين والدعوة بالحسنى رجاء الوصول الى صلح بين المصلحين وخصومهم فدعا الى ذلك فى مجلة (الشهاب) ووضع شروطا لنشر المقالات ، فغضب الشيخ العقبي ورأى هذه الدعوة تراجعاً عن الخطة وتقهقرا الى الوراء ، منافية لحرية الفكر ، مقيدة لانطلاق حرية القلم والصحافة فكف عن الكتابة وقاطع الشهاب ابتداء من عدد 18 حتى 75 منه .

حينئذ أعلن الشهاب رفع كل قيد وسمح بالعودة الى حرية العنف فى التعبير خصوصا بعد ان سمح الخصوم لانفسهم باستعمال أقصى وسائل

العنف واستباحوا دماء المصلحين واعتدوا على زعيمهم الشيخ ابن باديس وهو الداعى الى الحسنى، فحاولوا الفتك به وذبحه . فعاد الشيخ الطيب الى الكتابة معلنا اغتياله مستانفا هجومه الشديد ، ثم ظهر له ان يؤسس جريدة تكون لسان حاله وسماها : (الاصلاح) بمدينة بسكرة عام 1927 م ، ولم يكن فى بسكرة مطبعة يستطيع ان يطبعها فيها فاتفق مع (المطبعة التونسية) بتونس لتقوم بطبعها ثم يوزعها بالجزائر ، وكان موعد صدورها يوم المولد النبوى 1346 هـ ، فلم تصدر والسبب ان السلطة الفرنسية فرضت عليها رخصة للطبع فى الخارج وأبت ان تسمح بروج جريدة فى الجزائر بعد طبعها فى تونس مع ان تونس كانت خاضعة لنير الاستعمار الفرنسى أيضا .

وقد طلب ان تطبع (الاصلاح) بالمطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة (مطبعة أصحاب الشهاب) فاعتذرت لان امكانياتها محدودة وكانت تطبع آنذاك كتاب (تاريخ الجزائر) للشيخ مبارك الميلى وكتاب (العواصم) لابن العربى ، وجريدة (البرق) فضلا عن (الشهاب) و (تقويم الاخلاق) لابن العابد ٠٠٠ الخ .

لكن الشيخ العقبي لم يقبل العذر وشن على أصحاب مطبعة الشهاب هجوما عنيفا وكال لهم سيلا من الاتهامات ، وبعث لهم بمقال شديد اللهجة نشره فى (الشهاب) واعتذر الشهاب أبلغ العذر ثم ضيق أصحابه على أنفسهم واتخذوا من الاجراءات ما قد يسمح لهم بطبع الجريدة وأبلغوا الاصلاح فاستغلى التكاليف بالمقارنة بينها وبين ما اتفق عليه مع المطبعة التونسية ، ولم يستطع ان يصل معهم الى حل لأنهم بينوا ان النزول الى أقل مما طلبوا سيكون خسارة محققة لا يستطيعون تحملها .

والحق ان المطبعة لم تكن تجارية بل كانت تعاني أزمة . وقد تبين بعد شهور من هذه الأحداث عجزها عن إخراج (الشهاب) أسبوعية فتحوّلت شهرية، أما الاصلاح فقد تكفل بها جماعة من أهل بسكرة وعلى رأسهم الشيخ محمد خير الدين، فأسسوا شركة، واشتروا للاصلاح مطبعة، فصارت تطبع بها . ثم ان الشيخ العقبي انتقل من بسكرة الى العاصمة ليحاضر فى (نادى الترقى) بعد تأسيسه فى الجزائر. وكان مقره حيث هو الآن بأشهر ساحات

العاصمة (الجزائر) التاريخية التي كانت تسمى ساحة الحكومة - لأن مقر الدولة الجزائرية قديما كان بها - وكانت شهيرة بساحة (العود) أى الحصان وهى المعروفة اليوم بساحة الشهداء ، وكان تأسيس هذا النادى فتحا مبينا فى تاريخ النهضة وبعد صراع داخلى تقرر تخليصه نهائيا من المشروبات الكحولية وتصب محاضرا به للدعوة والارشاد . حاضر فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمي ، وانتخب العقبي لمواصلة المحاضرات به .

وكان - فى الوقت نفسه - يلقي دروسه فى الجامع الكبير بلهجته الصريحة ، وأسلوبه الفصيح، فأقبل الناس عليه، وأثر فى الوسط تأثيرا كبيرا، وقل الفساد والسكر والاعتداء ، وكان مستشريا بالعاصمة، وانخفضت نسبة الجرائم، وتفتحت العقول والاذهان، وزالت منها كثير من الخرافات والبدع والالهام، واستعدت النفوس لما هو أعظم، وصار للحركة جمهور غفير، وخصوصا من العمال والشباب سماه الشيخ العقبي (الجيش الازرق) لما كان يمتاز به العمال من لباس البذل الزرقاء .

فى هذه الاثناء استند ساعد الدعوة الى تأسيس جمعية للعلماء لتنظم صفوفهم فى مؤسسة قوية تشملهم وتؤلف بينهم وتنسق أعمالهم ، وكانت الجرائد تدعو الى ذلك وتروج له ومن اعظمها بلاء فيه (الشهاب) وقد تمت الدعوة وتأسست الجمعية فى 17 ذى الحجة 1349 هـ - 5 مايو 1931 م ، وعقدت أول اجتماع لها فى نادى الترقى، وانتخب ابن باديس لرئاستها بإجماع . ولم يكن حاضرا ، وقد أبلغني الشيخ محمد خير الدين، وهو الثقة المطلع والسديد التدبير، ان تغييه كان مقصودا وباتفاق معه حتى تنجح الفكرة ويبلغت بها من كان لا يرضيه ولا يقبل ان تكون قيادة الجمعية فى قوة وعلم **وصلاية وصلاح ابن باديس .**

وكان الشيخ الطيب بحكم مكانته فى الحركة الاصلاحية من أبرز أعضاء الجمعية ولسانها بالوسط الجزائرى كله ، وقد كانت الجمعية فى عامها **الاول تجمع** كل من يصدق عليه لقب (عالم) بالجزائر - عرفا - فجمعت **بين الاصلاحيين والطرفيين .**

وسرعان ما تفتنت الادارة الاستعمارية لخطورة تكتل العلماء فى جمعية واحدة على رأسها ابن باديس وحزبه الاصلاحى، فأخذت تدبر المكائد ضدها بقصد الاستيلاء عليها كليا وتسخيرها لأغراضها الخسيسة، أو بتشتيت شملها

– على الأقل – وتمزيق وحدتها ، وأحداث الفتنة – أو الحرب الداخلية – بين أعضائها أبقاء للفتنة بين المسلمين وهذا ما توصلت اليه ولعب فيه م . ميرانت مدير الشؤون الأهلية بالحكومة العامة للجزائر دورا كبيرا بمساعدة عمر اسماعيل والعلويين، وكان ميرانت من أشد الناس حقدا على الاسلام وازدراء وتعديبا للشعب .

ثم أخذ الضغط الاستعماري على الحركة – خاصة – وعلى الامة عامة يشتد، ومن ذلك ان والى الجزائر أصدر قرارا يمنع الشيخ منلقاء دروسه العلمية بالجامع الكبير ، ووجهت تعليمات من الولاية العامة ان يمنع العلماء الاحرار – والمراد بهم أعضاء جمعية العلماء – منلقاء دروسهم ومواعظهم فى المساجد الرسمية ، وسئل ابن باديس عن رخصة التعليم فى الجامع الاخضر . وكان لهذا القرار وقع القنبلة الشديدة الانفجار ، فانه تسبب فى أول نزول من الشعب الى التظاهر فى الشوارع ، فعمت فى أعظم المدن – من أقصى الشرق الى أقصى الغرب عام 1934 م – مظاهرات صاخبة ، ثم كانت السبب فى إقبال الامة على بناء المساجد الحرة والنوادي ، يخطب ويعلم ويحاضر فيها هؤلاء العلماء، مما جعل اليقظة عامة شاملة ، وهذا ما دعا المؤرخ الفرنسى شارل اندري جوليان ان يقول فى كتابه (افريقيا الشمالية تسير) ما فحواه : (ان العلماء هم الذين أيقظوا الراي العام الأعلي ، وكان كمحكوم عليه فى بيت ينتظر الإعدام) .

ومع منع العلماء من حرية الدعوة فى المساجد أخذت فرنسا فى منعهم من حرية الصحافة والتعبير عن أفكارهم بالكتابة، فعطلت جرائدهم (السنة) ثم (الشريعة) ثم (الصراط)، واتخذت قرارا حاسما تعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية فى الجزائر، والتعبير بها يحتاج الى إصدار رخصة مسبقة لابد منها، وهكذا أصبحت الجمعية محكوما عليها بالعجز عن إصدار أية جريدة جديدة ، ولما جاءت الواجهة الشعبية – منتصرة فى الانتخابات الفرنسية – الى الحكم علقت عليها آمال كبيرة نظرا لما اشتهر به اليساريون من حسن كلام ، وإصدار وعود طالما كانوا خارج الحكم .

وذهب م . ميرانت وخلفه فى منصبه م . ميو وهو مستشرق وأستاذ قانون فحاول ان يلين دون ان يغير الغاية كما نبين من بعد وصار يود الاتصال

بالعلماء ويعقد روابط خاصة بالشيخ العقبي ، كما افسح المجال للحركة الوطنية لتنتشر بالجزائر - بعد قيام حكومة الواجهة الشعبية - لانها لم تكن بعيدة عن منظماتها اليسارية قبل انتصارها في الانتخابات . أما في الجزائر فكانت الحركة الوطنية (نجم شمال افريقيا) منذ نشأتها سرية أبدا بينما كانت في فرنسا جهرية آنا ، وسريا أحيانا .

وكان حلول الحركة الوطنية والسماح لها بالانتشار في الجزائر سنة 1936 نعمة عظمى وفرصة كبيرة للاجهاز على البدع والخرافات ، والتأخر الفكري والتخلف الثقافي ، والاسراع بالاصلاح الديني ، غير ان الشيخ العقبي لم يقدر الموقف حق قدره ولم يحسب له حسابه الصحيح، وعوض ان ينسق أعماله مع الحركة الوطنية ويسايرها ويتعاون معها ويعتبرها حليفا قويا صالحا لانتشار الدعوة، ويتجنب كل نكسة، عوض ذلك اصطدم بها وانكسر عليها ما لا ينكره مسلم وطني رشيد يدرك ان الغاية المرجوة هي التحرير الكامل للشعب في كل مناحي حياته الدينية والدنيوية ، الروحية والمادية ، السياسية والاقتصادية ، المالية والثقافية .

والحق انه لا يتحمل مسؤولية الصدام وحده ولكن يتحملها معه قوم آخرون خابروا - من بعد - في الامتحان يوم جاءت الثورة التحريرية الكبرى، فحملتهم الأنانية وحب الذات والتهالك على الزعامة والرئاسة بكل ثمن على التنكر للمبادئ ، والاصطدام المسلح بالثورة وقتل المناضلين .

وان كان هذا لا يعفى الشيخ العقبي من تحمل مسؤوليته كاملة أمام التاريخ ، فان من كان مثله من العلماء كان من واجبه ان يكون عمله لله خالصا، لا ينتظر عليه جزاء ولا شكورا الا من الله ، وان يعرض عن كل أنانية وحب الذات « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

والحق ان الشيخ العقبي لم يكن في (سياسته) في مستوى مقامه الديني كما برهنت عليه الايام ، وذلك ان فرنسا انتهزت هذا الضعف فيه ودبرت ادارتها مكيدة اغتيال مفتي الجزائر الشيخ محمود بن كحول (ابن دالي عمر) ثم سلطت تهمة الاغتيال على الشيخ الطيب ، وعلى المسلم الغيور السيد عباس

التركي محمد واعلى بانهما دبرا الاغتيال ، وسلحا القاتل ، وبلغت الوقاحة بهذه الادارة الى درجة القاء القبض على الرجلين والزج بهما فى السجن ، ولكن القاتل أو المعترف بالقتل تراجع عن أقواله أمام قاضى التحقيق عند المكافحة بحيث لم يبقيا فى السجن سوى ستة أيام .

لكن كان لها الاثر الفظيع على اعصاب الشيخ العقبى الذى خرج من السجن بغير ما كان يعهد فيه ، وصار يمكن ان تترك عروض الاستعمار اثرها فيه وينخدع لالاعيبها ، ففى عام 1938 م ، كانت الازمة التى حددت بنشوب الحرب العالمية بين ألمانيا وحلفائها من جهة ، وبين فرنسا وحلفائها من جهة أخرى ، وفى مثل تلك الازمات كانت الادارة الاستعمارية تخلق موجات من الرسائل والبرقيات والخطب والتصريحات تعرب عن تأييدها ، وتقديم شواهد الاخلاص لها باسم الامة .

وطمعت ادارة م . ميو، الذى كان له يد كبرى فى قضية الاغتيال، فى برقية من جمعية العلماء تعرب بها عن شواهد الاخلاص لفرنسا، وأوعزت بها الى الشيخ العقبى ليعرضها فى اجتماع لمجلس ادارتها الذى يسبق - عادة الاجتماع العام من كل سنة ، وكان الشيخ ما زال تحت رحمة محاكمته بتهمة التحريض على قتل المفتى وبطلب من القائم بالحق الشخصى .

ولما عرضها على المجلس صرح الرئيس ابن باديس رحمه الله (ان اليد التى تمضى هذه البرقية يجب ان تقطع قبل إمضائها) وأيده فى موقفه هذا إخوانه، وهدد العقبى بالاستقالة فلم يعبأ به ، ثم خرج الامر الى الاجتماع العام فصرح ابن باديس بقوله : (والله لو قطعوني إربا إربا ما امضيتها) وكان الاجماع التام على تأييد موقف ابن باديس وإخوانه، واستنكر تقديم أى تأييد لموقف فرنسا التى كانت جلاد الشعب وعلى وشك تجنيد مئات الآلاف من شبانه للحرب .

ونفذ الشيخ العقبى تهديده وقدم استقالته من الجمعية التى شارك فى تكوينها ، واشتهرت به واشتهر بها، وكان ذلك فى صائفة عام 1938 م ، وذلك بعد أيام قليلة من تجديد انتخابه .

ثم جاءت الحرب وعلنت فعلا فى 3 سبتمبر 1939 م ، وكان لجمعية العلماء صحفها، وعلنت الرقابة على الصحف، وصارت مجبرة على قول ما لا تريده

ولا تستطيع قول كل ما تريده ، عندئذ قررت جمعية العلماء ان تغلق صفحاتها ، وقد سمعت بادني الرئيس ابن باديس يقول ما فحواه : (ان قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضى الامة غضبت فرنسا وسخطت ، وان قلنا ما تحب فرنسا وترضى عنه اغضبنا الله ورسوله ولم يرض الشعب ، لهذا قررنا السكوت) لكن فرنسا لم ترض عن هذا السكوت وحنقت عليه اشد حنق لانها كانت تود ان تنتهز الفرصة وتجند أعلام العلماء تطبل وتزمر لها وتجد أعمال ساستها وقادة جيشها وتهاجم بحق أو بباطل خصومها ، فكان تقرير السكوت ضربة (معلم) لمكيدتها فجئ جنونها وأرسلت الى الشيخ مبارك الميلي - وهو رئيس تحرير البصائر لسان حال الجمعية - تطلب منه ابراز (البصائر) فقال : (انها ليست جريدتي الخاصة ، انما هي جريدة الجمعية ولا يستطيع ابرازها الا بقرار منها فقالوا له : قدم استقالتك لنا ؟ فاحسب : بأى صفة أقدم الاستقالة ؟ اذا احتجت الى تقديم استقالتي فاني اقدمها لرئيس الجمعية ابن باديس) .

فالتفتوا الى الشيخ العربي التبسي الامين العام لجمعية العلماء وطلبوا منه ان ينلي اليهم بتصريح لفائدة فرنسا وحلفائها فقال : ليس لي حق في الادلاء بأى تصريح باسم جمعية العلماء ، ان ابن باديس هو وحده يملك الحق في مثله ، فقليل له : انك الكاتب العام للجمعية ! فقال : ذلك يوجب علي كتابة جلساتها وحفظ دفاترها ووثائقها !

حينئذ تذكرت الادارة الاستعمارية ان هنالك من يستطيع ان يتكلم باسم العلماء وحزب المصلحين في الامة ، وكان منذ عام مستعبدا ان يماشىها في موقفها السياسى وان يقدم لها - باسم الامة - شواهد الاخلاص .

وهكذا رجع الشيخ العقبي الى ميدان الصحافة وأخرج جريدة (الاصلاح) في شهر ديسمبر عام 1939 م ، وبعد ان اختفت عن الظهور ما يزيد على عشر سنوات . واذا كانت الاصلاح أيام بروزها في بسكرة لا تجد من يطبعها فانها في عام 1939 م ، لم تجد من يقرأها . ومن الحق ان نقول انها وجدت العون الاكبر في ابرازها وتدييع المقالات الطويلة فيها من قلم قضى كل أيامه في زعمه في (حياة كفاح) وكان الاصل والفصل في كل حركة أو فكرة أو ثورة

فى الجزائر ! لقد تعاون الشيخ توفيق المدنى مع الشيخ العقبى تعاونا كاملا فى تحرير جريدة الاصلاح فى عهدهما الجديد، بينما أبى العلماء ان يكتب أى واحد منهم كلمة ترضى فرنسا .

ولم يلبث ابن باديس الا قليلا بعد نشوب الحرب و بروز (الاصلاح) - ولحق بربه - فوسوس الشيطان لهم أن يكافئوا الشيخ على تضحيته ، وان يكونوا واسطة فى تربعه على رئاسة جمعية العلماء، فاتصلوا بالمشائخ: الميلي والتبسي وخير الدين يطلبون منهم أن ترجع الجمعية عن سياسة ابن باديس الانفصالية ، والمجافية لفرنسا، حسبما اعلنته كلمته الصريحة وحسب سكوت صحفها عن التعاون معها .

وعرضوا عليهم - ان قبلوا بتغير سياستهم وتنكرهم لسياسة ابن باديس ان قبلوا ان يكون على رأسهم - خليفة لابن باديس - الشيخ الطيب العقبى . وقد حدثنا بمثل هذا من رواه عن الشيخ مبارك الميلي ، كما رويته مشافهة عن بعض رجال جمعية العلماء وكبار مؤسسيها، وما يزال بالحياة، اطال الله بقاءه .

ثم آل الامر أخيرا بالشيخ الطيب الى ان يكون بجانب الطريقين ضد اخوانه العلماء المصلحين ! كما آل امر الشيخ الزاهري قبله، حذوك النعل بالنعل، منذ عام 1938 م .

ولا أقول هذا الكلام جزافا ، فقد جاء عام 1947 م ، الى مدينة قسنطينة مظاهرا لأحد أرباب الزوايا الذى كان يعارض دخول العلماء للتدريس فى الجامع الكبير .

ففى أواخر عام 1947 م ، أسس العلماء (معهد عبد الحميد بن باديس) للدراسة الثانوية ، وأرادوا أن يدخلوا الجامع الكبير للتدريس فيه ، فسخرت الادارة الفرنسية أعوانها للمعارضة فى ذلك وجاءت بشيخ الزاوية هذا من (وادى سقان) ليظهر معارضته واحتياجه للمسجد ، وأعلن عن عقد اجتماع كبير يعقد فى الجامع ويحضره العلامة الكبير الشيخ الطيب العقبى ! وبالفعل لما افتتح الاجتماع جاء هذا الشيخ وبجانبه الشيخ العقبى يظاهره ويشد أزره مستعدا ليلقى فى الشعب خطبة رنانة !

ولكن الشعب هاجت عواطفه ، وما ان بدأ شيخ الزاوية فى الكلام حتى علت صيحات الانكار من جميع الجهات ، وعلا الضجيج وتعذر متابعة الاجتماع ، وأخرج الرجلان تحت حماية العقلاء من رجال الاصلاح حتى لا يلحقهما اذى الجموع الهائجة •

وكان ذلك نفس ما حدث للشيخ الحافظي سنة 1933 م ، فى مسجد عنابة وهو خاتمة وجود (جمعية علماء السنة) وقد ذكرناه فى مكان آخر •

والحق ان هذا ضعف لازم للشيخ العقبى - عفا الله عنه - فى اطواره الاخيرة ، ان يصانع الادارة الفرنسية ويماشى اغراضها ولو بمجافاة اخوانه ومصالحه خصومه ، ولا نقول انه رجع الى عقائد الطرقية وبدعها وخرافاتهما ، كلا، ولكنه كان يلتقى معها فى مسالمة الادارة الفرنسية ، وحتى بمناوأة الاتجاه الوطنى المعادى لفرنسا ، فهذا مما يسر عليه التصادم مع الحركة الوطنية ولازمه الى آخر حياته •

فى عام 1956 م ، والثورة فى اشدها جاء صحفى من باريس نائبا عن جريدة العالم (لومند) وطلب مقابلة صحفية مع الشيخ العربي التبسي رحمه الله ، وكنت بجانبه فى مركز جمعية العلماء ، فاستشارنى فى الامر ، فقلت له : لا أرى ان تسمح له بهذه المقابلة ولا ان تعطيه حديثا فانك لا تستطيع ان تقول ما تريد ، وذكرته بمثل ما قال الشيخ ابن باديس عند ما قرر ان تسكت جرائد الجمعية ، وانه لا يضمن ان يقوله الصحافى ما يشاء - وليس ذلك ببعيد - وحينئذ فانه لا يستطيع ان يكذب ما ينسب اليه ولا ان يصلحه •

وكان ذلك هو نفس ما يراه ، واتفقنا عليه ، واعتذر الشيخ عن لقائه • وبعد أيام اطلعنا على حديث طويل عريض فى نفس الجريدة أدل به الشيخ الطيب ، وانتسب - مع الاسف - للعلماء ، وزعم الصحافى ان العلماء انقسموا بعد قيام الثورة ، فمنهم الذين ذهبوا الى القاهرة أو الى بعض العواصم العربية ، ومنهم من بقى بالجزائر واتخذ موقفا مناسبا لفرنسا كالشيخ العقبى ! وقد وجد فى كلامه ما يبرر به قوله الاخير •

ويظهر لى من تصريحات الشيخ العقبى وبعض مواقفه انه كان مؤمنا بقوة فرنسا الرهيبة ، وبقلة جدوى معارضتها بالقوة والعنف ، وانه يمكن الوصول

الى الحصول على الحقوق منها بالحسنى والدين ! وانه كان لا يرى تناقضا بين
الرضى بالجنسية الفرنسية والاسلام، وهذا ما كان يختلف فيه مع جميع اخوانه
العلماء ، ومع مواطنيه من رجال الحركات الوطنية .

ويوم نسبته جريدة (العالم) الى جمعية العلماء وحسبته منهم كان قد
مر على استقالته منها ومفارقتها بارادته ما يزيد عن 18 عاما من عام 1938 الى
عام 1956 م ، ومع ذلك فهو عندهم ما يزال من (جمعية العلماء) عند الحاجة
اليه طبعا !

اما الشيخ العربي رحمه الله فقد رأى ما فعله ذلك الصحافى فى مقابلته
للشيخ العقبى وهو ما كان حريا ان ينسب اليه لولا ان ثبته الله، وقد بقى
ثابتا صابرا حتى القى عليه القبض يوم 4 أبريل 1957 م ، ولم يظهر له أثر .
فهو من الشهداء الأبرار .

واما الشيخ العقبى فقد عاش الى ما قبل فجر الاستقلال وتوفى حثف انفه
عام 1961 م ، واذكر اننى رأيت نعيه فى مجلة كانت تصدرها الاذاعة
الجزئية ووصلت اليها فى سجن تازولت الرهيب . رحمه الله وعفا عنا وعنه .



قالت جريدة الشهاب في عددها 83

الصادر في 7 شعبان 1345 هـ ،

- 10 فيفري 1927 م -

في ذمة التاريخ افزع حادث

(والقصيدة من بحر الكامل)

لشاعر السلفيين وخطيبهم العلامة الاستاذ الشيخ/الطيب العقبى ونشرت
في (الشهاب) الصادر في 7 شعبان 1345 هـ (الموافق 10 فيفري 1927 م) .
عبد الحميد النصر قد وافاك رغم المنافس والسدى عاداك (1)
واصلت سيرك مرشدا ومعلماً ولسوف تحمد بعدها مسراكا (2)

(1) عبد الحميد : منادى باستقاط حرف النداء ، وهو مقيس من المنادى
القريب ، وافاك : جاءك وادركك وفاجأك رغم المنافس على كره منه وقهر وغلبة
وذل ، والمنافس المباذى المغالب ، المزاحم : الحاسد ، وعاداك : خاصمك
وباعدك وصار لك عدوا ، والتحاسد مذموم ابداً ، والتنافس في الخير محمود
« وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » *

(2) واصلت : تابعت وواظبت من غير انقطاع مرشدا ومعلما : حالان
والمرشد الداعي الى الرشيد ، الدال على طريق الهدى ، والمعلم الذي يجعل غيره
علما بالشيء يعرف حقيقته ، والتعليم اشرف عمل يباشره الانسان وهو وظيفة
الرسول ، قال صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت معلما » وفي شعر شوقي :

قم للمعلم وفية التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا
أعلمت اعظم أو أجل من الذي بيني وبين شيء أنفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى

وقوله تحمد مسراكا : ترضى عن مسراك ، والمسرى مصدر ميمي ، ويأتى أيضا
اسم مكان واسم زمان من السرى وهو السير ليلا في طلب الحاجة ، وفي
المثل : (عند الصباح يحمد القوم السرى) يضرب لاحتمال الشدة رجاء الرخاء .

انى رأيتك للزعامة أهلها والكل للنظر السديد يراكا (3)
 ان كادك الاعداء يوما أو سطوا فالله جل جلاله يردعاكا (4)
 ما شوهوا لك سمعة كلا، وان قصدوا بذاك الحط من علياكا (5)
 أو ضرجوك بذلك الدم واعتدوا فلقد أقاموا أمة تهواكا (6)
 هاجوا العواطف كلها فتحركت فقلوبنا بالعطف لا تنساكا (7)

(3) راي هنا بمعنى علم ، والزعيم : الرئيس والسيد والكافل الضامن ،
 وفي سورة يوسف : « **وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ** » بمعنى : كافل وضامن ، وفي الزعامة
 بمعنى الرئاسة مسؤولية ثقيلة وكل من طلبها ونهالك عليها لا يحصل عليها
 أو لا تنهالها إذا حصل عليها ، وكان ابن باديس رحمه الله من أزهى الناس
 في الزعامة وطلبها والسعي اليها ، ولكنه لما انتخب اليها رفع رأيتها وآمن
 انها وجبت عليه فقام بها واعتبرها تكليفا لا تشريفا . ادخال (ال) على كل
 وبعض لا يصح عربية فصيحة لانهما ملازمتان للاضافة ، والتنوين معاقب
 للاضافة - فيهما - ولكن الاستعمال شائع كما فعل الشاعر ، والسديد :
 القويم الصائب .

(4) كادك الاعداء : مكروا بك وخدعوك ، والكيد : الارادة بالسوء ، قال
 تعالى : « **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا** » وقال : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
 الْخَائِنِينَ** » سطا عليه : يسطو وسطا به : وثب عليه واخذه بقوة وقهر . جل :
 عظم وتنزه وترفع ، وجلاله : عظمته ، يردعاك : يحميك ويحفظك ويدبر أمورك
 (5) شوه : قبح ، والشوه القبح ، والمشوه القبيح الشكل ، والشوهاء
 المرأة المليسة القبيحة الوجه ، و (كلا) كلمة ردع وزجر ، وعلياك ممدود قصر
 للضرورة وذلك كثير في كلامهم .
 (6) ضرجوك : لطخوك ، قال المهلهل :

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج - ما - أنف خاطب بدم
 أى ضرب على أنفه ولطخ بدمه . أقاموا : أثاروا ، تهواك : تحبك ، والامة :
 الطائفة من الناس وتطلق على الذين تجمعهم صفات خاصة بهم كما في قوله
 تعالى : « **وَلَنَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** »
 وقد تطلق على مطلق الجماعة حتى من غير العقلاء كما في قوله تعالى :
 « **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ** » وجاء اطلاقها
 على مفرد : « **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا** » وفي الحديث ان زيد
 ابن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد رضى الله عنه يبعث أمة وخذ ، واما
 (الامة) التى تجمع الشعوب العديدة بجامعة الدين واللغة والوطن والعادلت
 والتاريخ كالامة العربية اليوم فهو اصطلاح حديث ، لهذا ، يصح ان يقال :
 الامة الجزائرية ، والتونسية ، والمصرية الخ . . . والاهانة لا تكون بالسطو
 بانسان واصابته في بدنه وابالة دمه أو قتله ، فان ذلك وقع لاشراف الناس
 « **وَكَاثِنٌ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ** » .

(7) هاجوا : أثاروا ، والعواطف : جمع العاطفة : الشفقة والرحمة والحنان
 والعطوف المحسن الشفوق .

تعبس لهم فى جهلهم وضلالهم ولكل من فى الحق قد ناواكا (8)
 خطت دماؤك صفحة بيضاء شا هدة بأنك حامد عقباك (9)
 أدموك يا رجل الثبات وقبلها أدمى الشرار الرسل والنساكا (10)
 عى حلة الشرف الرفيع لبستها حمراء صافية فجر رداكا (11)
 وافخر وسر نحو العلا متقدما تطأ المعاند - دائما - نعلكا (12)

(8) تعبس لهم : هلاكا لهم وشقاء ، اتعسهم الله أهلكتهم يستعمل فى الدعاء بالشقاء والهلاك وهو منصوب على انه مفعول مطلق نائب عن فعله ، قال تعالى : **« وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ »** ناواك : عاداك وعارضك .
 (9) العاقبة : آخرة كل شىء كالعقبى . والعبرة بالخواتم ، قال تعالى : **« وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى »** وقد صدق العقبى فيما توقع لابن باديس ، فانه منذ هذه الحادثة وسمعتة فى صعود حتى انتصرت الامة بانتصار مبادئه ، وتحرر وطنه .

(10) كان ابن باديس حقا ثابتا صابرا مؤمنا بحسن العاقبة ، والشرار : جمع الشرير جامع الرذائل والخطايا ، هم شرار وأشرار وأشراء ، والنساك : الزهاد العباد المتقشفون ، والنسك العبادة ، والمناسك العبادات وأفعال الحج وأماكنها ، وقد قتل الاشرار يحيى ، وأدموا محمدا صلى الله عليهما ، ومن أشهر الاشرار بنو اسرائيل الذين قال الله فيهم : **« وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ »** .

(11) الحلة : كل ثوب جديد سائر للبدن ، وكان الشيخ الطيب يشير الى قول أبيه (أبى الطيب) :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم !
 وقوله : جر رداك : يريد افتخر وازه بما حصل لك ، وجر الرداء يكون من المختال المزدهى ولا يحسن ذلك الا فى ساحة القتال أمام العدو ، وقد رأى هذه المشية رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى دجانة يوم احد فقال : **« انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الوطن »** قال تعالى : **« وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »** والشيخ لا يقصد هذا ولا يقصد منه هذا ، وانما هو قول الشاعر ، ويسوغ من القول للشاعر ما لا يسوغ لغيره وعليه يحمل ما يأتى .

(12) افخر تباه وتمدح بالخصال الطيبة والمكارم فيك وفى أهلك واذكر فضلك على غيرك والتفاخر على الناس من مكاره الخصال وقد ذمه القرآن وخصوصا اذا أدى الى التعالى على الناس واحتقار الغير قال تعالى : **« إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ »** وقال : **« إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »** والشاعر يريد أن يذكر محامد بحق إذ أعلاها القيام بما يرضى الرب . وطء المعاند : دوسه وطىء الشىء برجله داسه ، ووطأ الشىء سهله ، ومن ذلك تسمية مالك كتابه (الموطأ) لقول أبى جعفر المنصور له (وطنه توطئه . والمعاند من يمارى فى الحقائق ويأبى =

أسست خير جريدة تدعو الى دين الهدى وتحارب الاشراكا (13)
 فاستصرخوا ودعوا ثبورا ويلهم والكل بالافك المبين رماكا (14)
 ان تنقدوا طرق الضلال فلم تكن فى النقد كذابا ولا أفاكا (15)

= قبول الحق بعد ظهور البرهان فهو لا يجهل الحق ولكن ياباه كما قال تعالى :
 « **وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** » والنعل : الحذاء وما وقيت
 به القدم من الارض ، والكلمة مؤنثة ونعل للدابة طبق من حديد أو جلد يوقى
 به الحافر ويكون كالنعل للقدم .

(13) أسس ابن باديس جريدة (المنتقد) وخرج العدد الاول منها يوم
 عيد الاضحى 1343 هـ وبعد 18 عددا منها عطلتها فرنسا فاخرج (الشهاب)
 وأعلن فيها دعوة الحق ومحاربة الدجل والخرافات والفساد الدينى والعقائدى
 والخلقى والاجتماعى وكان يعمل لليقظة ووصول الامة لحقوقها السياسية
 وشعاره : (الحق فوق كل احد ، والوطن قبل كل شئ) . دين الهدى ، دين
 الرشيد وهو الاسلام الصحيح نقيما كما جاء به الرسول ، والاشراك بالله
 اعتقاد أن مع الله شريكا فى اسمائه أو صفاته ، ومن مظاهر ذلك دعوته
 والتقرب اليه واعتقاد جلب النفع ودفع الضرر - بما وراء الاسباب - وكان كثير
 من الناس يعتقدون فى القبور واعلمها ما كان يعتقدوه أهل الجاهلية فى اوثانهم
 وحتى أهل الجاهلية لم يكونوا يتقربون لالهتهم الا لتقربهم إلى الله كما جاء
 فى قوله تعالى حكاية لقولهم : « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زُلْفَى** » لهذا شبه
 المتأخرون بالمتقدمين لتشابه الاعمال .

(14) استصرخوا : استنجدوا واستغاثوا من الصراخ وهو رفع الصوت
 بالنداء والصريخ المغيث والمستغيث أيضا . الثبور : الهلاك والويل ، ويقول
 ذلك من اصابته مصيبة شديدة ، وقد قص الله حالة أهل النار أنهم اذا سمعوا
 زفيرها وشهيقها وتغيظها « **دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا** » فقال : « **لا تدعوا اليوم ثُبُورًا**
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا » لشدة ما يلقون من العذاب يدعون على أنفسهم
 بالهلاك فلا يجدونه ، والويل كلمة عذاب ينطق بها عند الشر ويدعى بها على
 من وقع فى الشر ضد كلمة ويح . والافك : الكذب المبين الواضح . ورماك :
 اتهمك بالباطل ، ومن ذلك رمى المحصنات : قذفهن والكذب على اعراضهن .
 (15) نقد الشئ : النظر فيه لتمييز جوده من رديئه ومن ذلك نقد الدراهم
 لمعرفة صحتها من زيفها ، ونقد الكلام أظهر ما فيه من حسن أو عيب ، وانما
 يكون الناقد محمودا اذا كان خبيرا بما ينقده يعرف جوده من رديئه ، أمينا
 فى حكمه ، يقول الحق للحق ولا يبالى ولا يمارى ولا يدارى ، منصفا من
 نفسه . وكان ابن باديس رحمه الله منصفا كثيرا ما ينشر فى صحيفته نقد
 خصومه له ، فان وجد حقا أذعن ، واعترف به وأن وجد باطلا فند ، ولم يكن
 كذابا . والضلال هو الانحراف عن الطريق السوى والجادة المثلث الى التيه .
 وذلك مما يعرض الضال التائه الى الهلاك ، وهذا شأن من خرج فى دينه عن
 كتاب الله وسنة رسوله ، والكذاب صيغة مبالغة من الكذب من يخبر بغير
 الحقيقة ، والكذب خلق ينافى الايمان وهو من أسوا ما يتصف به الانسان ، =

أو تحتقر تلك الجموع فكلهم أهمل ورب العالمين لذاكا (16)
 هذا هو العمل العظيم مثوبة وأجل ما قد قدمته يداكا (17)
 يا ويحهم ماذا جنوا بصنيعهم لو يعقلون تطلبوا لرضاكا (18)
 لم يغضبوك بسطوهم بل أغضبوا رب السماوات العلا وأباكا (19)

وقد يستهين به أول الامر ثم يستمر فيه وما يزال يعتاده حتى يكتب عند الله كذايا ، وفي التنزيل قوله تعالى : « **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** » والافاك الكذاب ، والافاك والكذب .

(16) احتقر الشيء هان عنده وصغر وذل فاعرض عنه ، والحقارة الذلة والهوان والشاعر يريد باحتقاره عدم المبالاة بهم واعتبارهم من الأشياء التي تعوقه عن مضيه في أمره فهم عنده أهون من أن يصدوه عن أغراضه ، وهذا شأن المعتز ولا اعز ممن اعز بالله وربما أشار إلى قول الجاهلي :

نحن الأولى ، فاجمع جموع عسك ثم وجههم الينا
 وأحق الناس بالاحتقار من عدل عن استعمال سلاح البرهان إلى استعمال سلاح الخناجر والدبابيس .

(17) مثوبة : ثوابا وأجرا وجزاء ، ثوبه من كذا عوضه وجزاه ، أجل أعظم وأكبر قدمته يداك : فعلته في دنياك لتجده في آخرتك وهو تعبير قرآني : « **يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** » وأعظم ما يترقب المرء من مولاه أن يجاهد في سبيله ويسيل دمه ويذهب ماله فيثاب عليه .

(18) ويح : كلمة ترحم وتوجع يقال عند الاشفاق والعطف عكس ويل كلمة عذاب وشر فان أضيفتا فليس إلا النصب ، وإن جردتا ففيهما النصب على اضممار فعل تقديره ألزمه الله . . . وفيهما الرفع على الابتداء وجاز فيه التنكير لما فيه من التهويل . ارتكبوا جناية وذنبا وأثما ، وتطلب الشيء طلبه مرة بعد أخرى مع التكلف .

(19) بسطوهم : يوثبهم ، وإنما حكم الشاعر بأن رب السماوات غضب عليهم لانهم ظلموا واستحلوا دم مسلم وبيتوا قتله ، وقد حرم الله الظلم على نفسه وحرمه على عباده ، وقال : « **فَلَا تَظَالَمُوا** » ولأنه سبحانه وتعالى قال في قتل المؤمن - وهو ما عزموا أن يفعلوه : « **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** » وفي الحديث الصحيح : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » فمن استحل الحرام أغضب الله تعالى . وقوله : (وأباك) الواو : وأوقسم وأباك مقسم به مجرور بالكسرة المقدرة على الالف ، وقد استعمل الشاعر فيه لغة (القصر) في الاسماء الخمسة ، وهي لغة شهيرة ورد عليها قولهم (مكره أخاك لا بطل) وقول الشاعر :

واها لسلمي ثم واها واها هي المنى لو أننا نلناها
 يا ليت عينها لنا وفاها بئس من نرضى به أباهـا=

هي غضبة عربية مضرية حلت عري، خطب أمض قسواكا (20)
هي نقمة في زعمهم لكنها جاءت بأعظم نعمة تغشاك (21)
لم يفلحوا في كيدهم اذ قارفوا ذنبا ومدوا في الطريق شباكا (22)
يتربصون بك الدوائر حيث لا يبغون بالخطر العظيم سواكا (23)

ان أباهما وأبا أباهما قد بلغا في المجد غايتاهما
وكان من حقه ان يقول : (أن أباهما وأبا أبيهما) ولكنه استعمل لغة القصر
والاعراب حينئذ بحركة مقدرة على الالف منع من ظهورها التعذر ، ومن المعلوم
ان الاسماء الخمسة أو الستة فيها ثلاث لغات : الاعراب بالحروف وهذا هو
الاكثر والقصر - وهي هذه - والنقص وهي حذف حرف العلة كما في قوله :
بأبيه اقتدى عدى في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم
قال ابن مالك : (وقصرها من نقصهن أشهر) .

(20) مضرية : منسوبة الى مضر جد المضرية ، وبنو مضر من أمهات القبائل
العربية واليه تنسب قريش ، وتعتبر الدولة الاموية - وكذا العباسية - دولة
مضرية ، والغضبة المضرية شهرها قول الشاعر :

إذا ما غضبنا غضبه مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
وعري : جمع عروة ، ما يوثق به ويقيد من حبل أو غيره ، والخطب في
الاصل : الامر والشان ولكنه غلب استعماله في المصيبة والامر العظيم المكروه ،
ومن ذلك قول الشاعر في خطيب :

(خطبت فكنت خطبا لا خطيبا)

والخطيب من يلقي خطبة ، ورجل خطيب حسن الخطبة ، والخطيب أيضا
من يخطب امرأة للزواج وهي خطيبته أي مخطوبته ، وأمض أو من قسواك ،
والقوى : جمع قوة ، وتجمع أيضا على قوات : الطاقة والقدرة ضد الضعف
والوهن ولغة القرآن ضم القاف في الجمع كما قال سبحانه : « **شديد القوى** »
وكسر القاف قبيح في النطق لانه خروج من الكسر الى الواو وانما يناسبها
الضم .

(21) نقمة : مكافاة بالعقوبة - كريمة ، تقم منه كذا كره « **وما نقموا
منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** » ، والنعمة : ما يرضى ويحب وتقربه
العين كالانعام وتفرح به النفس والرغد والصحة والعلم والجاه والوسع في
المعيشة وخلاف البؤس ، ونعم الله كثيرة قال الله تعالى : « **وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها** » تغشاك : تخالطك وتغطيك .

(22) لم يفلحوا : لم يظفروا ولم يفوزوا في كيدهم : مكرهم . قارفوا :
دنوا وقاربوا قارف السيئة قاربها وفعلها واقترب الذنب ، واجترحه فعله ،
والشباك : جمع الشبكة : حباله الصائد وشركة الصيد .

(23) تربص به : انتظر له شرا يقع له أو يلحقه به ، وتربص بالمكان
توقف وانتظر ، والدوائر : جمع الدائرة : نوائب الدهر وصروفه ومصائبه ،
وتربص به الدوائر انتظر انقلاب الحال الى أسوأ لانتهاز الفرصة ، ذلك شأن =

نصبوا لك الارصاد فى غسق الدجى

يرجسون قتلك خلسة وأذاكا (24)

من بعد ما ائتمروا على الامر الذى لو تم مس العرش والأملاك (25)
وتقدمت كف الأئيم بضربة قد زلزلت من وقتها الأتلاك (26)
وقعت على رأس العلوم وربها والرأس أثبت ما يكون هناك (27)
وسطا بأخرى دون تلك فصادت ما تحت هدب العين من يسراكا (28)

= اللئيم المتردد كما كان حال بعض الاعراب من حول المسلمين فى المدينة الذين قال الله فيهم : « ومن الأعراب من يتخذ ما يُنفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء . . . » . والخطر : الاشراف على الهلاك ، وسواكا : غيرك وكلية (السوى) من استعمالات بعض المتصوفة يطلقونها على ما سوى الله تعالى ، ويزعم الحلويون منهم والقائلون بوحدة الوجود فى (شطحاتهم) المردية انهم (ليسوا سواه) تعالى الله عما يقولون .

(24) نصبوا الارصاد : وضعوها وضعاً محكماً ، والارصاد : جمع الرصد ، والرصد القعود بمكان بقصد الترقب والانتظار ، ويستعمل الرصد فى ترقب الصيد وفى ترقب العدو ويقع عن غفلة منه فى الفخ ، وهو من أهم خطط الثوار للايقاع باعدائهم ويطلق عليه فى عرفهم (الكمين) ويقال (رصد) للمفرد وغيره مذكراً ومؤنثاً . والغسق : اشتداد الظلمة ، قال تعالى : « الى غسق الليل » الى ظلمة الليل ، والدجى الظلمة ، والدياجى الظلمات ، خلسة : مخادعة ومخاتلة مع سرعة ، والقتل خلسة : هو قتلة الغيلة ولا عفو فيه من ولى الامر ، وان عفا ولى الدم لسبق الاصرار والغدر .

(25) ائتمروا : تشاوروا فى الامر وتدابروا فيه وأمر بعضهم بعضاً به واتخذوا فيه قراراً « وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى » قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك » ومع هذا لم يفدعهم لانه كيد ومكر « ولا يحقيق المكر السيء إلا بأهله » .

(26) الزلزال : الارتجاج والاضطراب والارتجاج ، والافلاك : مدار النجوم ، وقد بالغ الشاعر ، ومنهجه الشعري الادبى يسمح له بذلك ، اما اعتقاده الاصلاحى السلفى فلا ، فقد كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة رضوان الله عنهم (كسفت لموت ابراهيم) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد » . وهذه تربية عالية من الرسول صلى الله عليه وسلم لامته تقطع كلام أى متجربى ، والشيخ الطيب وابن باديس اعرف الناس بذلك ولكنه فن الشعر .

(27) رأس العلم : على رأس سيد العلوم وصاحبها ، وكان - فى مثل هذا الخطر أشد ما يكون ثباتاً واطمئناناً الى ربه .

(28) سطا بضربة أخرى أقل من الاولى قوة . هدب العين شطر اشفارها ، ويطلق الهدب والجمع : الاهداب أيضاً على حمل الثوب وطرته ، من عينك اليسرى .

واستل موسى للشقاء أعدها فكفيتها والده قد أنجاكا (29)
وأخذته أخذ العزيز ولم تخر منك العزيمة عندها حاشاكا (30)
لا حول عندك ، لا ، ولا لك قوة لكن رب الناس قد قواكا (31)
غالبته فغلبته صعبا الى حيث استجاب السامعون نداكا (32)
فتفلت الجاني وولى مسرعا متقصدا دارا بها سكاكا (33)

(29) استل : اخرج وانتزع من غمده ، والموسى آله حادة من فولاذ يحلق بها ويذبح وينحر تذكر وتؤث ، وتجمع على مواس ، وموسيات ، والمدينة الشفرة الكبيرة وتجمع على مدى ، ومديات ، وما زالت هذه الآلة تدعى فى لساننا (موسى) وكان الشقي قد أعد نوعا منها يصنع محليا ويسمى (بوسعادي) لاغتناء أهل (بوسعادة) به ، يمتاز بالطول والصلابة ودقة الرأس ويغوص بسهولة فى الضحية ، ويتخذ له معلق ، وكان يتسلح به ، المستعدون للعراك ، وقلما يفلت من ضرب به ، كفيتها كفاك الله شرها وأنجاك الله وحفظك من غائلتها .

(30) أخذته : تناولته ، والعزيز : القوى ، والملك لغلبته على أهل مملكته والمنيع الذى لا ينال ولا يغالب ولا يعجزه شئ ، ولا يفهره - وكان لقب من يتولى الحكم فى مصر - وقد تولاه يوسف عليه السلام : « **قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر** » . خارت قواه : وهن وضعف وفتر وانكسر ، والعزيمة الجدة فى الامر والمضى فيه بالقوة والارادة المؤكدة وتطلق على ما يقابل الرخصة فى الاحكام الشرعية وهى ما فرض ابتداء فى الاحوال العادية كوجوب الوضوء ، للصلاة والغسل بالماء عزيمة ، وقصرها فى السفر رخصة ، وكالصيام فى الصحة والشهود عزيمة والافطار فى المرض والسفر رخصة . . . الخ ، وحاشاك : من أدوات الاستثناء : حاشاك استثنى من الحكم السابق ، وتعرب فعلا ماضيا فاعله ضمير مستتر وجوبا على خلاف الامر فى ضمير الماضى وتعرب حرف جر اذا لم تسبقها (ما) فان سبقت بها فليس فيها الا الفعلية وفيها لغات : حاشا ، وحاش ، وحشا ومما سبقت فيه بما قول الشاعر :

فأما الناس - ما حاشا قريشنا - فانا نحن اكرمهم فعلا

(31) الحول : القدرة على التصرف والطاقة والدفع ، وكان الشيخ ابن باديس نحيف الجسم لا يقوى على بدين مثل المعتدى ، ومع ذلك فقد قبض على يديه كليهما ودافعه فى الدرج صعودا بينما كان الجاني يريد نزولا ، فلولا أن قواه الله ما استطاع ان يتغلب عليه ويصعد به حتى الطريق العام .
(32) غالبته : باربته فى المغالبة وتحديثه كل منكما يريد ان يكون له الغلب وكنت تدعيب به صعودا وهو يريد بك النزول فلولا ان الله معك قد قواك لغلبك ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

(33) تفلت : تخلص وانفلت وتفلت الى الشئ نازع اليه وجاذب ، وولى : انقلب على عقبه ورجع ، وتقصد الدار : قصد اليها وتوجه نحوها عن قصد وتصميم حيث وجد مخبئا فى سقيفتها ، اختباء ترصد وأصرار على الاثم .

يبغى القضاء عليك تانى مرة فحماك ربك تانيما ووقاكا (34)
ونخافت الافوام فى خلواتهم ان سوف لا تحى وقد أحيأكا (35)
ودوا لو انتصروا فلما يفلحوا بل أصبحوا صرعى بسيف هداكا (36)
فتحقق الوعد الصريح بنصر من نصر الاله وجل ما اعطاكا (37)
تبت يدا العليوى الذى للفتك عن بعد الديار اناكا (38)
ما كان يخطر ان ينالك معتد لكن بذاك الشر قد فاجأكا (39)

(34) يبنى : يطلب قتلك ، فكان الله فى حمايتك للمرة الثانية كما حفظك فى المرة الاولى .

(35) تحدثوا بصوت خافت خفصوه وأخفوه خشية ان يسمع شأن المتأمرين على ما لا يحبون ان ينكشف شأن أصحاب الجنة الذين تأمروا على جنى ثمارها فى غفلة عن المساكين أصحاب الحق فى صدقاتها كما قص الله شأنهم : « **فَانْظُرُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ الْأَيَّامَ يَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ** » . وكان تأمر هؤلاء القوم أشنع ، لانهم قضوا بالهلاك والموت على وارث من ورثة النبوة وقد قضى الله بغير ما قضوا فقضى باستمرار حياتك ولم يكفهم وجودهم فى (خلوات) حتى أضافوا تخافت الاصوات لانهم تناجوا بالاثم والعدوان ، قال صلى الله عليه وسلم : (والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس) .

(36) ودوا : أحبوا : (ولو) هنا معناها التسنى و (لما) معناها هنا (لم) يفيد مجرد النفى والقلب ، ومعناها الا صلى النفى واستمراره الى زمن التكلم مع توقع وقوع المنفى فى المستقبل ولا يصح هنا لان الشاعر لا يتوقع حصول القتل فى المستقبل ، وأصبحوا : بمعنى صاروا ، وصرعى : جمع صريع : مطروح على الارض ، فعيل بمعنى مفعول ، وقد صرعههم سيف الهدى والرشاد لا سيف البغى والظلم والفساد .

(37) وعد الله صريح فى نصره من نصره مؤكدا بقسمه وبأدوات التوكيد ، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** » ، وقال : « **وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ أَن لَّقَوْنِي عَزِيزٌ** » ، وقال : « **إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** » وجل : عظم وكبر ما منحك آياه ، انه نصره واعظم به .

(38) تبت يدا : خابت وخسرت وقطعت ، والنياب الخسارة والهلاك والفعل ماضى فى الصيغة انشاء فى المعنى لان القصد الدعاء ، وقد أتى الجانى من بعيد لينفذ حكم الاعدام ، فأصله من مجانة دائرة برج بوغريزيج وبدأ سفره من مستغانم ثم ركب من الجزائر فى القطار الذى كان يقطع المسافة بين الجزائر وقسنطينة فى ليلة كاملة أو فى نهار كامل وقد يكون بدأ سفره من مستغانم غربى الجزائر بما يزيد على ثلاثمائة كلم وهذا ما أكدده الشيخ ابن عتيق من الذين عاشوا الاحداث ، فالمسيرة تقرب من 800 كلم .

(39) ما كان يخطر ببال أحد ان يصيبك عدوان معتد لكن الشر فاجأك وجاءك العدوان بغتة وعلى غير انتظار لانك كنت تدعو الى الحسنى : بالثنى هى احسن .

حَقَّتْ جموع الناس تنظر ما جرى وجميعهم بالروح قد فداكا (40)
 ما كان اعظم هوله من حادث زكا نفوسهم كما زكاكا (41)
 كادوا به يسطون لو مكنتهم من قتله لسطو به لولاكا (42)
 لله موقفك العجيب بنهيهم عن قتل من للقتل قد وافاكا (43)

(40) وقد خفت الجموع لتري ما حدث والحال انهم كلهم يعلنون ان ارواحهم فداءك .

(41) (ما) تعجبية نكرة تامة مبتدا - كان زائدة ليس لها اسم ولا خبر ويكثر ان تزداد في مثل هذا الموضع بلفظ الماضي . واعظم فعل التعجب ماض وفاعله ضمير مستتر وجوبا يعود على (ما) وهوله مفعول به ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (ما) هذا هو الصحيح في اعراب الجملة التعجبية ومعناها : شيء عظيم جعل الحادث هائلا ، ويصح ان تكون (ما) موصول والجملة صلة والخبر محذوف تقديره : الذي جعل الحادث مهولا شيء عظيم ، ان هذا الحادث زكى نفسك وطهرها كما زكى نفوس المؤمنين لانه امتحان والامتحان تمحيص من الله لنفوس عباده فمن صبر وثبت فقد فاز قال تعالى : « **الْم • أَحْسِبَ النَّاسُ** ان يُتْرَكُوا ان يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ **اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** » فالحادث امتحان لك وللامنة طهر الله به النفوس .

(42) كاد : أم أفعال المقاربة تفيد ان خبرها قرب من الفعل ولم يقع فاذا كانت منفية فالفعل لم يفعلوه لان الشيخ ابن باديس منعهم من الفتك به فلولا لوقع السطو به ، ولولا حرف امتناع لوجود امتناع قتل الجاني لوجود ابن باديس المجنى عليه .

(43) « لله موقفك » من صيغ التعجب ، مثل : لله أنت ، ولله أبوه ، ولله دره ، وقاتله الله . والتعجب هو التساؤل عما خفى سببه وله صيغتان معروفتان محبوب لهما في كتب النحو هما (ما أفعله) و (أفعل به) مثل قوله تعالى : « **قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** » وقوله : « **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ** » وأشهر اعراب لكلمتي (افعل) وافعل ان كلا منهما فعل ماض وفاعلهما ضمير مستتر وجوبا في (أفعل) والاسم الذي بعد أفعل مفعول به . والمجرور بعد أفعل : فاعل وزيدت قبله الباء لقبح اللفظ وهو اسناد ما صورته الا مر الى الاسم الظاهر ، واذا جاء لفظ التعجب من الله فلا يقال فيه (تعجب) لان الله لا تخفى عليه خافية ولكن يقال فيه : (تعجب) فالله سبحانه يدعو عباده ليتساءلوا . والشاعر هنا يتعجب ويستغرب ما وقع من ابن باديس فقد عفا وصفح عمن جاء يقتله متسلحا بهراوة ومدية وتمكن منه فأسال دمه وأستعد لذبحه ، ثم أصر على اتمام جريمته فترصد له في السقيفة ولما القى عليه القبض كانت الدماء ما تزال تلتطخ وجهه وجبهته وثيابه ، وصار بإمكانه ان يعامله على الأقل بالمثل « **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** » ، « **وَكُنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ** » ومع ذلك فانه عفا عن الجاني بل منع الناس من الفتك به .

علمتهم كيف التحمل للأذى فتعلموا درساً على بلواكا (44)
 ذهبوا به زفا لدار حكومة والكل يحمى فى الطريق حماكا (45)
 طاف الجميع حيال شخصك وابتغوا سببا به يستعجلون شفاكا (46)
 ثم انثنوا بك راجعين وأنت كال بدر المنير تمدهم بسناكا (47)
 لا تجزعن - عبد الحميد - لحادث هز البلاد وحرك الاسلاك (48)
 لك أسوة بالهاشمي (محمد) فاشكر لما رب الورى أولاكا (49)
 وأصبر على ما قد أصابك واحتسب عند الاله الأجر يوم لقاكا (50)

(44) البلوى كالبلية : المصيبة والاختبار ، والبلاء : الامتحان والاختبار ويكون بالخير وبالشر ، قال تعالى : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » .
 (45) من عادة الناس ان يتجمعوا فى مثل هذه المناسبات فضولا فلما أخذت الشرطة هذا الجاني الى (الكوميسارية) صحبوه كما تصحب العروس اثناء زفافها ، ولم يكونوا مطمئنين فى ذهابهم ان يكون أعوان الجاني مندسين (فى الزفة) ليحاولوا اتمام جريمة صاحبهم فكانوا يقظين يحمون حماك ان يصيبك منهم اذى من جديد . ادخل كلمة (ال) على كل ، ولا يصح فى فصيح الكلام .

(46) حيال الشئ : قبالة ، يقال قعد حوله وبحياله : اذاه .
 (47) انثنوا : رجعوا ، وقوله راجعين حال مؤكدة لعاملها مثل قوله تعالى : « **لا تعثوا فى الارض مفسدين** » ، والسنى بالقصر : الضو ، والنور والسناء بالمد الرفعة والعلو .

(48) أكد الفعل بنون التوكيد الخفيفة ، والجزع : الفرع للمصيبة وعدم الصبر لها واطهار الحزن ، الحادث : الامر الواقع العظيم ، أحداث الدهر مصائبه ، وهز الشئ حركه وهيجته للعمل ، والاسلاك : جمع السلك ، الخيط ينظم فيه الخرز وغيره ، ومنه استعير السلك الديبلوماسى وبه سمي سلك الكهرياء ، وسلك الهاتف ، وكلاهما ينظم غيره ومراد الشاعر اشتغال اسلاك الهواتف بنقل الخبر وآلات الاعلام وكانت حديثة العهد فى ذلك العهد نوعا ما .
 (49) اسوة : قدوة واتباع وهذا ما ارشد اليه المولى فى قوله تعالى :

« **لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة** » وقال للمؤمنين : « **قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم** » . والهاشمى هو نبينا عليه الصلاة والسلام : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وقد أودى عليه الصلاة والسلام فصبر ، وأعطى فشكر ، رب الورى ، رب الخلق أولاك : أعطاك المعروف .

(50) الصبر على المصائب من عزم الامور ، جاء فى وصية لقمان لابنه فى القرآن الكريم : « **واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور** » وقد ذكر الصبر فى القرآن ما ينف على مائة مرة ، واحتساب العمل هو طلب الاجر فيه من الله ، ومن دعا الله مخلصا لم يخب دعاؤه ولا رجاؤه ، ومن احتسب اجره على الله فى عمله أوتى اجره بغير حساب كما فى الحديث (من صام رمضان =

فأله قال (لتبلون) وأنت من تدرى حقيقتها ولا تخفاسا (51)
فى ذمة التاريخ افظع حادث قد سجلته على العدى ذكراكا (52)

=إيماننا واحتسابا ٠٠٠ () ومن قام رمضان إيماننا واحتسابا ٠٠٠ () ومن
قام ليلة القدر إيماننا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه () ومن ذلك احتساب
الولد يموت للوالدين .

(51) الخطاب فى قاله تعالى : « **لَتُبْلَوْنَ فى أموالكم وأنفسكم** » للنبي، صلى
الله عليه وسلم وأمثه ، قال الشوكاني : (تسليية لهم عما سيلقونه من الكفرة
والفسقة وليواطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره والابتلاء والامتحان
والاختبار والمعنى لتمتحنن فى أموالكم بالمصائب والانفاقات الواجبة ٠٠٠
والابتلاء فى الانفس بالموت والأمراض وفقد الاحباب والقتل فى سبيل الله) .
وفى تمام الآية : « **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا أذى كثيرا** » ومن أسباب نزولها أن أبى بكر ضرب رئيسا من رؤساء
اليهود ضربة شديدة فشكاه الى النبي، صلى الله عليه وسلم فقال لابی بكر :
« ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله قال قولا عظيما يزعم أن الله
فقير وانهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ،
وانكر اليهودى مما قاله لابی بكر فصدق الله الصديق بقوله : « **لقد سمع الله**
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء » ثم اخبرهم المولى سبحانه انهم ان
يصبروا على البلاء ويتقوا الله فان ذلك من عزم الامور .

(52) فى ذمة التاريخ : فى عهده وضمائه ان يسجله ويكتبه ويخلصه
فانه أهل للتسجيل وفى ذمة الله فى كنفه وعهده ، والذمة من الانسان ما يقبل
الالزام والالتزام ، وافظع : اسم تقضيل من الفظاعة : اشتداد الشناعة والقبح
سجلته : كنيته فى السجل وهو ما تكتب فيه العقود والعهود والاحكام
والصكوك ومهمات الاخبار والآثار ، وقد سجل على الاعداء ليكون فى
صفحاتهم السوداء بينما هو صحائفك البيضاء .

صدي الاعتداء:

فى الله أؤذيت

للشاعر الأديب صاحب الامضاء

وهذه قصيدة أخرى من المغرب الأقصى لم يعلن صاحبها عن اسمه ورمز إليه بامضاء (علوي) ، وقد نشرت فى الشهاب 6 شوال 1345 هـ (الموافق 8 أبريل 1927 م) .

قال : (والقصيدة من بحر البسيط) .

فى خدمة الدين والأوطان والبشر قد نلت ما نلت من مكر ومن ضرر (1)
وفى مقاومة الإضلال قد نصبت لك الحبائل فى سهل وفى وعر (2)
واجمعوا لك (أهل الزيغ) كيدهم جزاء ما نسجت عليك من أثر (3)

(1) هذا مذهب ابن باديس بان من خدم أمته وأراد رقيها والنهوض بها من هذتها وصلاحتها عامل فى خدمة البشرية جمعاء .
(2) الحبائل : جمع الحبال ، والشرائك تنصب للإيقاع بالصيد من الصائد .

(3) أهل الزيغ ان كان منصوبا فهو بفعل محذوف وتقديره اعنى أهل الزيغ ، ويصح رفعه على البدلية أو على لغة (أكلوني البراغيث) وهى التى أشار اليها ابن مالك بقوله :

وقد يقال سعدا وسعدوا والفعل للظاهر بعد مسند
أى يقال سعدا الزيدان ، وسعدوا الزيدون والفاعل هو الاسم المظهر
والالف علامة التثنية والواو علامة الجمع وهى لغة شائعة فى عاميتنا ، تقول :
جاءوا الرجال .

ان البغاة (فلا عاشوا ولا سلموا) قد حاولوا فعلة من أكبر الكبر (4)
 وأرسلوا وفدهم اليك منتقما فلم تساعدهم الاقدار بالظفر (5)
 وجاء أشقاهم اليك مختفيا فكنت من مكره (مولاي) في حذر (6)
 رام اللثام بخبث في نفوسهم اطفاء نور بذاك القطر منتشر (6)
 راموا بك الفتك أقوام أبالسة وما دروا أن أهل الحق في وزر (8)
 واضمروا لك سوءا في نفوسهم فكان فعلهم ضربا من الخور (9)
 فلم ينالوا بحول الله بغيتهم فاصبحوا في حضيض الذل كالبقر (10)
 أنا على رغم بعد الدار قد أسفت نفوسنا وعرانا منتهى الكدر (11)
 فيأبى باديس لا تجزع لحادثة لولا ثباتكم آلت إلى الخطر (12)
 فان من يبتغي انقاذ أمته من المكاره لا يخشى من الغير (13)

-
- (4) البغاة : جمع الباغي ، وقتل النفس التي حرم الله من أكبر الكبائر .
 (5) الوفد : جمع الوفاء القوم يجتمعون ويقدمون على الأمير ونحوه لاداء مهمة وتنفيذ رغبة ، والظفر : الحصول على المراد ، والنصر .
 (6) في حذر : في تحرز واحتياط .
 (7) رام : قصد ، واللثام جمع اللثيم من لؤم : الدنى ، الاصل الخسيس المهين الشحيح .
 (8) راموا بك الفتك أقوام : الاسم هنا مرفوع قطعاً وهو اما بدل من الواو في قوله راموا ، أو نعت مقطوع للذم حذف مبتدؤه وجوبا : هم أقوام أبالسة ، ويجوز ان يكون فاعل راموا ، والواو علامة الجمع ، والوزر : الملجأ ، والجبل المنيع ، ومن ذلك قول الشاعر :
 تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا
 (9) ضربا : نوعا ومثلا وشكلا وصنفا ، والخور : الضعف والارتقاء .
 (10) الحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ضد الاوج ، وجمع حضيض أحضه وحضض .
 (11) أسفت : حزنت وتلهفت ، عرانا طرأ علينا والم بنا الكدر ضد الصفاء والغيظ .
 (12) الجزع : فقدان الصبر باظهار الحزن والكدر ، وليس من أخلاق أولى العزم وآلت : رجعت .
 (13) يبتغي يطلب ويريد ، والغير أحداث الدهر ومصائبه .

- فى الله أوديت فاصبر صبر محتسب
ودم على النصيح والارشاد للبشر (14)
أبقاك ربك محفوظا ومحترما
بجاء خير النورى المبعوث من مضر (15)

(14) فى الله أوديت : فى سبيل الله أصابك القوم بالضرر فاصبر لله صبر من يريد ثوابه الموعود به واستمر فى النصيح لدينك ولكتاب ربك وسنة نبيك وعامة المسلمين ودلالة الناس على الخير .
(15) دعاء بالحفظ ودوام الاحترام ، وهو المهابة ورعى الحرمة ، وخير النورى هو محمد صلى الله عليه وسلم من العرب المستعربة أبناء اسماعيل من ذرية مضر جدتهم .

ذنب ابن باديس ذنب غير مفتقر

هذه القصيدة واردة على الشهاب من بلاد شنقيط، وهي اليوم في موريطانيا وكانت تعرف تلك الجهات ببلاد الملثمين، وليست كل بلاد الملثمين وإنما هي جزء منها وكثير منهم عرب اقحاح، لهذا كاد الشعر - اليوم - يكون سحبة في اخواننا الموريطانيين، وكان من أشهر قبائل الصحراء صنهاجة الصحراوية ووسمت بـ (الصحراوية) تميزا لها عن (صنهاجة التلية) وكلا فسرعى صنهاجة التلية والصحراوية بنوا امجادا في دولة الاسلام، فألى الصحراوية تنتسب دولة المرابطين التي أسسها على تقوى من الله الأمير أبو بكر بمعاونة الفقيه عبد الله بن ياسين، فكانت توسم بحق بدولة الفقهاء لوقوف أمرائها وملوكها على حدود الشرع، وأعظمهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ثم ابنه علي بن يوسف . وأما صنهاجة التلية فهي التي شدت من عضد دولة العبيديين وانقذتهم من سقوط وشيك فعرفوا لها فضلها، واستخلف المعز لدين الله الفاطمي - عند رحيله الى مصر بعد فتحها ونقل العاصمة اليها - أمير صنهاجة القائد العظيم بلقين بن زيري بن مناد، ومن آل زيري تكونت الدولة كاملة تابعة للعبيديين ثم تفرعت منها واستقل عنها كل من الدولة الزيرية الصنهاجية، والدولة الحمادية في بجاية والقلعة، وسطت نفوذها من الحدود التونسية حتى المغرب .

اشتهرت صنهاجة - من القبائل البربرية - بعزتها وكثرة عددها، حتى قيل انها كانت ثلث البربر، وقيل في أصلها انها عربية يمنية كمثل كتامة، وكما قيل في نسب كل قبيلة ملكت وحكمت، والمؤرخون والنسابون مختلفون:

منهم من ينسبهم فى العرب كابن حزم ، ومنهم من ينفيه عنهم، وسواء صحت النسبة العربية أو لم تصح - فان الانسان بعمله لا ينسبه، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه ، ويكفى الصنهاجيين فخرا وشرفا أن يكون منهم فى الأولين أبو بكر ، ويوسف بن تاشفين وابنه علي وحفيده تاشفين بن علي ابن يوسف ، فما منهم الا قائد بطل حامي الزمار كما فيهم بلقين ، والمنصور، وباديس ، والمعز بن باديس الذى أمات البدعة وأحى السنة ، وحماد ودولته ويكفيهم فخرا ان فى الآخرين منهم عبد الحميد بن باديس موضوع حديثنا فانه بعث أمة وكون نهضة وأحى سنة ، وصدق فيه قول الاول :

انا - وان كرمتم احسابنا وزكمت لستنا على الاحساب نتكل
ببني كما كانت اوائلنا تبني - ونفعل (فوق) ما فعلوا
ان صاحب هذه القصيدة كنم اسمه واكتفى بامضاء مستعار هو (غريب)
فقد يكون هو الشاعر الجزائري الفحل الاستاذ جنيدي الكي الذى تغرب فى تلك الايام الى شنقيط (موريطانيا) وقضى فيها أعواما كمعلم وترك فيها أثرا حميدا ، وكون رجالا احتلوا - فيما بعد - مناصب عليا فى بلادهم ، وقد تكون من إنتاج أحد أبناء موريطانيا الأتقاح - والشعر فيهم يكاد يكون سجية - فتكون هذه القطعة من شاعر صنهاجة الصحراوية فى عالم صنهاجة التلية وامامها قد حددت الارتباط بين الوطنيين والاحساس بين الاخوة فى القطرين .

وقد أرسل بقصيدته بعد بضعة أشهر من الحادثة ، ونشرت فى العدد 94 الصادر فى 26 شوال 1345 هـ - الموافق 28 أبريل 1927 م ، تحت عنوان :

ذنب ابن باديس ذنب غير مفتقر

(والقصيدة من بحر البسيط)

- جنى على نفسه (فى ذاتك) الجاني يا بؤسه من ائيم للشقا جاني (1)
سطا عليك ووجه الليل ملتفع شبيه صنعه من قبح وكفران (2)
أدمى فؤاد الهدى لما أراق دما من مهجة نبضها وقف لأوطان (3)
سلاحه مدية وسبحه وعرا وة اخاء - وإيم الله - ذو شان (4)
هذا التصوف فلتسجع بلابله بكل زاوية (خضرا) وديوان (5)

(1) جنى على نفسه : ارتكب ذنبا وجريمة ، والجاني اسم فاعل من الجناية وجان فى آخر البيت من جنى الثمرة يجنيها اقتطفها وتناولها من شجرتها ، والجنى ما يجنى من ثمر أو من غسل ، وبؤسه اشتداد حاجته وفقره ونزول الشدائد به ، والنداء هنا للندبة لانه انما جنى الشقاء من فعلته .

(2) ملتفع : مشتمل ومغطى ، والملفعة ما يتلفع به من مرط أو كساء أو نحوه والشاعر يريد ان الليل قد التفع بظلامه وهذه الظلمة - فى سوادها - شبيهة بفعلته النكراء المظلمة فى قبحها وكفرانها .

(3) نبض العرق : تحرك وضرب ، والنبض علامة الحياة ، فى الانسان وفى الحيوان وأراق الدم : صبه ، ويقال أيضا هراقه ، هراقه صبه - والمهجة : الروح ، ودم القلب، والدم مطلقا ، ووقف : حبس وتبرع ، وكان الشاعر عليم بما فى صدر ابن باديس الذى من أقواله من بعد : لمن أعيش ؟ أعيش للإسلام وللعروبة وللجزائر ، وهذا ما أوقف عليه حياته .

(4) علق الشاعر هنا بقوله : « اخاء المدية والسبحه والهرابة » .

(5) سبغت الحمامة : هدرت ورددت صوتها وغنت ، والبلابل : جمع البلبل : طائر صغير الجثة ، حسن الصوت يضرب به المثل فى طلاقة اللسان وترديد الالحان ، وقد اشتهر عن (المتصوفة) غرامهم بالغناء ، ومن يقنع الغراب أن صوته كربه لا يصلح للغناء ؟ وهذا ما يرمز اليه الشاعر ، يتخذ المتصوفة فى معابدهم قبورا لمشائخهم المتوفين المرتجين عندهم ويكسون تلك القبور بأعلام خضراء ، والديوان : مجلس وهمى يزعمون أن (الصالحين) يجتمعون فيه لتدبير شؤون (الاخوان) أو (الفقراء) أو أحوال (العالم) ويتخذون فيه القرارات الحاسمة فى مصير الناس والعالم !

ما ضر لو كنت للأليم منتقما بكيله وشفيت غل ضمآن (6) لكن عفوت عليه عفو مقتدر لله من شيمة شما وإحسان (7) خابت مساعيه فليخلد بخلوته حتى يرى الحق فى جوار سجان (8) تمت بداه وأيدى الموعزين له فى هدم صرح هدايات وعرفان (9) معنى لتحريره من غيه فابى الا اعتسافا وتأيدا لأدران (10) جهل وتشعيب آراء وشعوذة (باسم الإله) وزور تلو بهتان (11) تلاعب بعقول النش، ترصعة رقص مكاء وعزف إخوان (12) أساطير وأضاليل منمقة كانها السل فى جثمان الايمان (13)

(6) لا حرج على من كال للمعتدى بمثل كيله ولكن العفو أحزم وأقرب **لأخلاق المتقين** . قال تعالى : « وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى » وقال : « وَلَمْ أَنْصَرْ بِعَد ظَلَمِهِ فَأَرْوَيْتُكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ » « وَلَمْ تُصَبِّرْ وَغَفَرَ أَنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُور » والضمآن الصدى العطشان ، وغلة حرارة العطش وشدته .

(7) العفو بعد القدرة من خلق الكرام وقد قدر الشيخ رحمه الله على الجاني عندما التقى الجمهور عليه القبض ولو أرسلهم عليه أو سمح لهم أن يفتكوا به لتطوره أربا أربا ولكنه عفا وصفح وعلم أنه آلة مسخرة ، والشيمة : الخلق والطبقة والعادة ، والشما مؤنث صيغة الاسم وهو ذو الأنفة ، والكريم **ذو الشمم** ، والشمم ارتفاع قصبة الأنف مع حسن وجمال .

(8) علق الشاعر على قوله هذا : (إشارة الى ما يفعله العليوية من البقاء أبنا مسودة فى الخلوة لمشاهدوا الرب) اهـ . وهذا من عبث الشيطان بهم ولموه على ذقونهم وخلد بالمكان أو الى المكان أقام فيه وأخلد الى الأرض لصق بها وقد كانوا يلصقون بالأرض لا يتحولون عنها أثناء خلوتهم ، والشاعر استعمل هذا الفعل خاصة إشارة الى قوله تعالى : « ... لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ » .

(9) الموعزين له : المشيرين عليه والموسوسين له بهذا الشر ، وأوعز اليه تقدم له به وأشار عليه .

(10) علق الشاعر على قوله هنا « الإبيات التالية لأدران مفسرة لها » والذي سعى لتحرير الجاني من غيه وضلاله هو المجنى عليه ، والاعتساف : الميل عن الطريق والعدول عنه والخطئ فيه على غير هدى ، والأدران جمع الدرن : الوسخ ، وداء الدرن هو داء السل .

(11) تشعيب آراء : تفريقها ، والشعوذة أو الشعبة خفة فى اليد وأعمال كالمسحر ترى الشيء للعين بغير ما هو عليه ، والبهتان الكذب المفترى الذى يجعل المكذوب عليه فى حيرة .

(12) الترهات جمع الترهة : الإباطيل والدواهي ، والمكاء : الصغير بالفم .

(13) أساطير جمع أسطورة الخرافة والأحاديث المكذوبة ، منمقة : مزينة ،

وقد نون أساطير وأضاليل للضرورة مزخرفة والسل داء الدرن (البرد) وكان =

يا للضلالة ! كم عاثت بأدمغة كعيث ريح بازهار وافسان (14)
 ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر يدعو لتحطيم انصاب واوتان (15)
 قال الهداية عصما ليس يخطبها من حاد عن نهج سنات وقرآن (16)
 قال السعادة في علم وفي عمل وفي القضاء على سلطان كهان (17)
 قال الرقي الى العقول تحريرها من سلطة الوهم، عين كل نقصان (18)
 قال الجهالة للاحجاء مقبرة قال : التمدن والاسلام صنوان (19)
 دعنا فلباه فتيان غطارفسة من كل (طيب) ذكر نجم فرقان (20)
 شفوا الغليل بحكمة وتؤده وفصل قول يفوق حكم لقمان (21)

= قليلا ما يسلم منه من أصيب به ، وهو أنواع كثيرة أشهرها سبل الرئة ، وما يزال يفتك بالناس ، ولكن اكتشاف جرثومته سهل علاجه . والايمان يقرأ بتسهيل الهمزة .

(14) النداء : هنا للاستغاثة من الضلالة ، يالله للضلالة ، وكم للتكثير ، وعاثت : افسدت والريح لا تكاد تبقى شيئا من الازهار ومن الاعضان .
 (15) النصب : كل ما عبد من دون الله من الاصنام والتماثيل ، وكان حول الكعبة حجارة تنصب فيهل لها من دون الله ، والاوتان : جمع الوثن : الصنم المعبود من دون الله .
 (16) السنة هي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية ، وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو إقراره ، والعصماء : مؤنث الاعصم : الممتنع المزير وقد قصرها للضرورة .

(17) الكهان : جمع الكاهن ويجمع أيضا على كهنة : من يدعى معرفة الاسرار وعلم الغيب ، وعند اليهود وعابدى الاصنام ، والذي يقدم الذبائح والقرايين . وعند النصراني هو من ارتقى الى درجة كهنوت ، وقد قضى الاسلام على الكهانة كلها ، وعلم المسلمين انه لا يعلم الغيب الا الله ، ومن ادعى علم الغيب فقد افتري ، قال تعالى : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » .
 (18) الوهم : ما يقع في القلب من المخاطر ولا يبلغ درجة الشك ولا الظن فهو في الحقيقة لا أصل له مثل توهم ان الحجارة تنفع أو تضر وأكسر نقص في الانسان أن يخضع الى الاوهام فيبعدها حقائق .
 (19) الاحجاء جمع الحجى : العقل والفتنة ، صنوان : أصلهما واحد تفرعا من شيء واحد ، يقال اذا خرجت نخلتان من أصل واحد انهما صنوان ، وكل واحدة منهما صنو .

(20) الغطريف : الشاب الطريف السخي الحسن السيد السرى .
 (21) الغليل العطشان عطشا شديدا ، وشفاؤه في ربه وازالة عطشه ، تؤدة : تمهل من تواد في الامر تمهل وتأنى . والفصل الجد في القول حكم لقمان : حكمة لقمان ، وقد ذكر الله لقمان في كتابه ، قوله ، وقد ربي ابنه على توحيد الله وعبادته لا يشرك به شيئا وطاعته الوالدين والتخلق بسكارم =

فثار عنهم من البغاث ثائرة فكان ما كان من نصر وخذلان (22)
 دام ابن باديس كعبة لدى أمل صاد الى العزة القعساء غرثان (23)
 هو السعودي فلتسعد بطلعته شبيبة القطر من شيب وشبان (24)
 شنقيط 30 شعبان غريب (غريب)

=الاخلاق « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » الآيات .

(22) بغاث الطير اضعفها وأهونها ويسى به طائر أصغر من الرخم بطى الطيران قال الشاعر :

بغات الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقرقلا نسزور
 وفي أمثالهم (ان البغاث بأرضنا تستنسر) وقصد الشاعر ان الذين اجرموا وفاموا خذلهم الله بنصر خصومهم .

(23) صاد : عطشان ، وغرثان : جوعان . والقعساء مؤنث صفة الاقعس وهو العزيز المنيع .

(24) علق الشاعر على قوله هذا : (تشبيه تام - يعنى هو السعودي) اذ أجل الاستاذ من ان ينتسب لغير محمد صلى الله عليه وسلم) اهـ ، وانما اضطر الشاعر ان يعلق هذا التعليق لانه مما كان يرمى به المصلحون انهم (وهابيون) وكان ذلك من خصومهم تنفيرا للعامة منهم لان السعوديين قد هدموا القباب وبنايات القبور ، ومنها ما كان مبنيا على قبر السيدة خديجة ، وحمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عنهم - فاستنكر أعمالهم القبوريون واستغل ذلك ضدّهم أعداء الدولة السعودية الغنية وهابوا ان ترجع للشريعة سيادتها وللعرب دولتهم بالرجوع الى تطبيق احكام الشريعة .

والحقيقة ان الحركة الاصلاحية كانت بعيدة عن الوهابيين والسعوديين ، بل انها كانت أميل الى الحركة التي قام بها جمال الدين الافغانى وتبناها من بعده محمد عبده ومحمد رشيد رضا لامور عديدة منها الاتصال الفعلي بالشيخ رشيد رضا ، وثانيا لانها كانت فى أبعادها حركة دينية سياسية اجتماعية للنهضة الشاملة وحرب الاستعمار ، وقد كان جمال الدين الافغانى أحد المستعمرين ، وهم يعرفون هذا فيه . والجامع بين الاصلاح والوهابيين توحيد الله فى الوهينة وربوبيته وانكار عبادة القبور ودعائها .

وأما بيانه لشبيبة القطر ، وذكر الشيب فيهم فانه يريد بالشباب هنا ما يراد بالفتى فى الشجاعة والبسالة وعزة النفس ولا يكون فتى خامل كسول ولو كان حديث السن يا فتى ، وكانت قريش تسمى حمزة بن عبد المطلب : فتى قريش .

مرحبا بالأستاذ عبد الحميد

هذه قصيدة نفيسة نظمها الشاعر المغربي الكبير الاستاذ محمد القرى الذى كان الشهاب يلقبه بـ « شاعر فاس الكبير » . وكان من حزب الشهاب الاصلاحى بفكرته وقلمه وشعره .

وهى قصيدة لم تقل فى « حادث السطو » فقد مرت له قصيدة أخرى فيه وهى التى طالعها (وقاك الله كيد الخائنين) ولكنها تتكلم عن شخصية ابن باديس وتنوّه به وبالمهمة التى نذر نفسه للقيام بها ، ومنها خدمة أمتيه ودينه ووطنه بواسطة الصحافة الوطنية الحرة الصادقة .

وكانت هذه القصيدة بمناسبة عزم ابن باديس على زيارة القطر الشقيق بصحبة رفيقه وتلميذه الاستاذ أحمد أبى شمال مدير الشهاب وعضده الامين ، وأخذا يعدان العدة لتحقيق هذا الحلم ، فاستبشر بهذا النبأ علماء المغرب وأدباؤه وشبيبته الناهضة ، وأخذوا يعدون عدتهم لاستقبال الضيف معلنين ابتهاجهم – كما تنبئ هذه القصيدة .

ولكن سلطة الاستعمار كانت أشد حذرا من السماح بمثل هذه الزيارة التى تدعم وحدة المغرب العربى ، وتربط بين العاملين لنهضته فمنعت وقوعها، وأبت أن تعطى جواز السفر للاستاذ ورفيقه خشية عواقبها الوخيمة ضد الاستعمار .

وكانت قريبة عهد بفضيحتها الكبيرة فى حرب الريف واثرها على نفوذها فى الجزائر وفى المغرب . ولم يكن يخفى عليها ما تتمخض عنه النهضة العربية الوطنية واليقظة الاسلامية ، وارتباط أطرافها فى الجزائر والمغرب وتونس ،

ومقدار ما يمكن أن تحدثه تحركات ابن باديس في المغرب وفي تونس لوجود طاقات كبرى كامنة فيهما ، وقد اعترف الزعيم المغربي الكبير الشيخ علال الفاسي بأن المدرسة الاولى التي تلقن فيها المبادئ السياسية هي جريدة الشهاب ، وله فيها قصائد ومقالات ، نشرت في هذه السنة التي نتحدث عنها 1927 م ، وهكذا لم تتحقق هذه الزيارة التي كان المتوقع ان يكون لها الصدى الكبير ولم تكتف بهذا الاجراء حتى منعت دخول الشهاب ورواجه في المغرب .

اما تونس فكان الارتباط بها أسهل ، وقد طلب فيها ابن باديس العلم ، ومكث فيها ما بين 1908 و 1912 م ، وشاهد فيها نشوء حركتها السياسية واحداثها ومظاهرات الجلاز وشهداءها عام 1911 م ، وكان من أساتذته فيها الشيخ محمد الصادق النيفر - وهو أحد مؤسسي حركة الدستور فيما بعد - ومنذ ابتداء الحركة الاصلاحية - وحتى في طورها الاول - كان على صلة وثيقة بكثير منهم وكان دائما يعتب على علماء تونس ان عزلهم عن (السياسة) . وفي صائفة عام 1937 م ، زارها ، واجتمع بجمع كبير من العلماء والادباء والكتاب والسياسيين وجرت له معهم محادثات والتقى محاضرات واتصل بشعبها النبيل وحث العلماء الزيتونيين ان يتصلوا - مباشرة - بالشعب وأن يقطعوا عزلتهم وينغمسوا في السياسة والاتصال بالجمامير وأعلن ذلك في محاضرة عامة كان في منصتها الاستاذ محمد الشاذلي بن القاضى وعندما فرغ منها علق عليها وأعلن ان مشائخ الزيتونة قد شاركوا - فعلا - في السياسة الوطنية وأحداثها برهان ذلك ان قاضى الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر - رحمه الله - كان من مؤسسي حزب الدستور .

واذكر أنه لم يمر الا قليل من الوقت حتى رأينا وفدا من علماء الزيتونة يشرع في زيار مدن القطر ويلقى المحاضرات الدينية والاجتماعية في الجمامير وعلى رأسه المرحومان الشيخ المختار بن محمود والشيخ محمد الشاذلي ابن القاضى .

والحق ان علماء الزيتونة قد تأثروا بالسياسة الوطنية وأثروا فيها لا بتلاميذهم وخريجي الجامعة فحسب ولكن بشخصياتهم ، واذكر ان الشيخ الفاضل بن عاشور كان من أعضاء الحركة الدستورية - اثر الحرب العالمية

الثانية - وكان اخطب خطباء الحزب ، كما ان استاذى وصديقى العلامة
البحاثة الشيخ محمد الشاذلى النيفر - عميد الكلية الزيتونية للشريعة
السابق - وعضو مجلس الامة التونسى كان من أول المنخرطين فى حزب
الدستور ومن اعضائه البارزين ، وترشح لانتخابات مجلس الامة اثر
الاستقلال ففاز بالنيابة عن مدينة تونس ولعب دورا أساسيا فى وضع
الدستور الوطنى ، وهو اليوم عضو منتخب فى البرلمان التونسى .

كما انه كان - وما يزال - ذا اثر كبير فى السياسية القومية يقدم الخدمات
الجليلة للاسلام وللوطن بواسطة التدخلات العلنية والاتصالات الشخصية
بالقادة والرؤساء كناصر أمين - والدين والنصيحة - وبوسيلة الاقناع
والتذكير قد تؤدي خدمات أكبر وأجل من الضجيج والتهرج . وكثير من كتاب
تونس وزعمائها تخرجوا من الجامعة أو قرأوا على اساتذتها .

هذه نبذة تاريخية نقدمها أمام هذه القصيدة التى تناولت شخصية
ابن باديس كمصلح وكصحافى حر ، وتكلمت على مهمة المصلح والصحافى
وما ينبغى ان يتحلى به من يريد ان ينهض بأمتة ، وقد نشرت القصيدة فى
جريدة الشهاب عدد 93 الصادر فى 19 شوال 1345 هـ ، الموافق : 19 ابريل
1927 م ، فى باب (روضة الشعر) بمقدمة وجيزة وتحيت عنوان :
(مرجبا) وهذا نص المقدمة ثم القصيدة :

« لا زلنا نسمع من الاستاذ كلمات الاشتياق الى زيارة الديار المراكشية
وقد صبح عزمه فى هاته الايام على السفر ، وما بلغت انباء سفره السادة
المغاربة حتى جاءت عدة كتب فى حثه وتنشيطه .

وجاءت القصيدة البليغة من شاعر فاس الكبير فى الترحيب به وبرفيقه
السيد أحمد بوشمال قبل قدومهما ، فشكرا لاولئك السادة على احساسهم
وكرمهم .

مرحبا بالأستاذ عبد الحميد (والقصيدة من بحر الخفيف)

- مرحبا بالأستاذ عبد الحميد ويوم يزور فيه سعيد (1)
بصديق مرافق لصديق برشيد مرافق لرشيد (2)
سوف يلقي منا وتلقى صدورا رحبت للتبجيل والتمجيد (3)
سوف يلقي منا وتلقى اقبالا دونه جودنا بكل تليد (4)
مرحبا بالمجلسين العزيزين الجديرين بالثناء الحميد (5)

(1) مرحبا : كلمة الاستقبال والتكريم ، واكرام الضيف واجب ، وأوله اظهار البشاشة والابتهاج بقدومه ، والرحب بالضم السعة وهو مصدر ، وبالفتح فالسكون صفة مشبهة : الواسع يقال : مكان رحب ، وأرض رحبة ، ورحب الصدر : طويل الاناة ، والرحبة يسكون وبفتحتين الارض الواسعة ، وما تزال كذلك في لغتنا الدارجة ، وصف اليوم بصفتين : الاولى : الجملة الفعلية ، والثانية سعيد .

(2) الصديق : صيغة مبالغة من الصدق وهو الخل الحبيب مشتق من صدقه المودة والنصيحة ، وفي المثل : (صديقك من صدقك لا من صدقك) مرافق : مصاحب صحبة معاملة بلطف ونفع ، والرشيد : المهتدى المستقيم على طريق الحق ، والرشد : الاستقامة وضده الغي . وقد صدق الشاعر في وصف الرجلين والصلة بينهما كما أعرفها .

(3) يلقي : يصادف ويجد ويستقبل منا ، رحبت : اتسعت ، والتبجيل التعظيم والتكريم ، والتمجيد : الاعزاز والرفعة ، والمجد : العز والرفعة .
(4) جودنا : بذلنا وسماحنا ، تليد : عتيق نفيس ، المال العتيق القديم ، والطارف : الحديث .

(5) مبجلين : معظمين مكرمين ، والعزیز القوى ، والغالى النفيس النادر والغالب والملك كلها من معانيه ، والجدير : الخليق والمستحق للشيء ، الثناء : ذكر الخصال الحميدة بالمدح ، وقد تصدق كلمة الثناء على الدم ، لذا يقال : أثنى عليه حمدا . وقال عنثرة «أثنى عليّ بما علمت» .

من شباب الى المعالي سراع وشباب لكل خير شهود (6)
 من شباب تمثل النبل فهم وهم قائلون : هل من مزيد ؟ (7)
 من شباب على المعالي دؤوب وشباب على الأعادي شديد (8)
 من شباب يسعون سعيا حثيثا لوائام بين الشعوب مديد (9)
 من شباب بهم صلاح بلاد وشباب بهم حياة جدود (10)
 مرحبا بالداعي لنيل معال تمتطى بالتوفيق والتسديد (11)
 مرحبا بالداعي لنيل مخاز - تعتدى بالفتى لنار الوقود (12)

(6) سراع : مسارعين مبادرين ، شهود : حضور غير غائبين : يسرعون
 يبادرون الى المعالي ويحضرون كل خير ولا يغيبون ، والشاهد : الحاضر ،
 ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ منكم الشاهد الغائب » .
 (7) تمثل : تصور ، النبل : الفضل والشرف والنجابة والذكاء ، وهم
 يطلبون المزيد لا يقنعون بما بلغوه وحصلوا عليه لطموحهم .
 (8) دؤوب : صيغة مبالغة لدائب وهو الجاد المستمر في العمل ، والاعادي :
 جمع الاعداء ، والاعداء : جمع عدو وهو الخصم المياعد الساعى في المضرة
 لخصمه ، فالاعادي جمع الجمع . شديد : قوى شجاع قاس .
 (9) يسعون : يمشون بجهد واجتهاد ، والمراد يعملون ، والحديث السريع ،
 كان نفسه تحته على السرعة وتحضه عليها ، اللوائام : الوفاق ، توائم ، توافق
 وتناسب ، مديد : طويل .
 (10) بهم صلاح البلاد لا بغيرهم ، ففي الكلام حصر ، كما ان احياء مآثر
 الجدود بهم وحدهم وكم للجدود من عز ومجد .
 (11) المعالي : جمع مفردة المعلاة : الشرف والرفعة ، تمتطى : تركب ،
 امتطى الدابة ركبها ، والتوفيق : الصواب والاهتداء اليه ، والتسديد التماس
 السداد : الرشاد والاستقامة والصواب .
 (12) المخاز : جمع المخزاة ما يبعث على الخزي وهو الذل والمهانة والفضيحة
 تعتدى : تتجاوز ، لا تعتدوا : لا تتجاوزوا ، نار الوقود : النار المتقدة
 المشتعلة .

وكانت دعوة ابن باديس تهدف الى اصلاح الدين والدنيا ، فصلاح الدين جعل
 شعاره قول مالك « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » وأسلوبه جعل
 شعار فيه قوله تعالى : « ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
 وجادلهم بالتي هي احسن » ثم كانت حربه لكل انحطاط فكري وخلقى وكل
 انحراف في العبادة بالاشراك بالله أو الانكباب على البدع والخرافات ، وهذا
 ما أشار اليه الشاعر في البيتين ، فان من أكبر المخازي الانحطاط الفكري
 والتخلف في مجال الحيا مع أن أمة الاسلام خير أمة أخرجت للناس . والزيغ
 في العقائد يؤدي الى جهنم .

مرحبا بالعظيم بل بالصحافي مرحبا بالزعيم بل بالعميد (13)
مرحبا بالصحافي الحر بالذا هب بالشعب في سماء الصعود (14)
ان تسلى عن الصحافي من هو قلت من يبتنى حياة الخلود (15)
فوق هام العلى بأس معال وبناء على العلوم مشيد (16)
فهو مبدى حقائق الكون للناس بقول أجلى سنا من عمود (17)

(13) الصحافي : من اتخذ الصحافة مهنة له ، والصحافة - فى الاصطلاح الحديث - كتابة الجرائد والتحرير فيها وإخراجها ، والاصل فيها من الصحيفة وهى القرطاس المكتوب وتطلق أيضا فى الكتاب على الورقة بوجهيها ، والصحافي نسبة الى المهنة بكسر الصاد والنسبة الى (الصحيفة) بصيغة الصحفى بفتح الصاد ، واما الضم ، نسبة الى الجمع فلا يصح لان النسبة الى الجمع تكون بارجاع الصيغة الى المفرد ثم ينسب ، والنسبة الى فعلية فعلى والنسبة الى (فعيل) فعلى . والعميد سيد القوم وسندهم ، وهو من الرتب العسكرية فى الجيوش العربية ، والعماد - وجمعه عمد بفتحتين - ما يسند اليه ويعتمد عليه .

(14) الحر من ملك حريته ولم يخضع لسلطة تملكه ، والصحافي الحر هو الذى يتصرف بكل حرية لا يخضع لسلطة حكم ولا حزب ولا هيئة وانما يقول ما يمليه عليه ضميره ومصلحة أمته ووطنه وكذلك التزم ابن باديس فى صحيفته وفى حياته ، ولا يصعد شعب ولا يرتقى الا بصحافة حرة ناصحة لا ترغب ولا ترهب وبصحافيين أحرار شجعان .

(15) الخلود : الدوام والخلد : الدوام والبقاء ، وانما يعتبر الخلود اذا كان فى عزة ومجد وقوة وراحة للامة تكون فيه فى طليعة الامم وأعزها وأقواها دولة وسلطانا والامة الاسلامية - ما تمسكت بالاسلام - خير أمة أخرجت للناس .

(16) الهام : جمع الهامة ، وهى رأس كل شئ ، ورئيس القوم وسيدهم ، ونوع من اليوم الصغير يلزم الخرائب يصوت بصوت كرية تزعم العرب أنه يطالب بأخذ الثأر ، ويسمى أيضا الصدى . والأس : أصل البناء وما يقوم عليه وقاعدته ، والحجر الاساسى أول حجر يوضع فى البناء ، مشيد مرتفع ، قصير مشيد : مرتفع ، ولا شك أن بناء يكون أساسه العلم ومعالي الامور يضمن العزة والخلود لاهله .

(17) فهو : أى الصحافي ، مبدى حقائق : مظهر للحقائق . وهى جمع حقيقة ، الحق ، وهو ضد الباطل ، والحق هو الله سبحانه ، وانما ينجح القوم اذا عرفوا الحق والتزموه ، وتنكروا للباطل وهزموه ، وعبدوا الحق ووحده . والصحافي الحر التنزيه - نصحا لأمته - يلتزم الحق ويقول ولو كان مرا . والصحافي الذى يكذب يخونها لان كذبه يغر بالشعب ويخدع أولى الامر ولهذا قال أبو بكر فى خطبته الاولى « الصدق أمانة والكذب خيانة » . والصحافي الناصح يبصر أمته بالعلوم ، ويكون أسلوبه واضحا مفهوما أظهر من ضوء =

وهو بان حياة مجد لقوم ولقوم هدام مجد وطيد (18)
وهو من يوقف الحياة على احدا ياء شعب عن الرقى مذود (19)
وهو من يبذل النفيس من العمر لاهياء شعبه المنكود (20)
وهو من يقدر الانام ويدري قدر كل من مسيد ومسود (21)
وهو من يبتنى وجودا جديدا فى فضاء رحب وكون جديد (22)
مرحبا بالموفق النذب اهلا بزعيم الاصلاح اسد الاسود (23)

=الصبح - والعمود اراد به الشاعر - كما فسرته بنفسه - عمود الصبح
والسنا - بالقصر - الضوء - ولا ترتقى امة الا بمعرفة حقائق الكون وتسخير
طبيعته لخدمتها .

(18) الصحافى يبنى لقومه حياة المجد - ان استقام ونصح وكان كفوا
لاداء مهمته فان كان ليس بأهل لاداء مهمته ، متطفلا على مهنته ، جاهلا بعمله ،
تسبب فى عدم مجد لهم وطيد ، والوطيد الثابت الدعائم .

(19) يوقف الحياة : يجبس حياته ويخصص أعماله من أوقف ماله جعله
حبسا فى سبيل الله والرقى الصعود . والمذود المطرود المدفوع من ذاده
يدوده : طرده ودفعه وكان المستعمرون حريصين على منع شعبنا من احراز
أى تقدم وصعود فى كل ميادين الحياة ، وخصوصا السياسة والاقتصادية .
وهم لذلك يشجعون الخرافة والانحطاط العقلى والاجتماعى والدينى ، ويحمون
الفساد والمفسدين .

(20) يبذل يعطى ، والنفيس هو المال الكثير ، وهو أيضا الثمين الغالى
المرغوب فيه المتنافس عليه . والمنكود : الممنوع المحروم ، والنكد العسر
والمشقة .

(21) يقدر الانام : يزنهم ويقيسهم - قياسا صحيحا - بمقاديرهم ،
والقدر مبلغ الشئ ، وكونه مساويا لغيره بلا زيادة ولا نقصان . وبذلك أمرنا
كما جاء فى قول عائشة رضى الله عنها « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » وفى
القرآن الكريم : « **ولا تبغسوا الناس أشياءهم** » والصحافى المقتدر يعرف
أقدار الناس ولا يظلم سيذا فيضعه دون منزلته ، ولا يظلم مسودا فيجعل له
فوق مرتبته . وقد شهد عمر بن الخطاب لابي بكر بصحة تقديره ومعرفته
بالرجال ، يشهد لذلك تقديمه لخالد بن الوليد رضى الله عنه .

(22) الفضاء المكان الخلو المتسع ، والرحب المتسع . والشاعر يريد أنه
يجدد حياة أمته ويريد الا تقتنع بما ورثت بل تحتفظ بما فى القديم من أمجاد
وقوة وعزة وتبنى الجديد الطارف وقديما قال أولنا :

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ولما أنشد هذا البيت ابن باديس قال : « ونفعل (فوق) ما فعلوا »
والحمد لله الذى صدق ما توقعه فلم يكن للمتقدمين أساطيل الجو وقد ملكناها .
(23) الموفق : المسدد ، والرجل النذب : السريع الى الفضائل ، والنجيب
الظريف ، والخفيف فى الحاجة اذا ندب اليها خف لقضائها ، وهو الماضى
النشيط . وجمع النذب أنداب .

لأعدمتك مصلحا ونصوحا لأناس على الهوان قعود (24)
 لأناس عن المعالي نيام لأناس عن كل مجد رقود (25)
 قد تساوى لديهم أن يكونوا سادة الناس أو خسيس العبيد (26)
 شأن ضعفى النفوس، شأن الكسالى شأن من ألقوا وخيم الجمود (27)
 شأن من أخلدوا الى الراحة العميا ، واستسلموا الى التقليد (28)

والاسد : ملك الحيوانات وأقواها وأنبها ، ويفتح وسطه ويسكن ،
 ويطلق على الذكر والانثى فيقال : هو الاسد وهى الاسد ، ويشبه به فى
 الشجاعة . والاصلاح ضد الافساد ، وهو وظيفة الانبياء قال شعيب فيما قصه
 القرآن : « **ان أريد الا اصلاح ما استطعت** » . وكان ابن باديس كما وصفه
 الشاعر زعيم الاصلاح ، قال عنه المؤرخ الفرنسى (شارل اندرى جوليان) فى
 كتابه افريقيا الشمالية تسير . انه اقوى شخصية دينية برزت فى افريقيا
 الشمالية . ومع ذلك لم يكن له هذا الطموح وانما حصل له بصدقه .

(24) عدم الشئ، فقده . والماضى اذا دخلت عليه (لا) ولم تتكرر فانه يتحول
 الى صيغة دعاء . فان تكررت (لا) فهو منفى نحو « **فلا صدق ولا صلي ولكن**
كذب » والصيغة فى الدعاء انشاء ، وفى النفى اخبار . والنصوح صيغة مبالغة
 معولة من ناصح الكثير النصيح والهوان : الدل والضعف واحتمال ظلم اللئام ،
 والقعود جمع القاعد الجالس الساكن على الضيم لا يحدثون أنفسهم بالنهوض
 والقيام تأثرين على من ظلمهم ولا يصبر على مثل موقفهم الا الاذلان : غير
 الحى والوتد !

(25) رقود جمع راقد نيام جمع نائم ، ولما كان النائم لا يملك وعيه وهو
 غافل عما يجرى حوله جعل من يصبر على الحالة السيئة التى كانوا فيها مع
 الاخطار المحيطة بهم نياما ورقودا - وكلامه من باب الاستنهاض والدعوة الى
 الاستيقاظ . ومن خطب أمير المؤمنين علي قوله فى جنده « يا شباه الرجال
 ولا رجال » .

(26) السادة : الشرفاء القادة الرؤساء ، والخسيس الرذل الدنىء الحقير،
 والنافه . والعبيد جمع العبد من لا يملك حريته . يباع ويشترى كالمتاع فى
 الاسواق ، وقد يجعل نفسه الخسيس كذلك وان كان حرا .

(27) شأن قصة وعادة وحال ، أو ما عظم من الامور والاحوال عموما وشأنه
 كذا : طبعه وخلته وضعفى : جمع ضعيف ، كضعاف وضعفاء فاقد القوة
 والمريض الواهن . والكسالى جمع الكسلان وهو من فتر نشاطه وتثاقل
 وتوانى . وألف الشئ انس به وأحبه ، وألفه اعتاده وآنسه . والوخيم الثقيل
 البوىء غير الموافق ، الردىء .

(28) أخلدوا الى الراحة ألقوها ولصقوا بها ، أخلد الى الارض لصق بها ،
 والتقليد : المحاكاة . والاتباع من غير نقد ولا تفكير ، وهو مذموم لانه الغاء
 للفكر واستعماله ، والاسلام يأمر باستعمال النظر والتفكير « **أفلا ينظرون**
الى الابل كيف خلقت ٠٠٠ » ، « **كتاب انزلناه اليك مبارك ليذبّروا آياته**
وليتذكروا أولوا **الألباب** » . وأتما يكون الاتباع لسنة نبوية واضحة كتقبيل
 الحجر الاسود كما قال عمر .

فهم ، من اخلادهم فى أسار وهم من تقليدهم فى قيود (29)
 من رأوه فى حالة قلدهم بله فيما يقودهم للكنود (30)
 هم (لعمري) أشباه بله الخنثى أو قروود تشبهت بقروود (31)
 خلّة فيهم : عظيم عليهم نبذها أو يسلسوا فى القيود (32)
 مصلحو الناس فى الوجود قليل وقليل وجودهم فى الوجود (33)
 وإذا هم أنوا - وقد نبغوا - كم ذا يلاقون حقود الحقود (34)

(29) هم أسارى الراحة التى ألفوها فصارت فى طبائعهم ، وهم مكتفون
 مقيدون بتقليدهم ليست لهم حرية الحركة والسعى .
 (30) لما ألفوا التقليد فانهم اعتادوا أن يحاكوا غيرهم فيما رأوه منهم ،
 وقد يكون ما يأتية مضرا بهم وهذا شأن الامم الضعيفة مولعة بتقليد غيرها من
 الامم القوية المتغلبية ، ولو كان فيما ينافى مصلحتها ويؤدى الى مضرتها .
 أو يبطل شريعته وينافى كرامتها، وكلمة بله اسم فعل أمر بمعنى : دغ واثرك،
 والكنود فسرّه الشاعر بأن مراده كفران النعمة . فهم يقلدون غيرهم من الاجانب
 حتى فيما يقود الى كفران النعم .
 (31) بله - هنا - جمع أبله - والمؤنث بلهاء - من ضعف عقله وعجز
 رأيه ، وعيى فى حجته والخنثى . جمع الخنثى وهو من له عضو الرجال
 التناسلى وعضو النساء ، فهو لا ذكر ولا أنثى ، أو هو من الرجال من كان فيه
 لين وتكسر وتثنى ، صورة الرجال وأحوال النساء . والفرد أكثر الحيوانات
 تقليداً ، ويضرب به المثل فى التقليد ، ويشبه به من يقلد غيره دون تفكير .
 والشاعر يقول : لسفه رأى هؤلاء القوم قلدوا من هو نفسه مقلد ،
 وخير مثال لهؤلاء من يقلدون غيرهم فى الالحاد والكفر بالله ! ولو استعملوا
 قليلا من التفكير فى خلق الله لاهتدوا بما نصبه لهم من الآيات . انهم يحاولون
 مسخ أمتهم ، ونسخ شرائعها ، بدعوى التقدم ... ولكن الى الورا !
 (32) الخلّة بالفتح والضم من معانيها الخصلة وتجمع على خلل . نبذها
 طرحها وتركها . أسلسوا قيادهم : انقاد وسهلوا على أسرهم ربط قيودهم
 وأغللهم . والفعل منصوب بعد - أو - والقيود جمع القيد : الكتاف .
 (33 و 34) المصلحون قليل وجودهم فى الدنيا : انهم الانبياء والمرسلون اذا اوحى
 اليهم ، أو العلماء والفلاسفة المفكرون الذين يعيشون لغيرهم لا لانفسهم ويصبرون
 على البلاء والمحن وقد يتنكر لهم أقرب الناس اليهم وقد ينزلهم أقوى الاقوياء
 من البغاة ، ومن شر من يعاديهم الذين حسدوهم وحقدوا عليهم مع اقرارهم
 بفضيلتهم والاعتراف فيما بينهم وبين انفسهم كفعل أبى جهل ابن هشام مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحقد : امساك العداوة فى القلب يتربص
 صاحبها الفرصة للانقضاض على المحقود عليه للايقاع به ، ويجمع الحقد على
 احقاد وحقود ، والحقود صيغة مبالغة محول عن الحاقد . والنبوغ : الظهور
 وكم هنا خبرية يراد بها التكثير .

غير ان الحقود مهما تكن لا تك شيئا امام اسد ربود (35)
 وبعيد ان يجنبوا فى مقام هم قيام على حماء البعيد (36)
 وعزيز عليهم أن يسروا فى بلد ، هم سكانه قبح عيد (37)
 وعظيم سكوتهم عن أمور تصم الدين بالشنار الشديد (38)
 وعظيم سكوتهم عن مخاز هي أعدى من الوباء المبيد (39)
 وقبيح بهم مقام على الذل وان هم أذوا إذاية هود (40)

(35) كثرة أنواع الحقد والحاقدين لا تؤثر شيئا فى عزم ارادة الشجعان الذين اشبهوا الاسود ، والمتريد من اسماء الاسد وأريد لونه تغير والربود لمع سواد فى بياض ، وقوله (لا تك) جواب مهما مجزوم بها ، حذف التون قياسا لتوفر الشروط .

(36) بعيد خبر مقدم والمبتدأ هو المصدر المسبوك من ان والفعل : بعيد جنبهم فى مقام بعيد ، والحمى : المكان المحمى الممنوع على الغير ، والبعيد المراد بعيد المنال .

(37) عزيز عليهم : صعب عليهم لا ينال منهم ، ولا يقلونه ، والعيد : جمع العادة وتجمع أيضا على العادات ، والعاد ، والعيد ، والعوائد وهي ما يعتاده الانسان أى يعود اليه مرارا متكررة ، والقبح ضد الحسن والقبيح ما اتصف بالقبح .

(38) عظيم خبر مقدم مبتدأ سكوتهم ، تصم : تعيب الدين وتلحق به العار والشنار اقبح العيب ، والشديد القوى ، هذا وان دين الاسلام - فى جوهره - ليس فيه ما يصبه ويشينه ، بل فيه كل ما يرفعه ، ويزينه ويعلى شأنه وكل من درسه من مصادره : القرآن والسنة القولية والفعلية والاقرارية لا يملك الا أن يعرب عن تعظيمه والجهر بحسن رأيه فيه وقد يهتدى ويسلم ، ومن عظماء الرجال قوت الالماني وكارليل الانكليزي ، وقارودى الفرنسى وقد أعلن اسلامه ومثله العالم بوكاى وكذلك أتيان دينى اما من يحسب الاسلام هو ما عليه بعض المسلمين فانه يشند نفوره منه ولا يجوز للعلماء السكوت عنه ، وقد روى عن بعض المهتدين الى الاسلام قوله - عندما أطلع على حالة المسلمين - : (الحمد لله ان عرفت الاسلام قبل ان أعرف المسلمين !) .

(39) المخازى جمع المخزاة ما يستحى من ظهوره من القبايح ، هي أعدى أشد عدوى ، والعدوى الفساد وانتقاله من جسم فاسد مريض الى صحيح كانتقال الجرب والسل والوباء كل مرض عام ، والمبيد المهلك مسن باد فنى وهلك ، ومن الامراض امراض معدية شديدة العدوى ، ومنها مالا .

(40) الذل الهوان والصغار ، أذوا : أصابتهم الاذاية ، والاذى الضرر ، والاذى الشديد التأذى والتأثر بالاذى الشديد . اليهود : اليهود ، واشتقاق اسمهم من هاد يهود : تاب يتوب وفى القرآن الكريم « **واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا اليك** » رجعنا اليك ، وقد أفسدت اليهود فكرتهم الامم فكانوا كما قال الله فيهم : « **يقتلون النبين بغير حق ويقتلون** »

وغريب بلادة من فطين وغريب فطانة من بليد (41)
فهم الحاملون للدين حتى ينجحوا أو يغيبوا في اللحد (42)
أنجح الله سعيهم وعداهم لصواب الجواب يوم الورود (43)

= **الذين يأمرون بالقسط من الناس** . وبظلمهم وفسادهم طاردتهم الامم
وأذلتهن ، فالفوا الذل وصبروا عليه ولكنهم برعوا في تدبير المكائد والدسائس
وبذلك ينتقمون من أعدائهم .

(41) من الغرابة بمكان عظيم أن تظهر البلادة من كثير الفطانة وقد يتكلفها
فيتغابي كما ان عكس ذلك غريب ، وهذه نكبة كبرى وقضيحة ، والغريب من
الامر العجيب والشئ غير المألوف ، والبعيد عن الفهم . والبلادة الغباوة وقلة
الفهم وضد الذكاء . والفطين صفة مشبهة من فطن يقطن فهو فطين : الحذق
والذكاء والفهم . والفطانة من الصفات الواجبة ، في حق الانبياء عليهم الصلاة
والسلام .

(42) المصلحون من الناس هم الذين يحملون الدين ويحمونه ويقومون
بمهمتهم الاصلاحية حتى يحققوا اغراضهم أو يسكنوا قبورهم ، واللحد :
القبر ، ونوع منه يحفر القبر ثم يشق في جانبه مكان يوضع الميت فيه .
(43) انجح سعيهم : وفقهم الله في مساعيهم ونصرهم ، وحقق أغراضهم ،
يوم الورود يوم القيامة والورود على الحوض حيث يرد المؤمنون فيسقون من
حوض النبی، صلى الله عليه وسلم . ومن شرب منه لا يضماً جعلنا الله من
الذين يردونه فلا يذادون عنه ، آمين .

ومن ذا يرد سهام القدر ؟

شئنا أن نختم القسم الاخير بهذه الرباعية الرائعة من الشاعر الناثر الاديب الكبير الشيخ موسى الاحمدى نويوات - وان كانت ليست من موضوع الكتاب - الا انها قيلت في تأبين الاستاذ الامام ابن باديس رحمه الله بعد وفاته بوضع سنوات بمناسبة ذكراه التي اقيمت بقسنطينة عام 1947 م . فاذا كانت قد أخطأته سهام البشر عام 1926 فقد أصابته سهام القدر عام 1940 . وهذه مناسبة تشفع لذكرها -

والشاعر الكبير هو (موسى بن محمد الاحمدى نويوات ، ولد سنة 1903 بدوار أولاد علي من ولاية المسيلة اليوم ، وفي الشمال منها ، ولقومه صلسة يقوم الشيخ البشير الابراهيمي في النسب والجوار . حفظ القرآن الكريم ، وأخذ المبادئ الاولى في اللغة والدين بزواية الحاج سعيد بن الاطرش ، حيث تتلمذ على الشيخ محمد أرزقي بن البدوي ، والشيخ يحيى طلبي .

انتقل الى قسنطينة ليسمع من الشيخ عبد الحميد بن باديس لمدة سنتين كاملتين عام 1927 - 1928 م فحقق مراده ، وأخذ عنه العلم ، والتربية الاسلامية القومية . ومن قسنطينة انتقل الى تونس ليأخذ من كبار شيوخها مدة أربع سنوات كاملة هي 29 - 30 - 31 - 1932 م ، كالشيخ عثمان بلخوجة ، والشيخ محمد الزغواني ، والشيخ محمد اللقاني والشيخ عثمان بلمكي التوزري وهو ممن أعلن الحرب على البدع والضلالات ، والشيخ الصدام القيرواني ، وكان ممن يهتم بالشعر ونظمه وعلمه . والشيخ المختار بن محمود من حاملي لواء النهضة الاسلامية الاصلاحية في تونس .

وعاد الشيخ موسى الى وطنه ليشارك في حمل قسطه من اعباء النهضة وبدأ ذلك بانتسابه الى جمعية العلماء والعمل تحت لواء أستاذه ابن باديس ، فأخذ يعلم في (قلعة بنى حماد) العاصمة الاولى للدولة التي أسسها جد الحماديين الملك الهمام ، حماد بن بلقين ، وسكنها عام 400 هـ ، ولم يخرج الشيخ موسى عن تلك الجهات ، فقد أخذ يتردد بين مدنها وقراها مديرا لمدارسها ، مسؤولا عن الحركة فيها .

وكان طول حياته - عاملا نشيطا وعالما وأديبا منتجا ، وشاعرا ناثرا . مسائرا للحركة مندمجا فيها ، متطورا معها . وكان عمله منسجما مع القادة فكان على اتصال متين بالشيخ ابن باديس في حياته ، واتصال كبير مع استاذنا مبارك الملي واتصال عمل مع الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، وأذكر له أنا لما أسسنا جريدة (الشعلة) الثائرة . كان من المشتركين معنا في الثورة وحمل مشعلها .

فلما جاء عهد الاستقلال تابع - في الدولة - نشاطه ، يؤدي واجباته في وزارة التربية كمدير لمدرسة التهذيب القديمة التي أصبحت تكميلية ، كما يؤدي واجباته في وزارة الشؤون الدينية التي قدمته أحيانا لالقاء محاضرات في التلفزة . كما يؤدي واجبه في الانتاج والتأليف ، فقد قدم الشيخ موسى مؤلفات كثيرة طبع بعضها ، وما يزال كثير منها ينتظر النور ، وما قدم منها كان له صدى كبير واثر حسن .

من كتبه كتاب علمي نفيس قدمه - رغم جفاف موضوعه - في عرض أدبي شيق وهو كتاب (المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي) .

ثم ألف كتابه الثاني (كشف النقاب عن تمارين اللباب ، في الفرائض والحساب) وهو تعليق على كتاب لشيخنا الزيتوني الشطبي ، وقد أطلع عليه ، فراقه وأثنى عليه ، ومن أهم كتبه المطبوعة (معجم الافعال المتعدية بحرف) . وكتاب (شرح الاسئلة الرمضانية) . وله سلسلة قصص شعبية أخرجها في أسلوب أدبي رائع منها : بقرة اليتامى ، وسالم وسليم (الاقرع بوكريشة) ، ومحمد ابن السلطان ، والبغلة الحمراء ، والعكر ك ، وفتية الجبل ، واللص والعروس ، الخ . . . وله أيضا كتاب في المطالعة ، وقد طبع .

وله ديوانان أحدهما فى الشعر القصيح ، والآخر فى الشعر الملحون .
وشعر الشيخ - فى كلا الفنين : القصيح والملحون - جيد جدا يبلغ فيه القمة
ولاشك انه يخدم العربية بنشر ديوانيه أجل خدمة .

وقد قيل فى تأبين الشيخ ابن باديس شعر كثير منذ وفاته حتى اليوم ،
وقد اخترنا أن نقدم هذه القصيدة لبيان عواطف أبنائه نحوه وحسرتهم عليه
بعد سبع سنوات من وفاته ، ولما كان الشيخ موسى من أبنائه وطلبته فهو

أهل لتمثيل هذه العواطف .

(ومن ذا يرد سهام القدر ؟)

قال الشيخ موسى : والقصيدة من بحر المتقارب .

شبابَ الجزائر : ماذا الخنوعُ وما لرفيرك بين الظلوعُ
وما لعيونيك تذري الدموعُ بعيشك - يا نشء - قل ما الخبرُ ؟ (1)
أمن أجل بدرك لم يطلعُ أمن أجل غيثك لم يهَمَّعِ ؟
أمن أجل برقك لم يلَمَّعِ جزعتَ وجدتَ بتلك الدُرَّرُ (2)

(1) شباب الجزائر منادى مضاف ، سقط منه حرف النداء . والخنوع والخضوع والذل ، يقال خنع له واليه : ولا يكون من العبد الا لله . وفى قنوت الصبح (ونخنع ونخلع لك) أى نخضع ونذل لك وننخلع عن أعمالنا وصفاتنا السيئة . والزفير اخراج النفس مع مده . وزفير النار صوت توقدها المسموع . وحركة التنفس (زفير وشهيق) وهما ادخال النفس واخراجها . ذرت العيون الدمع صبته وأرسلته . وإنما تتوالى الزفرات ، وصب الدموع ممن ذهبته نفسه حشرات ، فعلى أى شئ كان يفعل ذلك شباب الجزائر سنة 1947 م ؟ لقد أصيب بنكبات : مات عشرات الالوف من شبابه فى معارك حرب عالمية عادت بالقوة والضراوة على المحتل ، ومات عبد الحميد زعيمه سنة أربعين ، ثم لحق به الميلي عام 1945 م ، ثم استشهد خمسة وأربعون ألفا من أمته عام 1945 م ، والشاعر يعلم هذا ولكنه يريد أن يقرره ليفكر بنفسه ، ثم عين له أحد هذه الاشياء التى هى موضوع القصيدة الشاعر ومراده .
(2) البدر القمر ليلة اكتماله ، ليلة 14 من الشهر ، يستمر طلوعه من أول الليل الى آخره هاديا للسائرين ، مسامرا للساهرين ، فاذا غاب لعله ما أوحش مترصديه .

وكان ابن باديس بدر الشباب . والغيث المطر النافع يحيى به الله الارض بعد موتها . وهمع الغيث سال ولمع البرق : أضاء وتلألأ ، والبرق نور يلمع فى السماء على اثر انفجار كهربائى فى السحاب . وإنما تكون هذه علامات =

لقد كان عهدي ببدر السَّمَا تُلُوحُ أشعته في الحمى
ويهدي السُّرَاة إذا ما سَمَا فتحمدُ بعد المَسِير السُّمُر (3)
وعهدي بغيثك يسقي الرُّبَا فتخرجُ من زهرها أضرباً
فطابت وطاب لها مشرباً وفاح أريجُ شَذَاهَا العَطِر (4)
فأين دليلك قل يا شيبابَ وأين غداً ضوءُ ذاك (الشَّهَابِ)
أفي عالم النَجْم أم في التُّرابِ تغيَّب ذاك السنَّا واستتُر (5)

=مبشرة بان العام مخصب فيفرح الفلاحون ويستبشر الشعب ، فاذا لم يلمع برق ولم يهطل مطر جزعوا ونزلت دموعهم كالدرر . والشاعر جعل ابن باديس كالبدري ، وكالغيث النافع ، فلما مات افتقدوه وبكوه جزعين .

(3) السما قصره للضرورة ، وذلك شائع في الاستعمال ، والحمى المكان المحمي المنوع لغير أهله ومن قوله (ص) : « كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه » . والسراة جمع الساري وهو الماشي الطريق ليلا ، والسرى والسريان سير الليل ومن أمثلة العرب (عند الصباح يحمد القوم السرى) يضربونه في احتمال المشقة رجاء الراحة ، سما : ارتفع . والسمر حديث الليل ، وسمر لم ينم وتحديث ليلا .

(4) الربا جمع الربوة مثلثة الراء : ما ارتفع من الارض وفي القرآن الكريم في عيسى وأمه : « وآويناهما الى رُبوة ذات قرار ومعين » : مكان مرتفع ، والمعين الماء الجاري في العيون ، وأضرب : أنواع مختلفة ، فطابت الربوة ، وطاب الغيث مشربا لها فزهت ، وفاحت الازهار انتشرت روائحها . الاريح الرائحة الطيبة ، والشذى : قسوة ذكاء الرائحة ، والشذو المسك وريحه ، والعطر صفة مشبهة من عطر يعطر كمعلم يعلم : تطيب ، والعطر الطيب مطلقا والعطار بائع العطر ، والحرفة العطارة والمعطار والمعطير صيغة مبالغة ومشربا تمييز .

(5) الدليل : المرشد الهادي ، وجمعه الادلة والادلاء ، ودله يدلّه دلالة أرشده وهداه . والدليل البرهان المرشد . غدا : ذهب غدوة ، وهو هنا بمعنى صار ويعمل عملها ، والشهاب : الكوكب عموما وكل مضيء متولد من النار ، ومنه شهاب السماء المعد لرجم الشياطين ، قال تعالى في شياطين الاستماع : « فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ » أى نجم مضيء . (والشهاب) مجلة عبد الحميد بن باديس التي كان يرجم بها ، وفيها الدجالين في السياسة والدين ، برزت عام 1925 م واختفت باعلان الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 م . ولما كان محل (الشهاب) السماء فقد وري عن ذلك وتساءل : أين اختفى ؟ أفي عالم النجوم أم في عالم التراب (فان الصاعقة المتولدة من الشهاب تنزل وتختفي في التراب) والسنا الضوء .

وما البدر والغيث إلا العميد ومن همته في المعالي بعيد
أبو النشء والشعب عبد الحميد فقيد الجزائر ذاك الأبر (6)
بـ (سيرتا) . رسول الفنك زاره وأنشأ في العلم أطفاره
أصاب القضاء فيه أقماره ومن ذا يرد سهام القدر ؟ (7)

(6) عميد القوم سيدهم وسندهم ، همه قصده وعزمه ، يقال له همه عالية ،
وهو بعيد الهمه ومن الشواهد :
له هم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
والفقيد الذي فقد فأحس الناس بغيابه واختفائه وترك فراغا من بعده
قال أبو الطيب رحمه الله :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنك وخفق البؤود
لا كما قد حيت غير حميد وإذا مت مت غير فقيد
والابر : أفعل تفضيل من البر وهو الاتساع في الاحسان ، والبر ضد
الفجور قال (ص) : « البر حسن الخلق » . ولم يكن عبد الحميد الا كما وصفه
الشاعر فقد كان شديد البرور بالنشء وبكل أبناء شعبه ، يحب لهم الخير ،
ويجتهد في ايصاله اليهم برا بهم .

(7) سيرتا - أو قرطه - هي مدينة قسنطينة . وهو اسمها في عهد
الفيقيين ، أطلق عليها الرومان اسم امبراطورهم قسطنطين معتنق النصرانية
وأبقاه العرب كعادتهم في عدم تغيير الاعلام ، كانت في الجاهلية عاصمة المملكة
المستقلة والملوك العظام مسينيصا وابنه مصبيسا ، ثم كانت بعد الفتح من
قلاع العروبة والاسلام . وهي عاصمة النهضة القومية العربية الاسلامية
الحديثة ، لان ابن باديس بدأ بها أعماله ، وأعلن دعوته منها .

ورسول الفناء : هو ملك الموت الذي وكل بقبض الارواح والفناء ، العدم :
فني يفني فناء عدم ، والفناء خلاف البقاء وهو من صفات المخلوقات والمحدثات
فكلها الى الفناء ، والبقاء من صفات الله وحده قال تعالى : « كل من عليها فان
 ويبقى وجه ربك » ، والفناء بالكسر : الساحة أمام البيت وجمعه أفنية .
أنشأ في العلم - في ذى العلم - أطفاره ، غرز فيه مخالبه وعلقه ولم يفلته
ولا استطاع أن يتخلص منها ، ذلك قضاء الله وقدره ومن ذا الذي يرد سهام
القدر ؟ لقد استطاع عبد الحميد أن يقاوم المعتدى العليوى مساء يوم 14
ديسمبر 1926 م ، واستطاع الناس أن يلقوا القبض على المعتدى بعد أن
اكتشفوا مكان ترصده لان أجله لم يحضر ، ولكن لم يستطع أحد أن يدفع عنه
سهام القضاء لما جاء مساء يوم الثلاثاء 16 أبريل 1940 م ، لان الله كتب على
خلقه كلهم : « اذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون » .

وراحَ السَّدى كَانَ كَالْمَشْرِعِ وَائِي السَّدى مَدَّ

إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ لَمَّا دُعِيَ وَكَانَ السَّدى لَيْسَ مَدَّ

فَكَمْ ذَادَ عَنْ شَعْبِهِ مِنْ خُطُوبٍ فَظَائِعُهَا الْمُرُّ تُدْمِي الْقَلْدَ

وَكَمْ ذاقَ فِيهَا الْعَذَابَ ضُرُوبٌ وَكَمْ ذَا تَأَذَّى وَكَمْ ذَا صَبَّرَ (9)

فَكَمْ حَارَبَتْهُ جِبَاةُ الرُّفَاةِ وَحَدَّتْ لَهُ فِي الدُّجَى الْمَرْهِفَاتُ

فَبَدَّدَ أَحْزَابَ تِلْكَ الْجُفَاةِ وَعَفَّ عَلَى جِلْفِهِمْ إِذْ قَدَّرَ (10)

(8) راح : ذهب وولى ، والمشرع : مورد الشروع للشارعين . يقال شرع يشرع - كقطع يقطع - فى الماء دخل فيه أو شرب بكفيه منه ، وشرع الماشية أوردتها الماء ، وأى للاستفهام وكرع فى الماء مد عنقه وتناول الماء من موضعه - الى رحمة الله متعلق براح - وكان تامة بمعنى وجد وحضر ، والذي لا مفر منه هو الموت « كل نفس ذائقة الموت » . وليس فى الجزائر من لم يشرب من مشرع عبد الحميد مباشرة أو بواسطة .

9 - كم فى هذا البيت وما بعده خبرية وأريد بها التكرير : ذاد دفع وطرد والخطوب جمع الخطب ، وهو الشأن وغلب استعماله للامر العظيم المكروه . وفى القرآن الكريم : « ما خطبك يا سامري » ؟ . وقد خرج السامري بقوم موسى من توحيد الله الى عبادة العجل الذهبى ، فظائعهاج فظيعة شنائعها ، آثارها مرة تؤلم القلوب وتؤذيها . ضروب : أنواع ، وأصناف ، تأذى لحقه الاذى وأحس به ، وصبر : ضبط النفس وتحمل ما يكره دون جزع.

(10) الجبابة جمع الجابى اسم فاعل من جبى يجبى وجبا يجبو (وأوى ويأئى) وهو الذى يجمع الخراج ويقال للخراج المجبى ، والرفات : العظام المكسورة المنفقة والفعل منه رفت من باب ضرب وقتل انكسر واندق ، وحدت له - مضت وسنت والمرهفات الحوادث الماضية القاطعة - والجفأة جمع الجافى الغليظ القلب الجافى الطبع والجلف الغليظ الطبع .

والشاعر يريد أن الذين حاربوه بكثرة هم جبابة القبور والعظام البالية وعبادها العائشون على جمع الصدقات والندور المقدمة للقبور ، فطالما تأمروا عليه فى ظلام الليل ، وحضروا للفتك به أسلحة رقيقة الشفرة فبدد جمعهم ، ثم عفا عن الانتقام حتى ممن سفك دمه وأراد ذبحه .

وكم نثر الدُرَّ في (الأخضر) وكم فيه أخرج من عبقرى
 تراه الى السَّبْق اذ يَنْبَرِي يحورُ الرهانَ ويجني التَّمَرُ (11)
 شبابٌ يحسنُ الى الصَّالِحَاتِ ويصبُو - بشوقٍ - الى المَكْرُمَاتِ
 ويسمُو - بِغَايَاتِهِ - للحياةُ ومن طلب الحقَّ يوماً ظَفِرُ (12)

(11) كان يلقي دروسه في الجامع الأخضر . وقد بنى في قلب المدينة
 العربية من العهد التركي للعبادة وبث العلم تم بناؤه عام 1156 هـ بناء حسن
 بآي رحمه الله . فلما منع الشيخ من الجامع الكبير سنة 1913 م ، طلب أبوه
 - بعد رجوعه من الحج - ان يؤذن له في الجامع الأخضر . عام 1332 هـ - 1914 م ،
 ثم حاولوا اخراجه منه بعد عشرين سنة ، أوغزوا لامامه الشيخ الورع بلقاسم
 ابن عزوز أن يخرج من مقصورة الجامع التي جعلها الشيخ مكتبا لتحضير
 دروسه وكتابة مقالاته فأجابهم : انه هو الذي سبقني اليها ، وأبى أن
 يرتكب هذه الحماقة . وكان الشيخ يؤدي صلاة الجمعة بالجامع كما
 كان يشرع في التعليم به ابتداء من انتهاء صلاة الصبح الى القاء درس التفسير
 من بعد صلاة العشاء ، وتارة يقرئ درسا آخر بعد التفسير كما كان يفعل
 عام 1930 م ، اذ يلقي درسه في القوانين الفقهية لابن جوزي . وقد أخرجت
 دروسه كثيرا من النفع الذين يصدق عليهم وصف (عبقرى) لو أنبرى منهم
 أحد للمسابقة لحاز الرهان وجنى الثمار ، ومنهم شاعرنا فقد سبق الشاب
 - مرارا - في الاجابة عن أسئلة مسابقة رمضان فحاز السبق دونهم وحسب
 بسبقه ، ومن عباقرة تلاميذ ابن باديس الذين تخرجوا من دروسه : مبارك
 الملي ، والزاهري والسنوسي ، وعبد السلام السلطاني ، والغسيري ، والصادق
 حماني ، والفضيل الورتلاني ، ونصر الدين ناصر ، وباعزيز بن عمرو . الخ .
 ولا نذكر الا الموتى ، وكثير منهم أحياء . وثمرة مثل هذا السباق طيبة حلال

(12) حن الى الشئ وصبا اليه اشتاق اليه ومال نحوه وعطف اليه .
 والصالحات جمع الصالحة ، وصف حذف موضوعه الاشياء الصالحة والاعمال
 والاقوال الصالحة ، وانما يكون الفلاح والنجاح للذين يعملون الصالحات قال
 تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ » وقال : « وَالْعَصْرِ
 ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » والمكرمات ج .
 المكرمة فعل الكرم والخير من الكريم يسمو : يعلو ويرتفع . والغايات جمع
 الغاية التي تجمع أيضا على غاي ، وأصلها الراية تنصب وتكون نهاية السباق
 فالواصل اليها أولا هو السابق . وظفر فاز بالشئ وناله .

لَأَجْلِكَ - يَا نَشْرُءُ - كَانَ الْفَقِيرُ
يَكْدُ لِنَحْيَا وَتَبْقَى سَعِيدُ
وَتَرْجِعُ ذَاكَ التَّرَاثَ التَّلِيدُ
تَرَاثٌ جَسَدُودٍ كَرَامٍ قُسِرُ (13)
فِيَا نَشْرُءُ - سَعِيداً وَكُنْ ذَا ثَبَاتُ
وَهُنَّ سَرَاعاً إِلَى الصَّالِحَاتِ
فَهَا هُوَ رَكِبُ بُكَاءِ الْحَيَاةِ
يَغْذُ الْمَسِيرَ فَكُنْ فِي الْأَنْسَرُ (14)

(13) لاجلك : بسببك ، وأصله مصدر أجل : جلب شراً ، ثم استعملوه في
تعليل الشر ، ثم أطلق على سبب كل عمل فيقال : من أجلك ولأجلك . وفي
التنزيل - بعد قصة ولدي آدم « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ »
الآية . يكْدُ يعمل بجِد ، ويلج في الطلب ، ويشتد في العمل . تبقى هنا
بمعنى تصير ، في المعنى وفي العمل - التراث اسم مصدر من ورث ورثا
- بكسر الواو وفتحها - وارثا وتراثا والمراد به هنا ما ورث عن الهالكين قال
تعالى : «وَتَاكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا» والتلید : القديم العتيق ، والطارف الحديث
الجديد قبر : دفن ، وسبب دفنه قصور الخلف وتطاول الزمن . ومكاند العدو .

(14) سعيا مفعول مطلق نائب عن فعله : أى أسع سعيا ، وهو في العربية
من صيغ الامر والسعى المشى بسرعة والعدو نحو الغاية ، والمراد كن جادا في
سيرك . والثبات الدوام والاستمرار والمواظبة ، ولا يكون النجاح الا مع
الاستمرار في العمل قال الله تعالى : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا » ، وقال صلى الله
عليه وسلم : « أحب العمل الى الله أدومه وإن قل » ، وهذا الحديث مما سمعناه
من شيخنا رحمه الله . وهب الرجل من النوم : استيقظ وانتبه وأسرع ،
والبغاة ج . الباغي هنا يعنى الطالب من بغى بغاء وبغية الشيء طلبه ، لا من
بغى الرجل اذا عدل عن الحق ، وبغى عليه اذا استطال عليه وظلمه فهو باغ
والجمع - أيضا - بغاة ومن هذا قوله تعالى في قارون : « فَبَغَى عَلَيْهِمْ » استطال
عليهم . ويغذ المسير : مضارع أغذ السير وفي السير أسرع - كن في الاثر
اتبع طريقهم التي ساروا عليها لتصل بهم وتسير في ركبهم .

وحسبك من راحل خلف خبير ، بنشر اللغى كلف
له شمل شعبك يا تلف فكُن تحت رايته تنتصر (15)

(15) حسبك : كافيك ، والحسب الكفاية والغناء يقال (بحسبك درهم)
أى كافيك ، وفى الحديث الصحيح (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه
المسلم) أى إذا احتقر أخاه فقد بلغ الكفاية من الشر والراحل هنا عبد الحميد
ابن باديس ، والخلف : بفتحين الخليفة ، والولد الصالح يخلف أباه ويسد
مسده والمراد به هنا الشيخ البشير الابراهيمي الذى خلف ابن باديس فى
الرئاسة وقيادة ركب النهضة • وكان مثل ابن باديس فى الكفاءة والخبرة ،
وهو مغرم جدا بنشر اللغة وأدائها شديد الغيرة عليها • به ياتلف شمل الشعب
ويجتمع ، وكان الامر كذلك فقد اجتهد كثيرا أن يوحد الصفوف فجمع اخوانه
فى الجمعية ، كما اجتهد أن يقضى على مضار الحزبية ، اثر خروجه من الاعتقال
عام 1943 م . وتم ذلك عام 1944 م ، فتكون حزب واحد تحت اسم (أحباب
البيان والحرية) ثم كانت أحداث 8 مايو 1945 م ، وعاد الاختلاف والشقاق ،
وما زال - رحمه الله - واخوانه يعالجون الامر بالحكمة والموعظة الحسنة ،
رغم الصعوبات الجمة ، والاذاية الشديدة من بعضهم . وفى باريس تمكن القوم
من جمع الشمل من جديد واجتمعت الاحزاب سنة 48 - 1950 م ، من أقطار
الشمال تحت رئاسته هنالك وتم الصلح • وفى عام 1951 م ، تكونت
بالجزائر جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها وكان للمشائخ الابراهيمي
والنبسى ، وخير الدين أعظم الآثار فى تكوينها والمشاركة فى أعمالها حتى
بدأت الثورة والوحدة تامة والانسجام كامل • ثم كانت الحكمة العظمى فى
قرار الجبهة بدعوة الجميع الى الجهاد دون مراعاة الماضى خيرا كان أو شرا فمن
استجاب فهو (الوطنى) ومن أبى فهو الخصم • فراية الابراهيمي هنا المراد
بها : راية اجتماع الشمل والاتحاد ، والعمل الصالح للبلاد والعباد ، وليست
راية حزب قد يصدع الوحدة ويفرق الشمل وتنتصر - مجزوم فى جواب
الطلب ، تفز وتظفر بالمعنى وتقهر الاعداء ، وجاء النصر - والحمد لله
- حضرناه وقطفنا ثماره •

خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب فى فصول

الفصل الأول - اثر الصنهاجيين آل باديس فى إحياء السنة وإماتة البدعة :

1 - آن لنا أن نضع القلم ، ونختم ما أردناه من هذا الكتاب . وما خطر ببالنا - عندما بدأناه - أن يبلغ حجمه هذا المقدار ، ولكننا أحببنا أن نعطى صورة واضحة عن هذا الحادث الجلل الذى دبر فى تلك الظروف العسيرة لا ضد شخص ، ولكن ضد نهضة أمة استيفظت من نومها الطويل ، وأرادت أن تصلح أمور دينها ، ودنياها لتحي فوق الارض مثل غيرها من الامم .

فلا يعلم الا الله ماذا كان المآل لو حققوا غرضهم ، وتم لهم ما أرادوه . وطننا بالله وثقتنا فيه أنه كان سيهى، لها ظروف النهضة بشكل آخر وشخصيات أخرى ، فقد كانت الحركة الوطنية السياسية آنذاك 1926 م ، فى اختمار وتكون ، وان كانت خارج الوطن . والنهضة العربية والتربية والتعليم ، والاصلاح الدينى والاجتماعى - وذلك ما أداه العلماء - من ضروريات النجاح فى الحركة السياسية والثورة الحربية . وقد شاهد القراء أن وقوع هذه الحادثة فى تلك الظروف الحالية كان من الاحداث الحاسمة التى أيقظت النائم ، ونبهت الغافل، واستنهضت الخامل، وفتحت الاعين وصححت الاحكام ، وعرفت الامة بمن يعمل لصالحها وايقاظها ويضحى من أجلها فأصغت لمقاله ، وتفهمته ، ووازنت بينه وبين غيره ، فالتفت حوله وأهملت غيره، فأسرع الحادث بالنهضة ، وكان ما أصاب ابن باديس فى بدنه من محنة شبيها بما أصاب العلماء الائمة قبله ، ومصادقا لقوله تعالى : « السَّمِ أَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » ، وقوله تعالى : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ



الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

المجاهدين منكم والصابرين » ولقد امتحن – من قبل ابن باديس – الأئمة الاربعة فى أجسامهم : أبو حنيفة ، ومالك بن أنس ، والشافعى ، وأحمد ابن حنبل فما زادتهم المحنة – التى أصابت كل واحد منهم – الا ايمانا وصبرا وثباتا ، وصدقا ، وشهرة ورفعة بين الناس ، واحتراما من الاجيال .
والحق أن ابن باديس منذ هذا الحادث وشأنه فى ارتفاع ، وأمره فى اقبال وأمر خصومه فى تول وادبار ، من ذلك الزمان ، وحتى الآن .

2 – قدمنا الكتاب للطبع ، وما فيه ترجمة للامام الرئيس عبد الحميد ابن باديس ، لان الكتاب كان – فى حقيقة أمره – جزءا من حياة النهضة ، وحادثة واحدة من أحداث كثيرة ، كما لم يكن فيه تعريف بشخصيات لعبت أدوارا مهمة فى حركته أثناء حياته أو من بعد مماته .

ولكن تبين لنا أن هذا سيكون نقصا فيه ، وما دام الكتاب قد طبع وحده ، فهو وحدة كاملة ، ولا بد أن يعرف قارئه قدرا كافيا عن ابن باديس وحزب الإصلاح وبعض رجاله الذين أبلوا معه فى ميادين الجهاد البلاء الحسن ، وهذا ما سنذكره فى هذه الخاتمة وربما كان دون وثائق ، لان الامر بها سيطول ، ولكن للمعلومات صحيحة مأخوذة من أفواه الثقات أو من المشاهدة والشهادة .

3 – أما عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس فانه سليل عائلة ابن باديس الصنهاجية ، ينتسبون الى جدهم الاعلى المعز بن باديس بن المنصور ابن بلقين بن زيرى بن مناد بن منقوش ، أمير صنهاجة التلية عاصمتهم الاولى أشير . والمعز أشهر ملوك الدولة الصنهاجية تولى الملك اثر وفاة أبيه – فى حصار (قلعة بنى حماد) حيث ثار بها عمه حماد عام 406 . وكانت عاصمة ملك المعز مدينة عقبة ابن نافع (القيروان) ودام المعز فى ملكه خمسين سنة الى أن توفى رحمه الله سنة 456 هـ . والى هذا الملك الهمام يرجع الفضل فى اقرار مذهب أهل السنة بمملكته ، وطرد بدع مذهب الشيعة الباطنية الاسماعيلية التى تركها العبيديون الفاطميون ببلادنا – كالقول بالامام المعصوم وبحلول الله فى جسم الانسان ، وبتأليه الأئمة ، وشتى الصحابة كأبى بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، وكالزيادة فى النداء للصلاة (الاذان) وتعذيب العلماء وجبرهم على قول البهتان ، واعتقاد الزيغ والضلال . كل ذلك أبطله المعز

ابن باديس ، وقطع علائقه مع خلفاء الفاطميين بمصر ، وقد تأله بعضهم كالحاكم بأمر الله ، وملأوا الدنيا فسادا وضلالات ولكن هذه القطيعة كلفتها غالبا اذ أرسلوا على مملكته الاعراب ، وأقطعوهم مدنها وقراها فتسبب مجيئهم فى ذهاب قوة دولته وخراب ملكه وبلاده وهياها لغزوة النورمان الصليبيين الذين تغلبوا - فيما بعد - على صقلية واستولوا فعلا على بعض أجزاء افريقيا ومنها المهدية عاصمة الدولة نفسها ، وكانت صقلية تحت سيطرة الاسلام وتحكم من افريقيا وقد فتحت منها (1) .

4 - بعد زوال دولة الصنهاجيين - أواسط القرن السادس الهجرى - بذهاب دولتهم الزيرية بالمغرب الادنى ، والحمادية بالمغرب الاوسط ، واستيلاء دولة الموحدين على كامل المغرب مع جزء من الاندلس سكن فرع من آل ابن باديس مدينة قسنطينة احدى عواصم المغرب الاوسط وقد اشتهرت بجو ثقافى علمى منذ القديم .

وأقبل أبناء هذه العائلة على العلوم والمعارف ، وإذا كان مجد الحكم والملك قد تنكر لهم ، فإن العلم والثقافة والفكر سوق يقبل كل الناس ، واستعاضوا عن دولة الحكم بدولة العلم ، فالامارة فيه والسيادة أعظم غناء وأفضل عاقبة . واشتهرت هذه العائلة فى قسنطينة بالفضل والعلم والمشاركة فى الحياة ، الاجتماعية العامة ، وأمدت الادارة المحلية باكفاء الرجال منذ القرن الثامن الهجرى ، فكان منهم العلماء ، والقضاة والمفاتي والاداريون ولا يمر بقسنطينة رحالة الا ويذكر بعضا من هؤلاء .

كذلك كانت أثناء العهد الحفصى ، ثم أثناء العهد العثماني حتى نهايته . فلما جاء العهد الفرنسى كان منها بعض النواب فى المجالس التى ينتخبها الشعب ، وقد قدم الشيخ ابن باديس - فى أحد اعداد الشهاب - عريضة للنائب السيد حميدة بن باديس ورفاقه فى مجلس نيابى يشكون من مظالم

(1) فتحت على يد أسد بن الفرات قاضى القيروان عام 213 هـ ، وكانت تابعة فى الحكم لوالى القيروان ، فلما انتقل العبيديون الى مصر نزعوها منه وجعلوها تابعة لهم راسا ، فافتكها منهم النورمان عام 484 وصاروا يهاجمون دول المغرب منها ، واحتلوا المهدية حتى طردهم منها عبد المؤمن بن علي ، عاشر المحرم عام 555 هـ .

أصابته الامة ويطلب وزملاؤه رفعها . كما كان من أشهر قضاة قسنطينة أثناء هذا العهد الشيخ المكي بن باديس - وهو جد عبد الحميد بن باديس - وله نوادر ما تزال مروية بقسنطينة .

ويذكر الكولونيل بلبيدر - أحد أركان الادارة الفرنسية عن هذه العائلة الباديسية أنها كانت تمت الادارة بأعظم الرجال كفاءة أثناء الحكم الاسلامي ، فلما جاء العهد الفرنسي كان شأنها كذلك في نبوغ أفراد منها في الادارة ثم يقول : ولكن العجيب الغريب أن الضربة القاضية على سياسة فرنسا في الجزائر - يعنى سياسة الاندماج - جاءت على يد أحد أبناء هذه العائلة ، وهو عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، جاء هذا في تقرير سرى تركه بالولاية العامة واطلعت عليه سنة 1964 م ، عندما كان مدير مكتبتها صديقي الاستاذ محمود بن نيني .

الفصل الثاني - عبد الحميد بن باديس وتكوينه :

5 - ولد عبد الحميد بن محمد مصطفى ابن الشيخ المكي بن باديس بمدينة قسنطينة في الاسبوع الثاني من ربيع الآخر 1307 هـ ، الموافق يوم 4 ديسمبر 1889 م ، وأمه السيدة زهيرة بنت السيد على الاكليل بن جلول . وهى عائلة من أعظم العائلات النبيلة بالمدينة . وقرأ القرآن على الشيخ محمد ابن المداسي ، وتلقى المبادئ الاولى في العلوم على مشائخ أشهرهم المربي الكبير الشيخ حمدان بن الونيسي ، وهو الذي رباه وحببه في العلوم ووجهه الوجهة الصالحة قبل أن يهاجر الى المدينة (2) . والشيخ حمدان من تلاميذ الشيخ

(2) عالم من زعماء الحركة الاسلامية في الجزائر ، هاجر الى الحجاز سنة 1908م واستقر بالمدينة المنورة يدرس بالمسجد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام. الى ان التحق بجوار ربه عام 1920 م - أثنى عليه مفتي الديار المصرية الشيخ بخيت وقال عنه ذلك الرجل العظيم - وقال عنه أستاذ الجيل في مصر الاستاذ لطفى السيد لما أدى فريضة الحج عام 1911 م ، ما يلي :

... « أما نحن فقد كنا نغشى الوقت بعد الوقت درس الاستاذ الكبير الشيخ حمدان الونيسي مدرّس الحديث والبيان بالحرم الشريف ... » .
(عن كتاب الهلال العدد 131 - شعبان 1381 هـ - فبراير 1962 م ، ص : 128 - 129 - وكتاب معجم اعلام الجزائر لعادل نويهيض حرف الواو ، ص 346) م . ع . بستانجي) .

عبد القادر المجاوى الذى نزل بقسنطينة عام 1868 وارتحل عنها الى المدرسة الثعالبية عام 1896 وقد بنى نهضة وقد ترك تلاميذ كثيرا فى كامل الوطن اعظمهم قدرا الشيخ حمدان رحمهم الله . وقد ولد المجاوى بنلمسان ، وطلب العلم بالمغرب قبل أن يحل بقسنطينة . وكان أبوه محمد مصطفى بن باديس يشتغل بالفلاحة وبالنجارة ويحفظ القرآن ويحب أهله ، وكان يحب ولده حبا جما وهو الذى سهر على تربيته وكان الشيخ يبر به كثيرا ويحسن اليه .

6 - حاول عبد الحميد أن يلتحق باستاذة مهاجرا الى المدينة فمنعه أبوه، ثم أذن له أن يهاجر الى تونس فى طلب العلم ودخول جامعتها (جامع الزيتونة) فالتحق بها عام 1908 م ، وأخذ فيها عن كبار علمائها ، ومنهم قاضى الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر - الذى شارك من بعد مشاركة فعالة فى انشاء الحركة السياسية التى قادت تونس الى الاستقلال - وهى الحزب الحر الدستورى - والشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام ، وحامل لواء اصلاح التعليم بالجامعة الزيتونية من بعد ، وقد بلغ الزيتونيون فى عهده عشرات الآلاف وأسست له فروع فى الجزائر . ومنهم الشيخ محمد النخلى القيروانى أحد رجال التفسير والاصلاح الدينى ، وأعظم مشائخ ابن باديس تأثيرا فى نفسه وحسن توجيهه نحو كتاب الله وفهمه . والشيخ بلحسن النجار مفتى تونس ، ومن كبار علمائها النبغاء . وأثناء دراسته بتونس جرت أحداث حسام ، وبدأت الاصطدامات بين الشعب التونسى وبين القوات الفرنسية الغاشمة ، وفى عام 1911 نزل الشعب الى الشوارع وسالت الدماء أنهارا . ولا بد لذلك أن يترك طابعه فى نفسيته الشابة ، ولذلك كانت أول مظاهرات شعبية فى الجزائر - وقعت فى أهم المدن الجزائرية من أجل اغلاق المساجد فى وجوه العلماء الاحرار - كانت بدعوة وقيادة العلماء عام 1934 م ، وكانوا فى طليعة المتظاهرين وحملوا على ذلك النواب ولعل هذا ما يعنيه المؤرخ الفرنسى الشهير شارل اندرى جوليان فى كتابه (افريقيا الشمالية تسير) اذ يقول : (العلماء هم الذين أيقظوا الرأى العام الاهلى الذى كان كمحكوم عليه بالاعدام فى بيت ينتظر التنفيذ) .

7 - أنهى عبد الحميد دراسته الجامعية بتونس عام 1912 م ، (3) وعاد الى الجزائر ، وفى نفسه أن يكون فى الجزائر ما فى غيرها من الاقطار : بأن تكون لها معاهد علمية يجد فيها أبناؤها ما يرحلون لطلبه فى تونس أو المغرب أو مصر ، وكان الاستعمار قد قضى على معاهدنا العلمية . وأن يكون لها حركة تضمن لها حسن مصيرها كجزء من أجزاء الامة العربية ، وكشعب من أمة الاسلام الكبرى . وبينما كان فى تونس . سقط الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني ثم هاجمت إيطاليا الصليبية طرابلس الغرب - بكل وقاحة - وشرعت فى احتلالها . وقد جعلت مقاومة عنيفة من أهلها شبيهة بمقاومة شعب الجزائر وفى سنة 12 تألفت دويلات البلقان ضد دولة الخلافة الاسلامية واقتطعت كثيرا من أطرافها ، وقال السياسى الانقلىزى الحقود غلادستون (ما أخذه الصليب من الهلال ، فلن يرجع الى الهلال) . وفى هذه السنة أيضا - عام 1912 م - سطت فرنسا على دولة المغرب وأجبرت سلطانه على أمضاء معاهدة الحماية .

ورغم كل هذه الهزات الرهيبة التى أصابت عالم الاسلام فانها لم تفت فى عضد ابن باديس أو تدخل اليأس على قلبه بل دفعته لبدء حركته مؤمنا بالله متوكلا عليه . وانتصب فى المسجد الكبير بقسنطينة للتعليم الذى كان يؤمن أنه الوسيلة القوية لبث الوعى فى الشعب ، وضمان يقظته واستعداده الصحيح لآخذ حقه فى الحياة بيده وتحقيق رغباته ، وكان من شعاراته قول شوقى رحمه الله :

(3) نشرت جريدة « المشير » التونسية فى عددها الصادر فى 6 أوت 1911 م . اسم الطالب عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس ضمن اسماء الطلبة الزيتونيين الذين نالوا شهادة التطويع من الجامع الاعظم فى نهاية السنة الدراسية (1910 - 1911 م) وكان ترتيبه الاول بين جميع الطلبة الناجحين ، كما كان الطالب الجزائرى الوحيد الذى تخرج من الزيتونة فى تلك الدورة . (كتاب النشاط العلمى والفكرى للمهاجرين الجزائريين ، ص 21) . ويتبين من هذا أن ابن باديس مكث بتونس للتدريس بعد تخرجه - فكان يدرس ويدرس ؛ ومن تلاميذه الشيخ عبد السلام التونسى أحد كبار العلماء . م . ع . بستانجى «

فعلّم ما استطعت لعل جيلا سيأتى يحدث العجب العجبا
وأدركناه يقول : أما العجب فقد رأيناه ، ونحن ننتظر العجاب ! ولو عاش
الى اليوم لراه . (كان هذا البيت لشوقى مكتوبا بخط جزائرى كبير على
كراريس تلاميذ مدرسة التربية) .

وكان يؤمن أننا يجب أن نعتمد على أنفسنا ونتوكل على الله . لكن
الاستعمار لم يكن نائما عنه ، ولن يرضى عن حركة تكون خارجة عن مراقبته،
لهذا سلب عليه مفتى قسنطينة الشيخ مولود بن الموهوب - ليمنعه من حرية
القاء الدروس فى الجامع الكبير . ومع أن الشيخ ابن الموهوب - عفا الله عنه -
كان مصلحا فى تفكيره ومنهاجه وكان ذا قدم راسخ فى الادب شعرا ونثرا -
فانه لم يسعه الا تنفيذ تعاليم الادارة الاستعمارية . وذلك ضعف منه وقلة
ايمان وثقة بالشعب ، فارسل اليه من أطفاً عليه الضوء ، فلما أصر الشيخ على
القاء دروسه وأمر طلبته بان يصحبوا معهم الشموع فى اليوم التالى أرسل
اليه أحد أتباعه (الحاج القريشى) فاعلق كتابه ، وأطبق دفتيه عليه . كما
أخبرنى المرحوم السيد عمرو بن جيكو (4) .

8 - ومن جديد فكر فى الهجرة من الوطن نهائيا . فاستأذن من أبيه أن
يسافر الى الحج فى موسم سنة 1331 هـ ، الموافق 1913 م ، فاذن له .
فغادر قسنطينة فى رحلة طويلة وفى المدينة المنورة لقي علماء عظاما ، منهم
شيخه حمدان الويسى الجزائرى ، والشيخ حسين أحمد الهندى وألقى دروسا
أمامهم فى الحرم النبوى . كما لقي الشيخ الوزير التونسى ، ولقى أيضا علامة
الجزائر وأديبها الشيخ محمد البشير الابراهيمى . وتذاكر معه كثيرا - كما
قص الابراهيمى - فى مستقبل الجزائر .

وكان قد أبدى رغبته أمام الشيخ حسين أحمد المدنى الهندى فى البقاء
بالمدينة ، فنصحه - لما توسم فيه - أن يعود الى وطنه قائلا : (أرجع الى وطنك

(4) من رجال الصناعة الكبار ، ومن المكونين لمجمعية التربية والتعليم ، كان
يصرف كثيرا من ماله فى المشاريع العامة وله مواقف محمودة أثناء الثورة
يجد ثوابها عند الله الكريم ولد فى 6 ديسمبر 1900 م ، وتوفى رحمه الله
فى 2 أوت 1982 م .

يا بنى فامثالك هنا كثير يغنون عنك ويقومون مقامك ، ولكنهم فى وطنك قليل ، وخدمة الاسلام هنالك أجدر بك وأنفع له من بقائك هنا) . ولما عزم على الرجوع أخبره شيخه أنه سيرخص له فى التدريس ، وأخذ عليه العهد الا يتولى الوظيفة ولا يتخذ علمه سلما لاغراضه الدنيوية – فوفى بعهده وعرج – فى رجوعه – على مصر فلقى فى القاهرة مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعى فأجازه ، ثم لقي فى الاسكندرية كبير علمائها الشيخ أبا الفضل الجيزاوى – الذى تولى من بعد منصب شيخ الجامع الازهر – فأجازه أيضا وكانت طريقة الاجازة هى المعمول بها – من قديم – فى العالم الاسلامى، وتجزى للمجاز أن يروى عن شيخه علومه .

الفصل الثالث – الى العمل :

9 – بمجرد أن عاد الى مدينة قسنطينة فى ربيع سنة 1332 هـ (1914م) شرع فى التعليم بجد واجتهاد ونشاط . متطوعا لا يسأل على عمله أجرا من الناس ، ولا يقبله .

فالدروس العامة – ومنها التفسير والحديث – كان يلقيها فى الجامع الاخضر وقد استطاع أبوه – الذى كان نائبا – أن يحصل له على رخصة من كاتب الولاية . ودروس الطلبة كان يلقي بعضها فى مسجد (سيدى قموش) – وهو مسجد لعائلته يوجد بوسط المدينة، وقد جدد بناؤه من بعد، عام 1924م – وكان يدعو هؤلاء الطلبة اليه ، ويسافر لاستجلابهم – كما قص علينا الشيخ الهادى السنوسى فى كتابه (شعراء الجزائر) بأنه زار بلادهم عام 1917 م ، لهذا الغرض ، أى بعد نحو عامين ونصف من شروعه . وكان يبث فيهم أفكار الإصلاح، أما الصبيان – تلاميذ الكتاتيب القرآنية – فقد كان يلقي عليهم الدروس فى كتابين اثنين : الاول : كتاب (سيدى فتح الله) برحبة الصوف، والمعلم به القرآن الشيخ صالح الجنان من أحبائه ومريده ، وهو والد صديقنا الشيخ عبد الحفيظ صويلح الجنان(5) رحمهما الله أحد أركان الحركة الإصلاحية

(5) ولد ونشأ بقسنطينة وتلقى دراسته على ابن باديس ثم سافر الى الزيتونة لتمامها فتوفى والده رحمه الله وترك له عائلة كبيرة فانقطع وخلفه فى التعليم . ثم حصل على وظيفة فى الجامع الاخضر وبسبب مواقفه الوطنية عزل من منصبه =

بقسنطينة ، والثاني : كتاب الزاوية القادرية (سيدى عبد المؤمن) بوسط المدينة القديمة . ولم يكن يعمل دون تخطيط ، بل خطط لإعلان الدعوة العامة وقدر لها 10 سنوات .

كانت هذه الفترة من أخصب فترات حياة الشيخ ، وكانت مليئة باحداثها التاريخية الجسام ، فقد انتهت فيها الحرب العالمية الكبرى بانتصار الحلفاء واستسلام ألمانيا في 11 نوفمبر 1918 م ، وانكسار الدولة العثمانية حليفها . وإذا كانت دول الاستعمار الكبرى قد خرجت منتصرة فان شخصية (ولسون) الرئيس الأمريكى فرضت نفسها وقد زرع فى العالم مبادئه الاربعة عشرة ومنها حق الامم فى تقرير المصير ، ورأت فيها الشعوب الضعيفة بصيص النور . وانهقد مؤتمر السلام فى باريس (فى فرساي) وبعثت كثير من الشعوب مندوبين عنها لعلهم يستطيعون أن يحصلوا لشعوبهم - من الذئاب - شيئا من الحرية أو السلام ، ولكن كانت الخيبة نصيب الجميع ، ورجعت أمريكا الى قارتها وعادت الى عزلتها ولكن الشعوب لم تخلد الى اليأس وبدأت تعمل لتحرير بلادها ، وافتكاك حقوقها على طريققتها،ومنها الشعب الجزائرى .

10 - فى أثناء هذه الفترة تأسست جريدة النجاح بقسنطينة - أسسها أحد المتخرجين من الزيتونة (الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى) عام 1919 م ، وتولى رئاسة تحريرها أحد تلاميذ الشيخ ، السيد اسماعيل مامى من عائلة ابن عبدى الشهيرة ، والمتصلة بالصهر بعائلة ابن باديس ، وأخذ الشيخ ينشر فيها مقالاته بامضائه الصريح أو بامضاء رمزى (العيسى) والعيسى نسبة البطل العصامي عنتر بن شداد ، ثم هو من الحروف الاولى لاسم ولقب عبد الحميد ابن باديس وكانت النجاح - أولا - ذات نزعة وطنية ، ولكنها لم تثبت أمام الترغيب والترهيب كثيرا ، فارتدت فى أحضان الاستعمار وتمونت من الصندوق الاسود ، وصارت تبوح بأسرار كتابها ، ثم صارت تهاجم كل حركة اصلاحية وطنية ، ولم تفلت من خصومتها جمعية العلماء من بعد،ولا كتاب

عام 1938 م ، ثم أخرج من كتاب سيدى فتح الله وبرخصته - فى تعليم القرآن - احتتمت جمعية التربية تلك السنة وتولى ادارتها ثم ، تولى مراقبا فى معهد ابن باديس ، ثم توفى رحمه الله بعيد الاستقلال وكان خطيب الجمعة فى جامع صالح باى حتى وفاته فى 8 أوت 1963 م ، رحمه الله .

النهضة العربية الاسلامية - واختنقت هذه الجريدة عام 1957 م ، لكنها - والحق يقال - لم تهاجم الثورة . بل اختنقت بحرمانها معاونة الصندوق الاسود بعد امتناعها من مهاجمة الثورة .

وفي هذه الحقبة أيضا عاد من الحجاز قطبان من أقطاب الحركة الاصلاحية هما : الشيخ الطيب العقبي الذي عاد سنة 1920 م ، والشيخ محمد البشير الابراهيمى ، وكلاهما هاجر مع عائلته الى الحجاز فرارا من التجنيد الاجبارى واستقرا بالمدينة المنورة حيث أنما دراستهما وتأثرا بأفكار الاصلاح . وتسلحا بسلاح مقاومة الجمود والركود ، وشاركا فى النهضة والدعوة الى اليقظة والاستعداد . وكلاهما كاتب شاعر خطيب داعية ، فكانت عودتهما ربعا عظيما للنهضة، واستقر العقبي بمدينة بسكرة يعظ ويرشد العامة ويلقى الدروس على الخاصة ، واستقر الابراهيمى بولاية سطيف - وكان يتردد بين الجزائر وبين تونس ويخف الى مجالسه حيثما كان - فحول الادباء والمفكرين والعلماء والكتاب والشعراء فيجدون عنده ما يغذيهم وينعش ارواحهم ، ويبهج نفوسهم؛ فقد كان الابراهيمى العالم المحدث ، والاديب المنتج ، والكاتب المفكر والشاعر المبدع ، والخطيب المصقع ، والمحدث اللبق والوطنى الاسلامى المتحمس بل المتطرف مع فكر وروية واخلاص ، وسعة صدر على مضرب المثل فكان يأتي داره - فى رأس الوادى - ولاية سطيف من ذكر من سائر أنحاء الجزائر وحتى من تونس - وممن كان يزوره بانتظام صديقه ابن باديس .

الفصل الرابع - أجمعية الإخاء أم جمعية العلماء ؟

11 - فى عام 1924 م ، تمت المدة التى حددها ابن باديس لإعلانه الدعوة العامة ، وفى رحلة من رحلاته الى رأس الوادى لقي الابراهيمى - أو فى سطيف - فحدثه بمشروعه وهو أنه يريد أن يؤسس جمعية تحت اسم (جمعية الاخاء العلمى) تتكون أولا من علماء قسنطينة (6)، وحدثه عن أغراضها،

(6) كان يوجد - آنذاك - منهم : الشيخ مولود بن الموهوب والشيخ الطاهر ابن زقوطة ، والشيخ الزواوى بن الشيخ الفقون والشيخ أحمد مرازقة (الحبيباتنى) والشيخ البوعونى . والشيخ يحيى الدراجى ، والشيخ ابن المطماطية .

وطلب منه أن يضع لها قانونا أساسيا فاستجاب الابراهيمى للدعوة ووضع القانون ، وعرضه عليه فأقره واتفقا عليه ولكن التجربة باءت بالفشل ، لان اغلب العلماء - ان لم يكونوا كلهم - مرتبطون بالوظيف ، قليلو الثقة بالعامه ، والاقبال على عمل الجماعة .

فاقتنع ابن باديس بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة وطنية وفكر فى وسيلة تضمن لها البقاء والحرية والاستقرار ، فكون أولا مطبعة جزائرية اسلامية وأعضاؤها من تلامذته النابهين المخلصين يعملون فيها بأنفسهم ، وكان أعضاء المطبعة الجزائرية الاسلامية هم عبد الحميد بن باديس ، وأحمد بوشمال ، و خليل (الزواوى) بلقشى واسماعيل الصحراوى ، وعبد الحفيظ الجنان ، ثم انسحب هذا الاخير لضيق ذات يده ، وقام بها الآخرون . وقد بلغنى أن الشيخ رحمه الله قد استعان بذهب زوجته وابنة عمه تبرعت به عليه لانه لم يكن ثريا ، وقدمته له عن طيبة نفس وإيمان بعظمة مقاصده .

وبعد أن ضمن لصحافته المطبعة - حتى يأمن الضغط عليها - أصدر صحافته الاولى فالشيخ يعتبر من مؤسسى الصحافة والطباعة العربية الوطنية فى الجزائر .

وكانت الصحيفة الاولى (المنتقد) برز العدد الاول منها يوم عيد الاضحى من عام 1343 هـ ، الموافق 11 جويلية 1925 م ، وكانت فتحا جديدا فى الصحافة العربية فى سلامة العقيدة ، واسلامية المنهج وفصاحة التعبير وفى الوطنية الصادقة . وقد جعلت شعارها (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شئ) .

وقد عاهدت أمتها على خدمتها فى الاصلاح الدينى والديوى « السياسى » ولكن السلطة الاستعمارية لم ترض عن لهجة (المنتقد) التى أخذت تهدم قلاع الجمود والتحجر والجحود وتعلن الدعوة الى الحق ونيله والوصول اليه ، فاصدرت أمرا باغلاقها بعد بروز 18 عددا منها ، وصدرت اثرها (الشهاب) فخلقتها بسرعة ، واحتضنت مبادئها وأفكارها ، وافسحت صفحاتها لاقلام كتابها . فى المبدأ الدينى أعلنت الجريدتان أنه (لا يصلح آخر هذه الامة

الا بما يصلح به أولها) وفى المبدأ الدينى أن (الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) .

ولم يصلح أول هذه الامة الا بتمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلح آخرها الا بذلك ، لهذا يجب التمسك بهما ، كما يجب اعلان الحرب على الدجل والخرافات والبدع والضلالات ، وتنبيه الامة الى الاخطار التى تهددها مما يروجه بعض أصحاب الطرق والزوايا فى اتباعهم، ومن شر هذه البدع نشر أفكار الباطنية التى منها دعوة الحلول ووحدانية الوجود. وكان شيخ العليوية هو فارس دعوة وحدة الوجود قد أصدر ديوانه منذ 1920 وقد احتوى على ضلالات وكفريات فهاجمه كتاب المنتقد والشهاب وكشفوا خطره ورد ابن باديس على (شطحة) منه أذى فيها رسول الله (ص) وهى موضوع رسالة : « جواب سؤال عن سوء مقال » فاعتبروا ابن باديس مسؤولا عن كشف (الشيخ) وأرسلوا اليه من حاول الفتك به فى 14 ديسمبر 1926م، فنجا من كيدهم-» .

وفى المبدأ الدينى كتب الشهاب على نفسه والمنتقد قبله أن يعلن أن من حق الشعب الجزائري أن ينال جميع الحقوق التى يتمتع بها جميع الساكنين بالجزائر وما داموا قد اشتركوا فى القيام بجميع الواجبات ، فليس من الحق أن يطلب منهم التنازل عن مقومات شخصيتهم من دين ، ولغة ، وجنسية لينالوا حقوقهم . لهذا رفضت الشهاب فكرة الاندماج ، وقالت فيها ما قاله مالك فى الخمر ، وهاجمتها وهاجمت أصحابها مهاجمة شديدة ، وعدت الاندماج هو الموت الحقيقى، وفضلت الحياة مع الجمود والخرافة والتأخر والانحطاط - على حياة راقية مع الاندماج اذا كان لابد من التخيير بينهما لان الاندماج ميتة شاذة. فالشهاب - وصاحبها ابن باديس ، وحزب الاصلاح أول من هاجم فكرة الاندماج الجزئى كما جاء به برنامج فيوليت ثم بلوم - فىوليت - أو الكلى كما دعا اليه آخرون فى الثلاثينات ، ورد عليهم بالكلمة الصريحة ، وكل هذا وقع قبل مجيء الحركة الوطنية السياسية الى الوطن وانتصابها للعمل به .

12 - فى عام 1349 هـ ، الموافق 1931 م ، تم ما عسر مثله عام 1924 م ، فتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ذلك أن فرنسا احتفلت فى

1930 م ، بمرور قرن على احتلالها الجزائر ، ورأى الشعب من مظاهر التحدي والهوان والاستفزاز والاذلال أشياء كثيرة ، وقبل التحدي وتوجه نحو المقاومة واتخاذ الموقف الذي يغيظ الكفار ، وكانت الدعوة لتأسيس الجمعية مستمرة وخصوصا فى مجلة الشهاب . وتأسست لجنة تحضيرية ، ووجهت الدعوة الى كثير ممن يصدق عليهم لقب عالم فى عرف الجزائريين ، فاجتمعوا يوم 17 ذو الحجة عام 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، واجمعوا على تأسيس جمعية تحت اسم (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كما أجمعوا على انتخاب الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيسا لها . وقد وضعوا لها القانون الاساسى وصادقوا عليه وجاء نصه على مقتضى قانون الجمعيات غير السياسية ، ونص فيه على أن الجمعية لا تشغل بالسياسة وذلك شرط فى الترخيص لها بالوجود . وحتى لا يصدق عليها ما يشترط فى تأسيس الاحزاب السياسية .

وكان يوم انتخابه للرئاسة غائبا بمدينة قسنطينة وقد حدثنى الشيخ محمد خير الدين أنه لم يحضر الاجتماع من أوله بتواطؤ معه وتدبير الجماعة حتى يمر الحادث بسلام لانه لو حضر من أول الامر لتنبهت الى خطورة الجمعية بعض الدوائر ، وصنعت المكائد لعدم اتمامه فكان من التدبير الحكيم لنجاح المشروع الا يحضر الا بعد أن يتم التأسيس ، وكان فى المجلس الاول بعض من ترضى عنهم هذه الدوائر . ويمكن أن تعتمد عليهم .

ويؤيد هذا أنه بعد سنة من ذلك - حاولوه - بكل مساومة والترغيب وبالترهيب أن يتخلى عن رئاسة الجمعية أو يعتزل التدريس، وليختر واحدة منهما فقط ، ويقال أنهم ضغطوا على أبيه الذى كان فى أزمة خانقة ووسطوه للضغط على ابنه، فأبى أن يصنع واحدة منهما ، فابتدأوا فى الضغط الشديد على الجمعية ولكن لم يجدوهم نفعاً . وسارت القافلة والكلاب فى نباح مستمر .

13 - حاولوا أن يستولوا عليها ليحولوها الى (برودة) من برادهم أو ينضموا عليها، وتواطأ معهم الامى عمر (7) اسماعيل الذى حشر نفسه فى اعضائها

(7) كان من اقرباء العاصمة ، فزين له غروره أن يكون فى « طليعة الايمان ، وتظاهر بالاحسان ، ورصد جائزة بألف فرنك لمن يوفق لتأسيس جمعية للعلماء ، ولما تأسست فرض نفسه رئيسا للجنة الدائمة واستدعى للاجتماع م - بيرانت عدو المسلمين اللدود . ثم طرد من الجمعية فى الظروف التى بينهاها .

مع العلويين وشيخهم فتفطن الجماعة لغرضهم ، وفوتوا عليهم الامر وسلمت الجمعية فأسسوا لها (جمعية علماء السنة) واشتعلت الحرب بين الفريقين ، عنيفة ، ودامت نحو سنتين ثم اختفت هذه الجمعية من الوجود ، فابتدأت الحرب سافرة بين الادارة الاستعمارية وبين نشاط الجمعية والعلماء الاحرار ، وكانت الادارة من قبل تعمل من وراء الستار .

منع الشيخ العقبي من التدريس بالجامع الكبير من طرف والى الولاية ، وأرسلت التعليمات الى سائر الولاة ورؤساء الدوائر لمنع العلماء من المساجد ومن المعلوم أن المساجد كان بعضها تحت تصرف الحكومة الفرنسية (مع أنها حكومة لا تكي لا حق لها في التدخل في شؤون الديانة المسيحية ، ولا اليهودية ولكنها احتفظت بحق التدخل في شؤون الديانة الاسلامية ، واستولت على أوقافها لتعمر المساجد بمن تريده لا بمن يعمرها عمارة يحبها الله ورسوله) وبعضها تحت تصرف الطرقيين - وهي الزوايا الخاصة بكل طريقة ، وأغلبها تعادى الحركة الاصلاحية اما للخصومة العنيفة كالعلوية ، واما لانها لا تستطيع أن تعاكس رغائب الادارة الاستعمارية .

لكن هذا التصرف الاخرق - الذي أريد به خنق الحركة الاصلاحية الوطنية جاء بعكس ما يريدون ، وكان له رد فعل سريع له مظهران :

الاول : قيام مظاهرات الاحتجاج في كل أنحاء القطر من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، ولاول مرة ينزل الشعب الى الشارع ويعاكس - بمظاهرات عامة - قرارا تعسفيا . وكان هذا المظهر أكبر علامة على يقظة الرأي العام ، كان ذلك عام 33 - 1934 م .

الثاني : ان الشعب أخذ يؤسس - بماله الخاص - المساجد الحرة ، الخارجة عن مراقبة الحكومة ، والمتحررة من بدع رجال الزوايا ، ويعمر هذه المساجد بالعلماء الاحرار المصلحين ، وعمت هذه الحركة الشعب ، وتعود عليها ، وحتى بعد الاستقلال استمر على هذه العادة ، وأسس كثيرا من المساجد وربما استقل شخص واحد بتأسيس جامع عظيم . ولم - يقتصر - بارشاد العلماء وقيادتهم - على تأسيس المساجد بل سبق ذلك بتأسيس المدارس والنوادي .

اما المدارس فكانت لتعليم الصغار مبادئ الدين واللغة والاخلاق والمبادئ الوطنية ، وكانت هذه المدارس تستقبل ثلاثة أفواج :

الاول : التلاميذ الذين لا مكان لهم فى المدارس الفرنسية ، ولهم حصص كاملة صباحا ومساء ، وتستغرق الدراسة - على الاقل - خمس ساعات .

الثانى : من التلاميذ الذين يقرأون فى المكاتب الفرنسية يقرأون العربية ساعة - فى المساء بعد خروجهم من مدارسهم .

الثالث : من الشبان والكهول وحتى الشيوخ لرفع الامية وتعليم المبادئ الدينية والاخلاقية والوطنية .

وبجانب المساجد والمدارس نبنت النوادي التى يجتمع فيها الشباب والكبار بعيدا عن جو الحانات والمقاهى ، وكانت هذه النوادي ذات نفع كبير لانها كانت تستقبل طوائف العمال والشباب من الذين لا يتيسر لهم ارتياد المساجد فانتشرت الدعوة بينهم وانتشلوا مما كان يتهددهم ، واعتنقوا المبادئ الوطنية وعمرت بهم المساجد الحرة .

فكان من المقاومة الشديدة للحركة الإصلاحية الوطنية المنع من انشاء المدارس الجديدة ومحاولة غلق المدارس القديمة ، ومنع العلماء من التدريس بالمساجد والزوايا . وغلق النوادي اما باغلاقها من اول مرة ، واما بمنعها من بيع المشروبات الحلال الا برخصة خاصة - مثل الرخصة التى تفرض على المقاهى العربية ، وهى رخصة لا تعطى الا لقدماء المحاربين المعطوبين أو الذين تنكروا لامتهم ودينهم ، ثم هى خاضعة لقانون (المقاهى العربية) وكانوا يشترطون فيمن تعطى لهم رخصة فتحها ان يكون (متعاوناً) مع شرطة المخابرات العامة - مراقبا لزيائنه . ومن هذه المقاومة الشديدة منع جرائد العلماء من الصدور ، عطلو جريدة (السنة) لسان حال الجمعية فاخرجت (الشريعة) فعطلوها أيضا ، فاخرجت جريدة (الصراط السوى) فعطلوها ، ونصوا على ان هذا التعطيل سار على كل جريدة تصدرها الجمعية مستقبلا ، معللين ذلك بانها تصدر بلغة عربية واللغة العربية لغة أجنبية فلا يصح ان تصدر بها جريدة الا برخصة مسبقة !

هذه المناورات والاضطهادات لم تجدهم نفعا ، ولم تزد الامة الا يقظة ومحادة لهم ، وتحديا لارادة المستعمرين واعوانهم .

الفصل الخامس : القضاء على سياسة الاندماج

14 - ان الحركة الاصلاحية كانت اعظم مظاهر الحركة الوطنية في الجزائر ، والناطقة باسمها ، ذلك ان الحركة الوطنية السياسية (نجم شمال افريقيا) كانت غائبة خارج الوطن ، ممنوعة فيه ، سرية حتى في فرنسا لا تصل منها الا جريدتها الامة او بعض منشوراتها باللسان الفرنسي سرا ، فكانت كلمتها خافتة او مجهولة في الوسط الا للقليل من الناس ، وبقي أمرها هكذا الى انتصار الواجهة الشعبية في فرنسا - وكان النجم من أعضائها - ثم سمح لها بدخول الوطن ومباشرة نشاطها فيه ذلك أثناء 1936 م وبالضبط أثناء الصيف من شهورها في شهر جوان .

من أجل هذا كانت الحركة الاصلاحية هي حاملة لواء العروبة والاسلام والوطنية في الجزائر والمقاوم الشديد لحركة الاندماج . وكانت صيغتها قومية علمية عملية أكثر منها نظرية سياسية ، وكانت الظروف لا تسمح لها بمباشرة السياسة علنا كما هو الحق لحزب سياسي . خوفا على منشآتها ان تعطل تماما ومع ذلك لم تسلم .

الاندماج قبر لا نشور بعده

لكنها كانت تقاوم - بضراوة - فكرة الاندماج ، وقد جاءتها من قبل الدين حتى يكون ذلك أبلغ وأعظم تأثيرا . وقد أعلنت ان الاندماج موت لا نشور بعده . ففي العدد 152 من الشهاب الصادر في 21 جوان عام 1928 م صدرت كلمة في الشهاب من قلم الشيخ مبارك الميلي جاء فيها (سياسة الاندماج هي القبر الذي لا نشر بعده) وجاء فيه (أن سياسة الاندماج بعيدة في نفسها ، بعيدة من الامة واخلاقها وعقائدها . فهي سياسة عقيمة ، والمتنصر لها غير حكيم) .

وقوله (ان البقاء على الحالة التي نحن عليها - ونحن متفقون على مقتها - خير عندي من الاندماج لان حياة منحطة خير من ميتة شاذة عن ميتة الأمم) اهـ

وقد أصدر العلماء فتوى شرعية وطنية في ردة المتجنس وخروجه من الاسلام ، فكانت ضربة قاضية على سياسة الاندماج ، لان الامة أصبحت لا تقبل من يتجنس في معاملة معه في حياته كالتزوج منه والتزويج اليه ، ولا تقبل أن يعامل بعد موته معاملة المسلم فلا تسمح بدفنه في مقبرة المسلمين فان دفن غصبا نبش قبره وطرحت - في العراق - جيفته .

الكلمة الصريحة عام 1936 م : ان الجزائر ليست فرنسا

ثم أعلن ابن باديس كلمته الصريحة التي صدرت في الشهاب بتاريخ افريل عام 1936 م ، فكانت كلمة وطنية خالصة ، وهي بنت الحركة الاصلاحية ، لانها صدرت قبل نزول الحركة الوطنية السياسية بالجزائر في جوان 1936م . وكانت هذه الكلمة بداية تاريخ جديد في حياة الجزائر وسياستها ، اذ كانت رفضا عنيفا لسياسة الاندماج التي أعلن تساهله معها - عن حسن نية - بعض الساسة . قال ابن باديس : (ان هذه الامة الاسلامية الجزائرية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصبح فرنسا ، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت ، لكنها أمة بعيدة كل البعد في لغتها وفي اخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين من قبل الدولة الفرنسية) اهـ (افريل 1936) .

وقد انزعجت من هذه الكلمة كل الدوائر من المستعمرين أو من السياسيين المتفرنسين ، واستبشر بها كل الوطنيين وتنبه بها من كانوا مخطئين في وجهتهم فعادوا الى الصواب ، فلما حلت الحركة الوطنية بالجزائر بعد هذا التاريخ بقليل ، كان من الواجب أن تتألف الحركتان وتتحالفا ، ولكن ذلك لم يتم تماما بين الطرفين ، فقد كان العلماء في محنة اغتيال المفتى والاتهام بجريمتهم ، ثم اعتقل بعد قليل زعماء حزب الشعب ، وعذبوا ، والحقيقة أنهما الحركة الوطنية والحركة الاصلاحية متكاملتان ، لا تستغنى احدهما عن الاخرى - ولم يطل الزمن بابن باديس أن لحق بربه بعد ثلاث سنوات .

تهمة باطلة ومحاولة فاشلة

هذه هي الحقيقة ، ولكن بعض من يتطفل على التاريخ ويكتبه - وهو من غير أهله - بلغ به الخطأ والجراءة عليه الى أن ينسب الى العلماء أنهم من مؤيدى برنامج م . فيوليت الذى فحواه ادماج الامة الجزائرية فى فرنسا ادماجا بطيئا فى أطوار . وكان عليه ان يتبين ليكون حكمه عن بصيرة .

وبرهان بطلان هذه التهمة ان ابن باديس بنفسه فندما بقلمه - وذلك فى سنة 1936م عندما أصبح م . فيوليت وزيرا - فى الشهاب وصرح بقوله :
(كنا نقاوم بروجى الرجل العظيم الذى لانسى فضله - م . فيوليت لما فيه من عدم التسوية لا بين الجزائريين والفرنسيين ، ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم ، وما فيه من تهيئة الطبقة المثقة للاندماج من السكوت التام عن الدين واللغة - قاومناه أيام كان الناس كلهم متمسكين به ، لما كان مخالفا لمبدئنا فى المساواة فى الحقوق والمحافظة على المقومات الذاتية . . . ثم ثبتنا على تلك المقاومة لأننا نعرف أننا بمبدئنا نعبّر عن عقيدة جمهور الامة ونعرب عن احساسها) اه .

فالمشتغلون بالسياسة على الساحة الجزائرية وفى أرض الوطن كلهم قبلوه ورضوا به ، وليس فيهم - طبعا - الحركة الوطنية (نجم شمال افريقيا) لانها كانت ما تزال فى فرنسا - أو أوائل 1936م - ولكن الشهاب وحزبه من العلماء رفضوه لانه خطر على القومية الجزائرية ويفتح باب الاندماج ، والجماهير مع رأى العلماء وهم الذين يتكلمون باسمهم .

فهذا التصريح من ابن باديس يصفع كل من يدعى أنه كان أو كانت جمعية العلماء من مؤيدى برنامج فيوليت راضية بسياسة الاندماج ، ويمكن أن يجد هذا التصريح كل من يريد أن يطلع عليه منقولا عن الشهاب فى الجزء الثالث من كتاب الدكتور عمار طالبى ، الصفحة 319 - 320 ، وكان العمل لرده من أسباب الدعوة الى عقد المؤتمر الاسلامى الذى أسقط هذا البرنامج تماما ، واستبدل غيره به كما أعلن عنه الشهاب فى نفس المقال فوضع برنامج من المسلمين فى المؤتمر ، وأعرض عنه وعن غيره .

من الذين كانوا يتهمون العلماء بمصادقتهم على برنامج فيوليت ؟

والغريب فى الامر أن الذين كانوا يتهمون العلماء بالمصادقة على برنامج م . فيوليت ، انما هم طائفة من المتجنسين ، فقد جاء ذلك فى الشهاب (ج 11) من المجلد 9 والصادر فى اكتوبر 1933 م . ان (م . الزناتى) رئيس المتجنسين بقسنطينة ، وصاحب جريدة (الصوت الاهلى) اتهم ابن باديس وحده بمضادة برنامج فيوليت واتهم العلماء بان سائرهم صادقوا على هذا البرنامج . والزناتى عدو لدود للعلماء وخصوصا لرئيسهم ابن باديس ، وقد شتمه شتما قبيحا من أجل كلمته الصريحة لانها قبرت سياسة الاندماج ، وقد رد الشهاب على تهمة ونقل كلمة كانت قد صدرت من الشهاب ، ونشرت فى عدد جويلية 1933 م ، وجاء فيها الحكم بردة المتجنس .

قال الشهاب :

(مشروع السيناتور فيوليت ليس بالمشروع الغريب عند قراء الشهاب ، فقد كنا تحدثنا عنه لقرائنا عندما أعلن به صاحبه وذكرنا أهم ما احتوى عليه مثل ادخال الطبقات الاهلية المتنورة فى دائرة الانتخابات الفرنسية لمجلس الشيوخ والامة ، وتعميم الجنسية الفرنسية على كل الطبقات والمتوظفين وحاملى الشهادات العلمية واضرابهم بحيث يكون الجميع فرنسيين يتمتعون بسائر الحقوق ، وينمو عددهم بالتدريج شيئا فشيئا الى أن تتكون منهم قوة فى البلاد ذات بال) ثم يقول ابن باديس (قد تقرر من مختلف النصوص الشرعية والاحكام الفقهية أن المتجنس بجنسية اجنبية يعد مرتدا عن الاسلام لقبوله طوعا واختيارا الخروج عن بعض احكام القرآن ...) .

ثم يقول عن دعوى الزناتى أن العلماء موافقون على هذا البرنامج : (أما آخر ما ابتكره م . زناتى فهو ادعاؤه باطلا بان سائر اعضاء جمعية العلماء المسلمين قد صادقوا على ما فى برنامج فيوليت فمتى كانت جمعية العلماء - جمعية سياسية حتى تتفاوض فى البرامج السياسية وتصادق عليها باجماع الآراء ؟

ومتى تمت هذه المصادقة ؟ ومن هم سائر الاعضاء الذين صادقوا ؟
(ولجمعية العلماء المسلمين اجتماعاتها الرسمية ، ولها صحيفتها الخاصة

باسمها ، ففي أى اجتماع وفى أى صحيفة رأى زناني أن سائر أعضاء جمعية **العلماء المسلمين قد صادقوا على ما فى برنامج فيوليت ؟** اهـ والاستئلة التى ألقاها ابن باديس على هذا المتجنس المرتد ما تزال مطروحة على كل متخص .
فهؤلاء هم الذين اتهموا - بالامس جمعية العلماء - بانها ايدت هذا البرنامج ، ومع ذلك هاجموا ابن باديس لانه حاربه .

اما الذين يتهمونهم اليوم ، ويندفعون لالصاق الباطل بهم فانهم يحسبون انفسهم مؤرخين ووطنيين . ومنهم طائفة لا نشك فى صدق وطنيتهم واخلاصهم ، ولكن ضللتهم الدعاية - وهم يسوؤهم أن يحشر العلماء - كرجال خدموا امنتهم - فى طائفة الاندماج لهؤلاء ننشر هذا البيان ، ولكن لا عذر لمن هو عند نفسه وعند (جامعته) مختص فى تاريخ الحركة السياسية والعصر الحاضر ، فانه قصور أو جهل فاضح وغرض واضح . واقرارهم لمثل هذا يصحح اتهامهم بانهم لا يحسنون الدراسة ، ولا يستحقون حمل لقب الامانة التاريخية ، ولو جلسوا على كراسى فى الجامعات ! وكان ذلك أقل ما يجب عليهم حتى لا يضللوا الاجيال القادمة أو يصيبوا قوما بجهالة ، واذا أصروا على مهاجمة الاموات الابرياء فسيسلط عليهم من يعاملهم بالمثل .

الفصل السادس : اعلان اليأس من سياسة فرنسا

15 - خابت كل الامال التى علقنا على حكومة الواجهة الشعبية واستمرت فرنسا فى سياستها المعادية للعرب والمسلمين فى كل البلاد التى تحتلها ، وحلت حزب (نجم شمال افريقيا) ثم حزب الشعب (8) الجزائرى الذى خلفه ، وزجت بزعمائه فى السجون عام 1937 ، وأخذت تلقى على المناضلين القبض وتسوقهم الى العذاب وصنعت مثل ذلك فى تونس ، فأخذت تقمع المظاهرات

(8) تأسس حزب الشعب فى 11 مارس 1937 م . واعتقل زعماءه فى شهر أوت 1937 بتهمة إعادة هيئة منحلة ، ومنذ ذلك الحين عادت الحركة الوطنية الى السرية كما كانت الى أن تأسست حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

م . ع . بستانجى «

بكل عنف وتزج بالزعماء فى السجون والمعتقلات ، ثم تنكرت للمعاهدة التى كانت قد عقدتها مع سوريا ، كما فعلت انقليترا مع مصر - ورجعت الى الحكم المباشر .

- وقد استعرض ابن باديس هذه التحولات فى سياسة فرنسا وتابع تطوراتها فى اعداد متوالية . ومنها ما جاء فى عدد رمضان 1356 هـ نوفمبر 1937 م فى « كلمات صريحة » عن قلق السياسة الفرنسين ، وبحثهم عن الداء واقتراح الدواء وقال : « ٠٠٠ » وأما العلاج فقد كادت كلمة القوم تتفق على انه الضغط والارهاق واستعمال القوة والشدة « وماذا نقول نحن فى هذا العلاج ؟ نقول بالصدق والصراحة اللذين تعرفهما منا الدوائر الحكومية ، انسه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما حينما ما ، ولكنه يزرع فى القلوب **بغضا وحقدا ويملا الصدور ثورة وحماسا** وما مآل ذلك - بطبيعة الامتلاء وطول الزمن - الا الانفجار ولا يدرى الا الله على من تكون عواقب ذلك الانفجار ٠٠٠ » اهـ

وأكد فى هذه الكلمات الصريحة ما جاء فى اختها التى اعلنها منذ ابريل 1936 م من (ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هى فرنسا ولا يمكن ان تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى اخلاقها وفى عنصرها وفى دينها لا تريد ان تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة والذى يشرف على ادارته السيد الوالى العام المعين من قبل الدولة الفرنسية) اهـ أى انه يشمل أرض الصحراء كلها فهى قطعة من الجزائر باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وقد أرادت فرنسا - من بعد - ان تتنصل من هذا اثناء المفاوضات مع حكومة الجزائر المؤقتة فلم تستطع .

لا نعتمد الا على انفسنا ونتكول على الله

وفى هذه الكلمات الصريحة قطع علاقته بماض كان يرتبط فيه ببعض الامل فى فرنسا - وان كان شخصا لا أمل له فيها - وليس هذا تخمينا ، ولكننا سمعناه منه فقد كنا نسمر معه ذات ليلة وأخذ يبين لنا اخطار برنامج (بلوم - فيوليت) لو نجح ، وذلك أيام تعلق السياسة به ورغبتهم فى تحقيقه

كما اعرب عن اعتقاده باننا لن ننال شيئا من فرنسا الا اذا افتككناه بالقوة واخذناه غصبا ، وقد سألته - انذاك - لما لا يعلن هذا للناس فقال : دع الامة حتى يضربها حائط الواقع فتفيق ، فان هذا ابلغ فى اقناعها ، فاذا خابت آمالها يئست ، واذا يئست منهم عملت . فكان يعمل جاهدا لاقناعها بالياس .

ففى هذه السنة 1937 رأى ان الامة جرت وراء السراب مدة سنة كاملة ، ترجو انصافا من ذئاب الاستعمار - وان لبسوا جلد اليسار - وهى مدة كافية لحصول اليأس ، فكتب مقالا تحت عنوان (هل آن أوان الياس من فرنسا ؟) . جاء فيه تأكيد دواعى الياس ، لان رئيس وزرائها ووزيره المختص بالقضية وعدا الوفد وعدا قاطعا خلفاء ، (ولم يصدق لا الرئيس ولا الوزير) - كما قاله بالحرف (عدد أوت 1937) .

ثم قال : « فماذا فهم الناس من هذا كله ؟ ... قالوا ان فرنسا تعمد وتخلف لانها رأت مصلحتها فى الاخلاف ! والجزائر تنخدع وتطمع ولكن يطول انخداعها ويستمر طمعها ... وأما نحن - الجزائريين - فاننا نعلم أننا أدركنا هذا الاخلاف العرقي ، وأدركنا مغزاه ، وأخذ اليأس بتلابيب كثير منا ، وهو يكاد يعم ، ولا نتردد فى أنه قد آن أوانه ودقت ساعته . ماذا تريد فرنسا من مماطلتنا ؟

لقد أعلن شاعرنا القومى جواب هذا السؤال فى قصيدته التى نشرناها فى الجزء الماضى ، حيث قال :

ولعلَّ من نُظِّمَ السِّيا سة ان نُفَشَّ وأن نُفَرَّ
ولعلَّ منها أن يُدسَّ سَ لنا ونجذب للحُفَرِ
ولعلَّ منها أن يبسَّ سَ بنا لنُحَلَبَ كالْبُقَرِ
ولعلَّ منها أن نُمَّا طَل كي يساورنا الضَّجَرُ

كذب رأى السياسة وساء فالها ، كلا والله لا تسلمنا المماثلة الى الضجر الذى يقعدنا عن العمل وانما تدفعنا الى الياس الذى يدفعنا الى المغامرة والتضحية » .

أيها الشعب الجزائرى ، أيها الشعب المسلم :

أيها الشعب العربى الابى :

حذار من الذين يمتنونك ويخدعونك ! حذار من الذين ينومونك ويخدرونك ، حذار من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك .

• استنوح الاسلام ثم استنوح تاريخك ، ثم استنوح قلبك .

• اعتمد على الله ثم على نفسك وسلام الله عليك .

ومنذ هذا التاريخ أخذ يؤكد هذا المعنى قولا وعملا ، وينتهاز كل فرصة لإعلان اليأس من وعود فرنسا .

ففى عدد نوفمبر بين أن الامل فى حكومة الواجهة الشعبية قد خاب ، وأنها توجهت للاهتمام بحالة المعمرين وصرفت أموالا باعضة لفائدتهم – كما نشرته جريدتهم – كما تيقن ان روح الحكومة – حكومة الواجهة الشعبية – غير روح مبادئهم ، ومسامها فى يد غيرهم .

ثم قال :

« فازاء هذا رأينا أن الواجب علينا ان نعلن لشعبنا ان : لا نعتد الا على أنفسنا ونتكل على الله » اهـ

وابتداء من هذا العدد – رمضان 1356 – اختفت كلمات مبدأ الشهاب الديوى – التى كانت مرسومة على الشهاب منذ تأسيسه مجلة – وهى : «الحق والعدل والمواخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات» وحل محلها قوله :

« فلنعتد على أنفسنا ولنتكل على الله » •

فالحقيقة أنه كان مستيقنا أننا لن ننال من فرنسا حقا ، ولن نحقق مطلبنا ، وكيفما كانت حكومتها – يمينية أو يسارية – فانها حكومة فرنسا المعتدية ، وانما كان يساير المتفائلين ، ويسوق الشعب والجمهير نحو اليأس ، ويصرح ان اليأس – بداية اليقظة والعمل الصحيح ، ويوقن أن الغضب يؤدى الى الانفجار ، وما الانفجار الا الثورة .

وكانت سنة 1937 قد تهيأت فيها الفرص التى يطلبها لتحقيق هذا الغرض ف فيها اشتد الضغط على الامة ، وانتصر مذهب الذين ينصحون حكومة فرنسا

بان علاج الازمة الوحيد هو استعمال الشدة والعنف ، وتسليط وسائل الارهاب مما جعل الفرنسيين لا ينتهون من ارتكاب حماقة حتى يشرعوا في ارتكاب ما هو اشد منها .

منها التضييق على التعليم بمنع العلماء منلقاء الدروس الدينية في المساجد الرسمية ، ومنع اعطاء الرخص لفتح مدارس جديدة ، واغلاق ما استطاعوا اغلاقه من القديمة ، ومحاكمة المعلمين الاحرار والزج بهم في سجون الاستعمار ، وتغريمهم ماليا ، وتعذيبهم جسديا . واغلاق النوادي ومنعها من بيع المشروبات حتى تختنق ، واعتبارها كـ (المقاهي العربية) حتى تمنع الاجتماعات فيها وفتح اقسام للتعليم فيها .

ومنها حل الحزب الوطني (نجم شمال افريقيا) - كما تقدم - وكان قبل من احزاب الواجهة الشعبية ، فتكررت له حكومتها ، وعاملته كما كانت تعامله حكومات فرنسا اليمينية والفاشية ، فلما تأسس (حزب الشعب الجزائري) اثر ذلك - في مارس 1937 - لم يمكث الا قليلا ثم اقدمت على حله ، والقاء القبض على زعمائه ، ومطاردة مناضليه ومعاملتهم معاملة قاسية فاشية .

لقد كان الوطنيون معتادين مثل هذه المعاملة من فرنسا في فرنسا - لانه انشئ فيها - ، ولكنها جديدة على أرض الجزائر ، ولهذا فقد انتهزها ابن باديس رحمه الله ليقاوم روح (الخوف) من السجن في الامة و (الاستحياء) به ، بل رأى أن المصاب به - في سبيل الله والوطن - أهل للتكريم والتهنئة ، حتى تزول الدهشة من الشعب وأبنائه وتتغير المعايير عندهم ويروا - فخرا - ما كان يرى (معرة) . ففي شهاب نوفمبر 1937 قدم تهنئة لهؤلاء الابطال وللامة بهم قال :

« عيد الفطر المبارك :

تهنئة به الى الامة الجزائرية الكريمة

كنا قبل نهنيء الامة الجزائرية بمثل هذا العيد وليس لها مظاهر السعادة ما تهنأ به الا ما نرجوه لها ونأمل .

اما اليوم فاننا نهنيئها وهي في طور جديد من أطوار حياتها ، وهو أساس سعادتها ، طور سامت به شقيقاتها هنا وهناك فنهنيها - ومن أبنائها من هو

سجين فى سبيل العلم والهداية ، ومن هو سجين فى سبيل السياسة والحقوق
المقصوبة .

أمة أخذت تقدم الضحايا فى سبيل سعادتها حقيقة بان تنال السعادة وبأن
تهنأ بها .

فتهانينا اليها بعيدها وسعادتها ، وتهانينا - على الخصوص - الى أولئك
الابطال الاماجد السيد الحاج مصالى ورفاقه والشيخ عمر دردور .

حياهم الله وعجل سراحهم وجعل فيهم القدوة الحسنة فى الصبر
والتضحية » اهـ .

وكان الشيخ عمر دردور عميد تلاميذ الشيخ الاوراسيين وصديق الشهيد
مصطفى بن بوالعيد .

لم يكن السجن السياسى معتادا فى الجزائر ، حتى ذلك الوقت ، بل كان
السجن - على العموم - مرغوبا ، ومعرفة تلحق المسجون .

لكن ابن باديس أراد ان يربى أمتة ويبين لها انه - اذا كان فى سبيل الله
والوطن ولاجل اغاظة العدو - فانه نعمة وشرف يستحق المسجون التهنئة فى
شخصه وتستحق الامة ان تهنأ بمصيره وتضحيتها ، وان يقتدى به .

وأذكر ان احد تلاميذه ارتكب مخالفة - بقيامه بعرضه دون اعلان عنه ،
واستعماله فيه (البارود) - فحكم عليه بغرامة مالية - مائة وخمسين فرنك -
فاما ان يدفعها لدولة الاستعمار ، واما ان يدخل السجن لعدة ايام ، فذهب
لاستشارته فأشار عليه بدخول السجن ولا يدفع مالا للعدو ، وانما أراد أن
يذهب عنه رهبة السجن والغزع منه .

الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة

وكان من أبرز حماقاتهم وأدلها على مقدار بلاهتهم واستهتارهم - قرارهم
باقامة الذكرى المئوية لاحتلال مدينة قسنطينة فى هذه السنة ، فقد صور لهم
الغباء والغرور سنة 1937 انهم يستطيعون ان يقيموا احتفالات (بهيجة) بذكرى
انتصار أجدادهم ، وان يمثلوا بعض أحداث يوم الاحتلال تمثيلا ، ويصوروا
المنتصرين والمنهزمين ، وان نشاركهم فى هذه التمثيليات ، ليذيعوا فى العالم

أنا نشاركهم فى الاحتفال بانتصار (المدنية) على (الهمجية) والنصرانية على الاسلام !

ومن قبل ذكرونا بهذا (الانتصار) - ذكرى لا تنسى فى مكان بالمدينة لا يخفى ، اذ أقاموا - سنة 1909 - فى مدخلها تمثالا ضخما لقائدهم لامورسيير محتل قسنطينة ، وآسر الامير عبد القادر فى حجم عملاق على قاعدة كبيرة - يلبس جزمة عسكرية ، وفى يده سيف طويل هائل قد سله وتوجه نحو المدينة العربية - علامة الهجوم .

ويوم أن احتفلوا بالذكرى المئوية عام 1930 لاحتلال الجزائر وشارك فيها جيشهم بقادته البريين والبحريين والجويين ، وبكتيسنتهم ورجالها يحملون صليبانهم ويرتلون أناشيدهم . وبسرااتهم ونبلاتهم ، وبسفائهم وصعاليكهم - لم يكذب يعترضهم أحد ، بل شاركهم بعض الغافلين أو الخونة المارقين أو العملاء المأجورين .

ولكن سبع سنوات بين 1930 و 1937 - فعلت فعلها - وآن للشعب ان يقول رأيه ويتخذ موقفا علنيا صريحا من هذه الاهانات وهذا ما فعله ابن باديس . اذ جمع عيئات بلده وحرر بيانا يخاطبون فيه الشعب بما يجب عليه نحو هذه الاهانة ، وقد وزع هذا البيان أعضاء جمعية التربية والتعليم ، وأعضاء شعبة جمعية العلماء ، وأعضاء الجمعيات المشاركة .

وكان الشيخ بعد طبع البيان - وقراءته عليهم - قد سألهم عن توزيعه ، فسكتوا لعلمهم بخطورته - فى مثل تلك الظروف الارهابية - عليهم وعلى الشيخ - فقال لهم : أنا أوزعه ! فقال السيد الطاهر بن بهات التاجر العباسي - بلسانهم جميعا - « كلا ، بل نحن نوزعه ، ونكفيك مؤنته » .

ويوجد نصه فى الشهاب (عدد رمضان 1356 نوفمبر 1937) وهذا هو :

على هامش الستتير :

منشور المقاطعة

نداء الى سكان قسنطينة المسلمين :

« قاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها » .

اخواني القسنطينيين :

فى مثل هذه الايام - منذ قرن - مات اجددكم المجاهدون المدافعون ،
والفرنسيون المهاجمون فى ميدان البطولة والشرف ، وطويت صفحة من
التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب .

ومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك الماساة وضمد تلك الجروح ،
وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الاتانيين - الذين يابون الا ان يكونوا سادة متفوقين ، والا
ان يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين - هؤلاء القوم ليسوا كل
الفرنسيين - ارادوا فى هذه الايام ان يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة
قسنطينة تثير العواطف ، وتمس كرامة الاحياء منا والاموات وتنافى مبادئ
الاخوة والرحمة التى ندعو اليها .

يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائرى بعرقلتهم - معطلة ،
وحقوقهم - بسعيهم - مهملة ، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على
ظهره كل يوم .

لهذا قد اجتمعت 14 جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر
الماضى فى نادى الاتحاد ، وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات ، عازمة على
مقاطعتها فقررت - بالاجماع ما يلى :

نحن الممثلين لجمعياتنا نرى احتراما لانفسنا ، واحتراما لاجدادنا واحتراما
للانسانية :

أولا : ان لا نشارك فى هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانيا : ان نكون فى هدوء تام .

اخوانى القسنطينيين قد فعل المؤتمر الاسلامى واجبه فاحتج على هذه
الاحتفالات وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررته
فى قرارها المتقدم وأخوكم هذا كقسنطيني - فعل واجبه بنشر هذا
المنشور عليكم .

فيما بقى الا ان تقوموا انتم بمواجبتكم . فقاطعوا هذه الاحتفالات
ولا تشاركوا فيها . كونوا فى هدوء وسلام .

والسلام عليكم . من اخيكم : عبد الحميد بن باديس

حرر بالمنصورة ، حوز تلمسان

مساء الثلاثاء 23 رجب 1356 هـ 1937/9/28

نداء

الى سكان قسنطينة المسلمين

إخواني القسنطينيين !

في مثل هذه الايام منذ قرن مات اجدادكم المجاهدون المدافعون والفرسان المهاجرون في ميدان البطولة والشرف . وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب

ومضت مائة سنة ذات كلفة لنسيان تلك المأساة ، وضمدت تلك الجروح وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض

لكن قوما من الانانيين الذين يسأون الا ان يكونوا سادة متفوقين ، والا ان يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين — هؤلاء القوم — ليسوا كل الفرنسيين — ارادوا في هذه الايام ان يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة ، تنبر العواطف ، ونس كرامة الاحياء منا والاموات ، ونناق مبادئ الاخوة والرحمة التي ندعو اليها

يحتفلون احتفالاتهم هذه ومطالب الشعب الجزائري بعرقلتهم معطلة ، وحقوقه بسعيهم مهمل ، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهوره في كل يوم .

لهذا قد اجتمعت ١٤ جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت ١٨ سبتمبر الماضي في نادي الاتحاد وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها . فقررت — بالاجماع — ما يلي : نحن — ممثلين لجمعيةنا — نرى احترامنا لانفسنا ، احترامنا لاجدادنا ، واحتراما للانسانية . اولاً — ان لا نشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانياً — ان نكون في هدوء تام علم .

إخواني القسنطينيين !

قد فعل المؤتمر الاسلامي الجزائري واجبه فاحتج على هذه الاحتفالات في اجتماعه العام الاخير . قدم مكتبه ذلك الاحتجاج الى الوالي العام وقدمه مكتب بلنته القسنطينية الى مير قسنطينة . وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررت في قرارها المتقدم . واخوكم هذا — كتقسنطينيين — فعل واجبه بنشر هذا المنشور عليكم . فما بقي الا ان تقوموا انتم بواجبكم .

فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا

فيها

كونوا في هدوء وسلام

والسلام عليكم من اخيكم عبد الحميد بن باديس حرر بالمنصورة حوز تلمسان مساء الثلاثاء ٢٣ رجب

١٣٥٦ ١٩٣٧ م

الطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة

APPEL A LA POPULATION MUSULMANE DE CONSTANTINE

Mes frères Constantinois

Il y a un siècle, à pareille époque, vos glorieux ancêtres combattant pour la défense de leur territoire et les soldats français de la conquête tombaient sur le champ d'honneur également couverts de gloire. Une page de l'histoire, illustrant la vaillance et la bravoure des uns et des autres, était ainsi retournée. Un siècle nous sépare aujourd'hui de cette tragédie dont le souvenir s'estompant dans le recul des jours aurait dû s'effacer dans la mémoire des hommes. Un siècle était suffisant pour cicatriser les plaies et unir étroitement les éléments divers du pays sur la table rase du passé.

Aujourd'hui, des hommes sans cœur cherchent à réveiller ces lointains souvenirs et à ressusciter la haine et les rancœurs en célébrant l'anniversaire de la prise de Constantine. Ces défiles militaires et toutes ces vaines parades dans lesquelles leur orgueil de vainqueurs trouvera sa satisfaction constituent une suprême atteinte à notre dignité et une injure à la mémoire de nos glorieux pères et ruinent les efforts que nous ne cessons pas de déployer pour la fraternité des races.

L'indécence atteint son comble lorsque ces fêtes doivent être célébrées pendant que les revendications des Musulmans

d'Algérie attendent encore d'être réalisées, que leurs droits nationaux sont méconnus et que les lois d'exception restent suspendues sur leurs têtes comme une perpétuelle menace.

C'est pour cela que 14 associations musulmanes constantinoises, réunies le samedi 13 Septembre écopé, sous le patronage de l'Union, ont désapprouvé le caractère de ces fêtes et ont décidé de ne pas y prendre part. A l'unanimité, les associations suivantes ont été prises :

« Nos représentants dans les associations musulmanes pour faire respecter notre propre dignité et celle de nos frères, décidons :

1° de nous abstenir de participer à ces fêtes ;

2° d'observer le calme et la dignité les plus absolus.

LE CONGRES MUSULMAN ALGERIEN a fait son devoir en élevant une protestation contre le principe même de ces fêtes, au cours d'une réunion publique, protestation que son comité constantinois a fait parvenir au Maire de Constantine pour être transmise à M. le Gouverneur Général.

La population musulmane ayant fait son devoir, votre frère, le signataire du présent manifeste, Constantinois comme vous, fait également le sien en s'adressant à vous pour que vous fassiez le vôtre.

Abstenez-vous donc de participer à ces fêtes.

Observez en tout la dignité et le calme et que la paix soit avec vous.

Abdelhamid BENBADIS

CONSTANTINE - Imprimerie ALGERIENNE MUSULMANE

صفحة ذهبية

نشرت الصحافة الفرنسية وغيرها اللسان كثيرا عن احتلال قسنطينة فأحببنا نحن أن نشاركها ، فنشر كتابين تاريخيين جليلين . نقلناهما عن كتاب : « تحفة الزائر ، في مآثر الامير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » وهذا نصهما :

١

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسية الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين داخل السبلد : نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ويد القدرة الربانية كللتنا باكليل النصر فهاجشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بغرهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين اما اعمال السيف وإما التسليم للنجاة من الحيف لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ونحن لا رغبة لنا في سفك دمائكم فالتسليم أسلم لكم وأحسن بكم لانكم أمسيتم في مركز خطير جدا والخلاص منه بدون ضرر كبير يلحقكم مستحيل كيف وبواريد فرانسا قد احاطت بكم من كل جهة وصرت في وسطها مثل السمك في الشبكة »

٢

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ان مركزنا أمسى في خطر عظيم ولكن استيلاؤكم على قسنطينة المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد منهم واعلموا ان الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا » اه

الشهاب : ج 9 - م 13 - رمضان 1356 هـ - نوفمبر 1937 م .

ان مثل هذا المنشور لخطر جدا فى مثل تلك الايام ، وخصوصا اذا طبع ووزع على الجماهير ، وهو يدعو لمقاومة ما قررته الحكومة الفرنسية ، فمن غير المعقول ان يقام احتفال عسكري وتستعرض فيه أنواع الاسلحة بفعل طائفة من الفرنسيين الانانيين - ولكن براعة الشيخ جعلته يحفظ خط الرجعة ويتهم بمثل هذه الحماقة طائفة منهم ، وهم لو استفزوا الشعب وقامت اضطرابات وسقط ضحايا لتبرأت حكومتهم وقالوا ، هذا فعل طائفة مطرفة أنانية .

وانظروا كيف نوه ببطولة المهاجمين والمدافعين معا ، فمن جهة لا يليق بأجدادنا ان يغلبهم جبناء ، ولا فخر للفرنسيين ان يتغلبوا على جبناء ، ولهذا لما قرأ قائدهم جواب قائد الحماة أعجب جدا ببسالتهم وشهد بشرفهم وبتولتهم . ومن جهة أخرى حتى لا يترك مجالا لرميه بالتعصب والحق .

اما مبادئ الاخوة والرحمة والتقارب والتعايش السلمى بين المتساكنين فانها غاية كل عاقل حكيم ومفكر ومصلح سياسى أو اجتماعى .

لكن محاولة الهيمنة والتسلط والتحرش - من طائفة - بالشعب كله والسعى لعرقلة مطالبه ، والحيلولة بينه وبين حقوقه ، وتسييط القوانين الاستثنائية كسياط على ظهره - كل ذلك قبيح من كل عاقل وحكيم ومفكر ومصلح سياسى أو ادارى أو اجتماعى . ومما نلاحظه ان المنشور كتب بتلمسان ولعله أراد ان يطلع عليه خليفته ، الشيخ الابراهيمى ، فلم يحب ان يستبد برأيه ، ولعله توقع ان يعتقله المستعمرون فدبر معه مآل الحركة اذاً فى حال اعتقاله .

وخاب الفرنسيون - فى احتفالهم - خيبة مرة ، وفشلوا فيه فشلا ذريعا ، فقد لزم الناس دورهم ، وتركوا المدينة ، وشوارعها ، ليس بها انيس ، ولا اليعافير ولا العيس !

وبينما كانوا يؤملون أن يشركوا - فى التمثيليات - جنود الالهالى بلغتهم انباء عنهم ، جعلتهم يحجزونهم فى ثكناتهم كامل اليوم ، خوفا من ثورتهم .

لقد كانت تجربة عظيمة برهنت على يقظة رأى العام الاسلامى واستجابته للمقاومة ، وكان ابن باديس حكيما اذ بدأ بالمقاومة السليبية ، ولعلها أسهل وأرفق وامكن لاطهار سخط العموم .

ولقد أرادوا اعتقاله ، وتفاوضوا فيه طويلا ، ثم أحجموا ، ولعلمهم خشوا مغبة ذلك .

أما ابن باديس - رحمه الله - فانه تابع سيره ، وقام - بدوره - بالمشاركة في احياء ذكرى ذلكم الحدث الجلل في تاريخنا القومي . ولكن بطريقه هو ! وكيف كان ذلك ؟

لقد قام بنشر كتابين تاريخيين في نفس هذا العدد - رمضان 1356 هـ - نوفمبر 1937 تحت عنوان (صفحة ذهبية) يمكن ان نضع لها عنوانا آخر مع عنوانه وهو « الموت تحت الاسوار ، أحسن من الحياة تحت الاستعمار » .

الكتاب الاول هو نص الانذار الاخير الذي بعثه قواد الجيش الفرنسي المهاجم الى الجنود المسلمين المحاصرين .

والكتاب الثاني هو جواب المحصورين عن هذا الانذار ، قال ابن باديس : « نشرت الصحافة الفرنسية اللسان كثيرا عن احتلال قسنطينة ، فاحببنا نحن ان نشاركها ، فننشر كتابين تاريخيين ، نقلناهما عن كتاب تحفة الزائر - في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر » .

الكتاب الاول : نص الانذار الفرنسي .

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسية الى أحمد باي وعلى بن عيسى وسائر العساكر الاهالي المحصورين داخل البلد :

نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ، ويد القدرة الربانية كللتنا باكليل النصر .

فها جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ، ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين : اما اعمال السيف ، واما التسليم للنجاة من الحيف .

لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ، ونحن لا رغبة لنا في سفك دمايتكم ، فالتسليم اسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم في مركز خطير جدا والخلاص منه - بدون ضرر كبير يلحقكم - مستحيل ، كيف وبوارد فرنسا قد احاطت بكم من كل جهة وصرت في وسطها مثل السمك في الشبكة » اهـ

الكتاب الثاني : جواب الامة على هذا الانذار .

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسى المعتدى على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم ، وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ان مركزنا امسى فى خطر عظيم ، ولكن استلأؤكم على قسنطينة المحمية بالابطال العربية - الذين لا يهابون الموت - موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا ان الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا » اهـ

هذه هى مشاركة ابن باديس فى هذا الاحتفال ، ويا لها من مشاركة تبرز روح الانفة والعز والشهامة والرجولة فى الاجداد ، وتأبى الاستسلام ، ان هذا يفسر للناس اجمعين كيف بذل شعب الجزائر مليوناً ونصف مليون شهيد ليسترجع دولته وعزته ويرفع رايته . وانه بهذا لم يشتر الحرية بصفقة غبن ولا باع النفوس فى الجهاد بيعة وكس .

ان المبدأ الجديد - الذى اعلنه ابن باديس - لسياسته فى الشهاب ، وهو « لنعول على انفسنا ولننتكل على الله » انما أراد به أن يقطع كل صلة بهذا الموضوع فى الماضى ، فى التعويل على مساعدة فرنسا الديمقراطية فى النهوض بالامة الجزائرية ، ففرنسا هى فرنسا ، ديمقراطية كانت أو فاشية ، يمينية أو يسارية - وأراد ان يعلم الشعب ان يعول على نفسه فان له طاقة فعالة وأن يتكل على الله .

لقد أراد ان يفصل بين ساستنا وبين الكتل الاجنبية التى تغفل نفوذها فينا ، كان كل ساستنا - اذا لم يكونوا عملاء الادارة الفرنسية - يعولون على الاحزاب الفرنسية ، وحتى احزاب اليمين منها فقد مال بعضهم الى حزب العقيد « دولاروك » وهو حزب « الصليب النارى » وبعضهم الى حزب العميل الفاشى « دوريو » وهو الحزب الاجتماعى الفرنسى « أما أغلب الساسة فقد مالوا الى احزاب اليسار منهم من انخرط فيها ، ومنهم من عول عليها ، واكبرها : الحزب الراديكالى ، والحزب الاشتراكى ، والحزب الشيوعى .

اما العمال فكانوا فى منظمة « النقابة العامة للعمال » وهى ذات ميول اشتراكية وشيوعية ، وتقبل انخراط العمال المسلمين فيها ، وتهتم - قليلا -

بمطالبهم ، ولكنها لا تتسامح بالانفصال عنها في منظمة خاصة بهم . وفسد
دامت هذه الحالة الى نشوب الثورة واقبال يوم 24 فبراير 1956 م .

ولم يكن مسموحا من الجميع - الاحزاب السياسية او النقابات العمالية ،
ان يظهر أى جزائري العواطف القومية ، الوطنية الاسلامية .

وابن باديس في مبدأ الشهاب الجديد يعين لشعبه ان يتذكر **ما كان**
ينتهجه ، وينصحه بالتعويل على النفس والاتكال على الله ، استمع اليه وهو
يقول : أيها الشعب الجزائري المسلم العربي الابي !

حذار من الذين يمتنونك ويخدعونك !

حذار من الذين ينومونك ويخدرونك !

حذار من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك **ومن غير تاريخك**

وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك !

استوح الاسلام ، ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك .

اعتمد على الله ثم على نفسك ، وسلام الله عليك « اهـ »

فالذين يعدونه ويمتونه ويخدعونه هم سياسة فرنسا ابتداء من **رئيس**

الوزراء الى أصغر موظف فيها .

فليس فيهم من وفى بالوعود أو العهود كالشيطان مع **بنى الانسان** .

« **يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** » ومن واجبه ان يحذرهم .

والذين ينومونه ويخدرونه هم الذين يزينون له حالته البئيسة التي وصل

اليها من جهل وانحطاط وتأخر ، ومرض وفقر وجوع وعري ، وذلة ومهانة ،

ثم يزعمون له ان الرضى بهذه الحالة هو عين الايمان لان « الدنيا جنة الكفار

وسجن المؤمنين » ان « الدنيا لهم والآخرة لنا » . مع ان زينة الحياة والطيبات

من الرزق هي للذين آمنوا .

فمن حقه ان يحذرهم ويقطع الصلة بهم فانهم يعملون - عن جهل أو علم -

لفائدة الاستعمار .

والذين يأتونه بوحى من غير ضميره وتاريخه وقوميته ودينه هم الذين

يقولون له : **انسلخ من كل ذلك ، واعتنق قوميتنا ، وتحلم لغتنا . وتكلم**

لدينك الذى هو سبب تأخرك ، وانكر تاريخك واجدادك ومجدك ، تكن من (الراقين) المتمدين ! فاذا استوحيت ضميرك فقد تحررت ، واذا استوحيت دينك فقد رشدت لان الاسلام هو الدين عند الله • لا يقبل غيره ، ولا يقبل الذل والمهانة بل يدفع الى العزة والسعادة والسلام ، ويضمن النصر المبين لمن جامد فى الله واعتصم به •

هذه النصيحة الغالية قدمها ابن باديس ، والتزم بها الى وفاته ، فانه كان رحمه الله اذا قال فعل • ومن درس أقواله - شعرا ونثرا - منذ هذه السنة يتقن أنه كان مؤمنا بالثورة عاملا لها ، موعزا بها - فاستمع - مثلا - الى قوله : « والله لا تسلمنا للماطلة الى الضجر الذى يقعدنا عن العمل ، وانما ندفعنا الى اليأس الذى يدفعنا الى المغامرة والتضحية » ، فما - عسى المغامرة - فى ميدان الكفاح - الا الثورة المسلحة وى تضحية ينوه بها ابن باديس ويهدد بها ان لم تكن التضحية بالنفوس •

ليس من ضحى يكبش غنم مثل من ضحى بنفس بشرية واستمع الى قوله : محذرا من استعمال القمع والارهاب كعلاج لهيجان عواطف الشعب : « انه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما ، حينما ما ولكنه يزرع فى القلوب بغضا وحقدا ويملا الصدور ثورة وحماسا وما مآل ذلك بطبيعة الامتحان وطول الزمن - الا الانفجار » وقد كان ، فابتدأ هذا الانفجار عنيقا عام 1945 وأحمد باستعمال الفتك والارهاب مرة أخرى ، ثم عاد الانفجار عام 1954 فعصف بقواتهم ، وقضى على كل أعمالهم فى قرن وربيع وعلى كل أحلامهم الى الابد •

16 - واستمر فى ميدان الثقافة يقوم بمجهوداته العظمى ، وأصبح طلابه يعدون بالآلاف ويقوم على التدريس معه نجباء المتخرجين من مدرسته ، أو من مريديه ، ومن هؤلاء الشيخ فضيل الورتلانى - قبل ذهابه الى فرنسا مبعوثا منه للعناية بالمفتربين ، ثم هجرته الى مصر والشرق - ومنهم الشيخ محمد جلولى المليانى أمد الله فى حياته • ومنهم الشيخ عبد المجيد بلحيرش المتخرج من الزيتونة ، ومنهم الشيخ الجيلالى الفارسى المتخرج من مدرسة ابن باديس ثم من الزيتونة ، ومنهم الشيخ أبو بكر حاج عيسى الاغواطى خريج مدرسة

الشيخ مبارك . ثم الزيتونة ومنهم الشيخ محمد ميهوبى الدراجى ، والشيخ عمر دردور ، ومنهم الاستاذان الاخوان محمد الامين ، وأحمد الامين الخنشليان المتخرجان من الازهر الشريف ، ومنهم الشيخ الاخضر فيلالى الخنفى احد متخرجيه النجباء ، ومنهم استاذنا العلامة الجليل الشيخ سعيد الزموشى واستاذنا الشيخ الشريف الصائغى واستاذنا الشيخ عبد العلى الاخضرى ، كلهم زيتونيون ، فكل هؤلاء علموا معه وتحملوا مسؤولية تربية طلابه متطوعين سالكين منهاجه وطريقه ، وذلك ما بين عام 1931 عام تأسست جمعية العلماء وما بين وفاته والنحاقه بربه فى 16 افريل 1940 م .

وكان طلبته أغلى ما عنده وأعزه عليه يجتهد على راحتهم ، ويشقى لاجلهم ويبدل لهم كل ما فى وسعه ، ويؤمن بان ائمن ما يؤديه فى حياته أن يحسن تربيتهم على محبة الدين - واللغة - والوطن وخدمتهن والوفاء لهن . وأعظم تلاميذه فى الاولين الشيخ مبارك الميلى وعبد السلام السلطاني ومحمد بن العابد السماتى وموسى الاحمدى ، والفضيل الورتلانى ، والهادى السنوسى ، ومحمد سعيد الزاهرى ، وناصر الدين الناصر ، ومحمد جلولى المليانى ، وباعزيز بن عمر ، ومصطفى بن حلوش ، وعبد العزيز بن الحاج مصطفى ، ومحمد صالح بن عتيق ، وزهير الزاهرى ، والجيلالى الفارسي ، وعيسى يحيوى وموسى الزقاق ، ومحمد ميهوبى والاخضر فيلالى وأحمد بوشمال ، وعبد الحفيظ الجنان وأحمد بن ميلود .

ومن المشائخ المتأخرين : أحمد السرحانى ، محمد الغسيبرى ، وعمر دردور والامير صالحى واخوه رشيد صالحى ومحمود الواعى ، وسى مسعود ويوسف القلى ، وعمار القلى ، وحسين بن عتيق ، والصادق حماني ، والصادق عيسات وعبد الرحمن رمضان ، ومحمد صالح رمضان ، وأحمد المكى عبادة ، وعثمان بوقطاية ، وعلى مرحوم ومسعود حماني ، ومولود المهاجى الوهراني ، وأحمد بن ذياب ، وأحمد حماني ، ومحمد على منصورى ، وعبد الكريم عقون ، والربيع بوشامة ، وعمر بوحناني ، ومبارك بن جلواح ، واسماعيل العربى ، والعربى كبش ، وصالح بن زايد ، وسعيد البيبانى ، وصالح غربى ، ومحمد الحسن ومحمد الطاهر وعبد المالك فضالة والاستاذ ثعالبي . . . الخ . وهم كثير جدا منتشرون فى الوطن . مات بعضهم واستشهد آخرون ، وما يزال بعضهم فى الحياة .

من هؤلاء المتقدمين والمتأخرين من اقتصر على المدرسة البادية ولم يطلب العلم في غيرها ، ومنهم من شرق أو غرب وأتم دراسته في جامعة من جامعات العواصم الإسلامية ، ولم تخصصهم كلهم وإنما ذكرنا منهم من وعته الذاكرة النخوة فمعدرة لدى من لم يذكر اسمه . وما من هؤلاء الا عالم كبير ، أو مؤلف نارع أو كاتب مبدع أو شاعر فحل أو خطيب مصقع أو مرب فاضل ، أو سياسي حكيم ماهر ، وقد يجمع الواحد كثيرا من الخلال ، وكان أثناء فترة الدراسة يتولى تدريبهم على الكتابة والخطابة ونظم الشعر وكتابة النثر سلك في ذلك طريق الانام جمال الدين الافغاني عند اقامته بمصر . وكان بعدهم اعدادا حسنا لخدمة الدين واللغة والوطن على المبادئ المرضية . وتلاميذهم ، وتلاميذ تلاميذهم يعدون في الوطن بعشرات الالوف .

17 - عندما توفي ابن باديس في التاريخ المذكور كان نائبه في الرئاسة الأستاذ الكبير محمد البشير الابراهيمي معتقلا في مدينة آفلو . وقد اعتقل أوائل الحرب العالمية الثانية - أواخر ديسمبر 1939 ، أو في شهر يناير 1940 م ، ولم ينزعج الشيخ لاعتقاله لأنه كان لا يخشى عليه الامتحان ، ويتحقق أنه سيفوز فيه وهذا ما كان - وقد بقي في الاعتقال حتى سنة 1943 م ، فما طأطأ رأسه ولا هان - فصحت فراسة الشيخ فيه وأنه ممن يهنا باسمي وتهنا بهم أمتهم .

الفصل السابع - خلافة الابراهيمي - مساومات وبقظة وثبات

ولما مات ابن باديس اجتمع أعضاء الجمعية اخوان الابراهيمي وانتخبوه بالاجماع رئيسا خلفا لعبد الحميد ، ولنلاحظ أن الابراهيمي كان نائب الرئيس منذ تأسيس الجمعية عام 1931 م ، حتى أُنْتُخِبَ للرئاسة عام 1940 م ، ولم ينقصه صوت عند الانتخاب ولا مرة واحدة . وقد انتخبوا لمنصب نائب الرئيس الشيخ مبارك الميلي ، وبقي الأعضاء الآخرون في مناصبهم الشيخ العرس الميسبي الأمين العام والشيخ محمد خير الدين المراقب العام ، والشيخ أحمد معيرة أمين المال . . . الخ .

وحدثني الثقات **أن فرنسا** بعثت سماسرتها تساوم أعضاء الجمعية أن يغيروا سياستهم **التي خطها ابن باديس** في (معاداة) فرنسا ومحاربة الاندماج



الأستاذ محمد الشير الابراهيمي

ومحاولة الانفصال عنها ، وإن يقبلوا برئاسة رجل معتدل تعينه لهم - هو الشيخ العقبي - على أن تغير بدورها سياستها نحو الجمعية ، وكان الذين يمكن أن تتصل بهم وتساوهم هم الشيخ مبارك الميلي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد خير الدين ، وكان الجواب بالرفض ، وقالوا مثل هذا التصرف لا يملكه ، وإنما يملكه الاجتماع العام ، ورئيسنا معتقل ، والظروف لا تسمح بعقد هذا الاجتماع . واثار هذا الرفض أشدت الضغط ، ودبرت مؤامرة ضد الشيخ العربي التبسي ، متهما بتهمة منكرة تيسر لهم محاكمته - في ظروف الحرب - عسكريا وإعدامه . كان ذلك أثناء وجود الألمان واليطاليان ، بتونس 1943 وتدخل في الموضوع رجال مهرة مخلصون على رأسهم الشهيد المرحوم أحمد بوشمال ، والوطني الصميم محمود بن نينسي الترحم لذلك بالحكمة العسكرية وحولوا قضيتته الى سياسية واستطاعوا أن يعزلوا اعتقاله من مدينة باتنة الى مدينة قسنطينة فنجوا بفضل الله ، ثم بتضامن وطنية إخوانه .

كما أن الشيخ محمد خير الدين ناله شرف الاعتقال وسيبق الى المنفى ، فلما جاءت لجنة الإصلاح ، وأخذت تستنطق زعماء البلاد في مستقبل الجزائر سنة 1943م أطلق سراح الأبراهيمي ، ومثل أمام لجنة الإصلاح الفرنسية لاستطلاع رأيه كما جلبوا غيره من زعماء السياسة الذين طال سجنهم . وأثناء هذا العام قدم الى حكومة فرنسا (البيان الجزائري) بعد استشارات بين رجال السياسة وزعمائها جميعا . وبعد اعتقال مؤلف البيان ومقدمه ، ثم الإفراج عنه وقع سنة 1944م تآلف حزب وطني جديد هو (أحباب البيان والحرية) واتحدت الكلمة وعمت البهجة وعلت الأناشيد والاعلام الوطنية في سائر الأنحاء ومن أجملها (شعب الجزائر مسلم) و (من جبالنا طلع صوت الأحرار) و (فداء الجزائر رويحي ومالي) ومن عاش تلك الايام بهرته مظاهر الحرية والاستقلال واتحاد الكلمة . وكان من رجال هذا الحزب العلماء ، وعقد مؤتمر وطني أوائل 1945م في الجزائر ، ووضعت مطالب وتقرر ارسال وفد الى (سانفرانسيسكو) لتقديم القضية الجزائرية .

وفى 8 فبراير 1945م توفى الى رحمة الله الشيخ مبارك الميلي وشارك فى دفنه جميع الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم الابراهيمى والتبسى وخير الدين ورجال حزب الشعب الجزائرى .

18 - وحل يوم النصر واستسلام الالمان ، وجاءت أعياده يوم 8 ماى وخرج الشعب فى مظاهراته - وكان قد خرج يوم أول ماى فى عيد العمال فسقط منه شهداء فى مدينة الجزائر وبجاية - أما يوم 8 ماى 1945م فقد كانت المفاجأة الكبرى ، وأخذ الفرنسيون - الذين كان دورهم ضئيلا فى تحقيق النصر فى هذه الحرب العالمية - أخذوا يشنون معارك عنيفة على شعبنا الاعزل ، وقد حققوا فى ولاية قالمة ، وولاية سطيف انتصارات حاسمة وحصدوا برصاصهم الأمريكى الصنع 45 ألفا من الشهداء . وذلك تحت سمع وبصر حلفائهم !

ثم التفتوا الى الرؤساء والزعماء ليحملوهم مسؤولية ذلك ويلقوهم فى غيابات السجن ريثما يحاكمونهم ويعدمونهم ، كان رئيس الدولة الفرنسية آنذاك هو الجنرال دوقول ، وكان وزير طيرانه من يدعى (شال تيون) وهو شيوعى النزعة والحزب ، وفى الحكومة موريس طوريز الامين العام للحزب الشيوعى وحتى صحافة هذا الحزب أخذت تسمنا بوصف (النازيين) وتحرض علينا ، وتشلى الكلاب المسعورة على مناضليننا ، وما كفت عن عملها الا بعد حين ، وبعد خروجهم من الحكومة .

وكان فى طليعة المعتقلين الشيخ محمد البشير الابراهيمى الذى زج به فى السجن العسكرى تمهيدا لمحاكمته ، والشيخ العربى التبسى ، والشيخ محمد خير الدين مع عشرات الآلاف من المناضلين وبقيت هذه المحنة لأسابيع فقط ولكن شهورا وأعدم فيها كثير من الشباب الوطنيين وخصوصا المناضلين فى صفوف حزب الشعب قتلوا صبرا بعد محاكمات صورية (9) .

(9) كان من ضحايا هذه الايام الشاب اسماعيل بن شعلال رحمه الله ، عضو جمعية التربية والتعليم ، وحزب الشعب ، وأحباب البيان ، حضرت الشرطة لاعتقاله فى مكتب له بالفندق ، ثم زعموا أنه أنتحر بالقاء نفسه فى هاوية الوادى السحيق كان ذلك أثناء الاسبوع الثامى من مايو 1948 ، وربما كانوا هم الذين ألغوا به واغتالوه - والله أعلم .

أما الإبراهيمي فبقي في السجن العسكري بباب الوادي تحت الأرض ، وفي بيوت ندية مدة ثلاثة أشهر كاملة حتى أثر ذلك على يده وكتفه قبل أن ينقل منه إلى سجن قسنطينة العسكري ، ثم كان آخر من خرج من المساجين في شهر مارس 1946م فيكون الإبراهيمي قد ابتدأت محنته أوائل الحرب فاعتقل ، ثم أطلق سراحه لفترة قصيرة عام 1943م فلم (يتب) بل عاد إلى العمل النشط ما يكون ، وشارك مع زملائه في تنظيم الوحدة الوطنية على أساس الحرية والاستقلال ورفع الرايات في المدن والجبال فتعرض لخطر المحاكمة والاعدام والعذاب ، كما اعتقل كبار اخوانه في سائر أنحاء الوطن ، وخاصة في جهات الشرق منه .

وكانت فرنسا معولة على تصفية جميع الحركات الوطنية واغتيال رجالها - في قائمة أعدموا جميع من ينسب إلى أي حركة وكانوا في المدينة يزيدون على 80 عرلوا بنشاطهم في جمعية العلماء أو الحزب الوطني أو في أحباب البيان أو في الكشافة الإسلامية ... الخ .

ولكن صدعهم عن اتمام برامجهم خيبة سياستهم في سوريا ولبنان فانها - بعد ما ارتكبت جريمتها في الجزائر - حاولت أن تضرب دمشق بالمدافع وتصنع في سوريا مثل ما صنعت في الجزائر أو أبشع ، فما راعها الا والجنرال الانقلابي سببرس يحاصر قواتهم ، ثم يوجه اليها انذارا بالكف عن ارتكاب جريمتها او تضربها قواته .

فما وسعهم الا الكف ، وقد أصابهم من الخزي والذل والصفار شيء كثير ، **وسرعان ما عدلت** فرنسا سياستها في الجزائر ، وخشيت أن يصيبها فيها **ما أصابها في سوريا** ، وكانت بقايا جيوش الحلفاء ما تزال مرابطة بها ، **تشاهد فظائعها** وتسمع آثات المعذبين لهذا كفت عن فظائعها ، ثم أخذت تطلق **سراح المعتقلين وكان** آخرهم محمد الشخير الإبراهيمي الذي تأخر اطلاقه إلى شهر مارس 1946م .

الفصل الثامن : العودة الى متابعة العمل

19 - وبمجرد خروجه عاد الى العمل كانشط مناضل ، وكان عمله في جميع الميادين العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وقد أخذت المدارس تتسع وتنبت في كل ميدان وعلى محتاجة الى معلمين ومسيرين - وكان الابراهيمى رحمه الله يمتاز بحسن الادارة واستعمال الرجال ، ويعتمد على الانتقالات الكثيرة بسيارته لا يكل ولا يمل . وأثناء هذه السنة عقد المؤتمر الاول في عهده لاجتماع جمعية العلماء العام وحضر جلسته الاولى - في قاعة سينما الماجستيك في باب الوادى - نحو خمسة آلاف ، وعلا صوته في الجموع مملوءا قسوة وإيمانا وعزما .

عقد هذا الاجتماع في سبتمبر - 1946 م - ولم ينعقد منذ وفاة ابن باديس - فكان من أعظم مظاهر اليقظة القومية وعزة الاسلام ، وبكى الابراهيمى على الرئيس ابن باديس ، وعلى مبارك الميلى الذى لحق بربه في 9 فبراير 1945 م وأعلن عن الفراغ العظيم الذى تركاه ، ولكنه أعلن متابعة السير على الخطه الدينية العربية القومية .

وفي السنة الموالية 1947 م حقق الابراهيمى واخوانه فكرة تأسيس معهد ثانوى بمدينة قسنطينة ، ليتم فيه دراستهم خريجو المدارس الابتدائية وحفاظ القرآن وأطلقوا عليه اسم (معهد عبد الحميد بن باديس) واسندت ادارته للعلامة الشهيد الشيخ العربى التبسى خريج الزيتونة والازهر ، وعينوا للتدريس فيه أكفأ العلماء ومنهم المشائخ : نعيم النعيمى ، وأحمد حسين ، وعبد المجيد حيرش ، وعباس بن الشيخ الحسين ، وأحمد حماني ، ومولود النجار . ثم لحق بهم عبد الرحمن شيبان والطاهر سعدى وعبد القادر الياجورى ، ومحمد الميلى ، وعبد الرحمن غمرانى ، وعبد اللطيف سلطانى ، والسعيد الزموشى ، ومعمار حنى ، وعمر جفرى ، وأحمد بن ذياب ، ومحمد العدوى ، ومحمد الحفناوى ، وعلى الساسى ، ومحمد الزاهى ومصطفى بوغابة ، وعبد العزيز قروف . الخ - وقد عاش المعهد من سنة 1947م الى سنة 1957م ، وكان بعد نشوب الثورة عام 1954م - معقلا من معاقلها ومركزا من أهم مراكزها حتى عام 1957م فاحتلته فرنسا وشردت

طلابه ونهبت مكتبته وجعلته مركزا للاستنطاق والتعذيب . وكان المعهد قد أصبح فرعاً من فروع الجامعة الزيتونية لتسهيل اتمام الدراسة بها - واعترفت بشهادته جامعات مصر ، وسوريا ، والعراق ، والكويت ، وقبل طلابه في جامعاتها ، وتخرج منهم أساتذة ، ودكاترة ، وكانوا في جيش التحرير أثناء الحرب من أحسن من يعول عليهم . فالحق أن معهد ابن باديس كان درة لامعة وجوهرة ثمينة في تاج النهضة الجزائرية تولى ادارته عند تأسيسه الشيخ العربي ، وناب عنه في تسييره الشيخ محمد خير الدين ، وكان هو الذي يباشر الاعمال في السنوات الاخيرة ويتولى حل أعوص المشاكل بكفاءة وتدير حكيم ، ويعينه في ذلك لجان منها اللجنة الادارية واللجنة العلمية ، واللجنة المالية ، وغيرهن وكان التآلف والانسجام التام بين العاملين فيه أحسن ما يميزه ، وقد تولى كتابته الاديب الممتاز الشيخ أحمد رضا حوحو حتى اغتاله الاستعمار وتولى شؤونه المالية والاقتصادية الاستاذ أحمد بوشمال ، وإذا اجتمع رأى وتدير المشائخ محمد البشير الابراهيمى ، والعربى التبسى ، ومحمد خير الدين وأحمد بوشمال على أمر من الامور فاعلم أنه الرأى السديد والتدير المحكم . وقد كان المعهد ثورة حقيقية في حياة الجزائر قبل الثورة وأثناءها ، ثم من بعدها في عهد الاستقلال وبلغ طلبته القمة في الشؤون العلمية والحربية والسياسية والادارية ، فقادوا الجيوش ، وسيروا الوزارات ودرسوا في الجامعات ، وداووا المرضى وآسوا الجراحات وأشرفوا بكفاءة على الادارات - لقد انصهر (المعهد) بإدارته وأساتذته وطلابه انصهاراً كاملاً في الثورة ، وكذلك جميع ما ينتسب الى العلماء في الوطن ، وحتى خارج الوطن في فرنسا ، ولم يشذ أحد ولا حكم على أى منهم بالخيانة والتولى يوم الزحف واستشهد من أساتذة المعهد فقط : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، وأحمد رضا حوحو ، ومحمد الزاهى ، ومحمد العدوى (10) وكان كثير منهم في السجون

(10) اختطف الشيخ العربى يوم 4 ابريل 1957 ولم يظهر له اثر : قتل ودفن سرا ، واعتقل أحمد بوشمال أثناء الاسبوع الثانى من سبتمبر 1958 - للمرة الثانية - ولم يظهر له أثر - بل قد عذب حتى مات ودفن سرا ، واعتقل حوحو يوم 30 مارس 1956 واغتيل قرب الهربة (قسنطينة) ودفن سرا استشهد الزاهى أثناء معركة حامية في جبال الميلية في اوائل عام 1960 وكان مسؤول العدل كجندى ، اما الشيخ محمد العدوى أحد العلماء الافذاذ تخرج من الجامعة الزيتونية بشهادة العالمية - اغتيل أواخر أوت 1957 ودفن سرا .

والمعتقلات أو فى المهاجر يؤدون الخدمات ويتولون المسؤوليات أو مع الجيش يشنون الغارات • ومن ادعى غير هذا فهو متقول يطالب بالبرهان والبيانات •

وأثناء هذه الفترة عادت الى الظهور سنة 1947 صحيفة الجمعية (البصائر) كلسان حال للجمعية ، وكان خليفة الرئيس ابن باديس يهتم - مثله - بالصحيفة ويتولى بنفسه أهم شؤونها ، فلما سافر الى الشرق - بقى يوافيها ببعض انتاجه ، وتولى أمرها بعض أبنائه وإخوانه كالاستاذ حمزة (بوكوشة) والاستاذ عبد اللطيف سلطاني والاستاذ توفيق المدني وغيرهم ، ثم أسست لها لجنة خاصة أثناء الاجتماع المنعقد فى سبتمبر 1953 م ، كما أسس لكل مشروع لجنة • هذا هو الحق ، أما ما يزعمه الاستاذ أحمد توفيق المدني لنفسه (فى حياة كفاح) فالحق فيه الذى يعلمه أعضاء الجمعية أنه منذ بروز (البصائر) فى سلسلتها الثانية (1947) كان يكتب لها مقالا أسبوعيا موضوعه (السياسة العالمية) ويمضيه بكنيته (أبو محمد) وكان يقبض مرتبا سخيا يبلغ مقداره خمسين ألف فرنك - وهو مبلغ جسيم فى ذلك الحين، فمرتب استاذ بمعهد ابن باديس كان 12 ألفا ثم 20 ألفا ثم رفع الى 30 ولم يزد على هذا حتى أغلق المعهد عام 1957م • كما كان الاستاذ المدني يترجم للبصائر - وخصوصا بعد انتخابه أمينا عاما للجمعية عام 1951م بعض المقالات الصادرة عن الجزائر فى الصحف الفرنسية ، ولما نشبت الثورة صار يتابع أحداثها ويترجم ما يصدر فى الصحف عنها ، على كل حال كان يقدم عملا مشكورا لا محالة ، أما تسيير أعمال الجمعية فكان للرئيس ، وكان الشيخ العربى رحمه الله يقوم به فى غيابه ، وكانت اللجان المختصة تقوم بعملها ، وشهد الشيخ التبسى رحمه الله أن تسيير جمعية العلماء بعد تأسيس هذه اللجان - أصبح من الهين اليسير على أى رئيس حتى الشيخ على أو الخيار - وكان عجوزا طيبا بلغ من العمر عتيا - • فلم يكن الشيخ توفيق قابضا على دفتى سفينة الجمعية بعد الابراهيمى لا بيد قوية حازمة ماهرة ، ولا بيد ضعيفة فاشلة خائرة ، بل كان يؤدى واجبه كفرد واحد من اخوانه •

الفصل التاسع

رحلات الى خارج الوطن ، وأعمال باهرة ، نداء الى الثورة ومواصلتها فور نشوبها

20 - فى هذا الفصل الاخير عن الشيخ الابراهيمى نذكر انه قام برحلات خارج الوطن آخرها الرحلة الى الشرق التى بقى فيها من عام 1952م الى أن تحقق الاستقلال عام 1962م ، سافر الى باريس العاصمة الفرنسية أثناء السنوات 48 - 1950م غير مرة طلبا للعلاج ولقاء الرجال ، والقيام بالأعمال ، وكانت اجتماعات منظمات الامم المتحدة تقع فى باريس ، وهكذا تسنى له لقاء عظماء الرجال مثل محمد صلاح الدين وزير الخارجية فى حكومة الوفد المصرية، ووزير خارجية باكستان . وقد لحقه - فى رحلة من رحلاته الشيخ العربى التبسى عام 1950م - لقيتهما معا فى هذه العاصمة اثر رجوعي من مؤتمر السلام العالمى الثانى المنعقد فى فرسوفيا عاصمة بولونيا أواخر 1950 . فى شهر ديسمبر ، وقدمت فى هذه الرحلات خدمات وطنية سياسية وثقافية . أهم هذه الانجازات أن رجال الاحزاب الوطنية - على مستوى المغرب - اجتمعوا تحت رئاسة الشيخ وحضر عن تونس من مثل الحزب الحر الدستورى بقسميه القديم والجديد ، وعن الجزائر من مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى، وعن المغرب من مثل حزب الاستقلال ، وغيره . وتباحثوا فى مصالح الوطن ، ووضعوا خطة للعمل ، وهدنة كاملة بينهم ، ودامت هذه الحال حتى نشبت الثورة فى الاقطار الثلاثة فوجدت الهدنة قائمة ، بل ربما الحلف والصفاء كما كان الامر فى الجزائر ، فقد قامت (جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها فى أوت عام 1951م ، ولم يكن فيها تطاحن حزبي .

أما الناحية الثقافية فقد كانت عمّ الشيخ، ذلك أن جمعية العلماء اهتمت بحالة المغتربين منذ فتحت الابواب أمامهم عام 1936م ، فارسل ابن باديس الشيخ فضيلا الورتلانى ، فنظم لفائدة أمنهم على ديانتهم وخلقهم ولسانهم وقوميتهم - برنامجا للعمل ، واستدعى للعمل معه خيرة الرجال من كبار أعضاء الجمعية وعلمائها مثل الشيخ سعيد صالحى ، والشيخ محمد صالح

بن عتيق ، والشيخ محمد الزاهي ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشيخ الهادي السنوسي ، والشيخ اسماعيل العربي ، والشيخ سعيد البيباني ٠٠٠ الخ . كل هؤلاء جندهم لغزوة جبارة كل عمل مدة . ثم رجع ولكن الحرب العالمية دامت هذا المشروع فالتجأ الورتلاني الى الشرق مثل اسماعيل العربي ، ونام المشروع حتى نهاية الحرب ، فاستيقظ من جديد ، وارسل له رجال من الجزائر على رأسهم الكاتب الشاعر المسلم الشهيد الربيع بوشامة ، ومعه الشيخ سعيد البيباني وانظم اليهما الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي ، وهو عالم جزائري تونسي كان من رجال حركة العمال بتونس ومن خريجي الزيتونة . فنفي الى الجزائر مدة ثم ذهب الى فرنسا واشتغل بها ، فانظم الى حركة جمعية العلماء ، بل انتخب عضوا في مجلس ادارتها . وقد قام هؤلاء العلماء باعمال في فرنسا عظيمة ثقافية وسياسية ، من ذلك ان الوزير التونسي والزعيم السياسي صالح بن يوسف كان في باريس عندما عزل من وزارته بعد نجاحه في تكوين الحركة الاولى لدول العالم الثالث - فاخفى عند رجال جمعية العلماء ثم هربوه من فرنسا الى خارجها فذهب الى الشرق .

وفي سنة 1952م شرع معهد ابن باديس في بناء دار عظمى للطلبة الثانويين فافتتح الحملة بنفسه وارسل المندوبين لجمع المال ، وقد اجتمعت بالابراهيم في طريقى الى ولايات الغرب في اوائل 1952م قبيل رحلته الى الشرق ، ذلك انه وردت اليه دعوة لحضور المؤتمر الاسلامي الذي كان سينعقد بمدينة كراتشي عاصمة الباكستان فقررت الجمعية ارساله ليمثل الجزائر ويبلغ - في مؤتمر كبير للمسلمين - عواطف وآمال وآلام الشعب ، فسافر لاداء هذه المهمة في شهر مارس 1952م ، وانعقد المؤتمر وأدى مهمته على أكمل الوجود . ولم يعد الا بعد الاستقلال .

وفي أكتوبر 1954م كانت الاستعدادات جارية بقسنطينة لارسال وفود من الطلبة عددهم أكثر من مائة وثلاثين - حينما نشبت الثورة فاوقفت السلطة الفرنسية التسهيلات ، ومنعت الخروج - فما عدا جماعة قليلة خرجت بحيل مختلفة - وكان قد سبقهم اخوان لهم في السنوات 51 - 52 - 1953م وزعوا على الكويت والعراق وسوريا ، ومصر ، منهم من أتم دراسته بهذه الاوطان ،

ومنهم من اتجه الى أوروبا وكلهم رجعوا بشهادات علمية فى الحقوق أو الآداب أو الطب أو الهندسة ومنهم من عاد الى وطنه ليخوض المعارك ضد العدو فى صفوف جيش التحرير ، فمنهم من اختاره الله للشهادة ، ومنهم من هو حى حتى اليوم - يحتل مكانا ساميا فى حكومة بلاده أو ادارتها أو جامعتها أو ثانوياتها .

ان الشيخ الابراهيمى - رحمه الله - كان قد اهتم بهم فى وطنهم ، فأسس لهم - مع اخوانه - المدارس الوطنية ، وها هو ذا يهتم بهم ليكملوا دراساتهم الثانوية والعالية ، فيحصل لهم على الاعتراف بشهادة المعهد كمرشح لذلك - وسبق - بهذا الاعتراف - من جامعات الشرق اعترافها بشهادات الزيتونة . كما يحصل لهم على منح سخية وكان يخاطب المسؤولين من مكان عال ويقول لهم : ان هذه المنح هى زكاة استقلالكم ، وشكرا لله على ما اولاكم .

وكما أودى الشيخ فى وطنه من عدو بلاده أو من منحرفى أمته أودى أثناء هذه الفترة من عشاق احتكار الزعامة ، أو من مناورات صبيانية من عاقين فقابل كل ذلك بما عرف عنه من شجاعة ورحابة صدر ، ورجاحة عقل .

21 - ولما نشبت الثورة - أول نوفمبر - بادر بتوجيه نداء الى أمته من اذاعة القاهرة يدعوها الى الجهاد المسلح ويبين لها أن واجبها أن تستमित فيه لان البقاء على الحالة الحاضرة موت ، فاذا لم يكن من الموت بد فليكن فى ساحة الشرف . وكان هذا النداء الصادر فى الاسبوع الثانى من نشوب الثورة فتوى شرعية بوجوب الجهاد فى صفوف جبهة جيش التحرير الوطنى ضد العدو المحتل ، والشيخ وحده - من القاهرة - هو الذى يمكنه أن يسمع منها صوت العلماء والدين ، ويتكلم باسمهم ، وكل اخوانه كانوا على رأيه ولم تكن لهم وسائل لتبليغ صوتهم وتعميمه فى الشعب ، وقد استجاب اخوانه وأبناءؤه لهذا النداء ، ولم تسجل على واحد منهم الخيانة - والحمد لله - وكنا على اتصال به مستمر ، فسافر للقائه هنالك - قبيل الثورة أو أثناءها - المشايخ : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ثم حمزة بوكوشة ، وعباس بن الشيخ الحنين ، ليطلعوه على الحالة وليبصروه بالحقيقة وليعلم أن الثورة ثورة شعب لا ثورة شخص

- كما حاول بعضهم أن يغلط الناس - وقام العلماء - كافرًا جنود -
بواجبهم ينفذون ما يؤمرون به فكان فيهم من اختارهم الله للشهادة ، ومنهم
من أودعوا السجون والمعتقلات ، ومنهم من خرجوا للعمل استجابة لدعاء
وتنفيذًا لأمر؛ فمن الشهداء : العربي التبسى ، وأحمد بوشمال ، ومحمد الزاهي
ومحمد العدوى ، وأحمد رضا حوحو - وقد تقدم ذكرهم - وعبد الكريم
بلعقون ، والربيع بوشامة ، ومحمد بلحباسي ، ومحمد شيروف ، وأحمد
شطية ، والبشير الريفي ، ومحمد عادل ، وأحمد قادري ، ومخلوف ظريف ،
وكلهم ممن كان يتحمل المسؤولية العظمى في تسيير الحركة الاصلاحية
ومنهم من قضى أغلب أيام الثورة في جحيم المعتقلات والسجون - بعد اكتشاف
أعماله - مثل : محمد الشبوكي ، ومحمد صالح بن عتيق ، وعبد القادر
اليجوري ، والشيخ الطيب العلوي ، والشيخ مصباح ، وحمزة بوكوشة ،
وأحمد سحنون ، وأحمد حماني ، والصادق مخلوف ، وصالح نور ، والسعيد
الزموشي ، وعمر شكري ، والسعيد الزموشي ثم فر من السجن وهاجر ومات .
ومنهم من غادر الوطن في مهمات الجبهة مباشرة أو بواسطة الجيش ،
مثل : الشيخ محمد خير الدين ، والشيخ ابراهيم مزهودي ، وأحمد توفيق
المدني ، ومصطفى بوغابة ، وعبد الرحمن شيبان ، وباقي بوعلام ، وأحمد
حسين ، والطاهر سعدى ، وعباس بن الشيخ ، وعلى مرحوم ، والعربي
السعدوى ، والعيد سلطاني ، وعمر دردور ، والشيخ المطاعى ، ومزعاش
الطيب ، وصالح وثمان ، وعبد الله ركيبي ، والشيخ أحمد بوروح ، يضاف
الى هؤلاء الاصناف كثير من المسؤولين استشهدوا في الميدان أو بفعل الظلم
والظغيان .

فكما علا صوت الابراهيمى بالقاهرة يدعو الى العمل في الثورة برهن
اخوانه وجنده بالامس بالقول والعمل على انخراطهم في صفوفها وانضوائهم
تحت الوية قادتها المسؤولين عنها في الداخل وفي الخارج . وقد ذابت
شخصيتهم الخاصة ولم يبق في الميدان سوى شخصية الشعب يمثلها الجبهة
والجيش .

خاتمة الابراهيمى :

(يايتها النفس المطمئة ارجعي الى ربك)

22 - كان الابراهيمى رحمه الله يمثل - فى الشرق - علماء الجزائر وأمة الجزائر المسلمة ، قد لفت اليه الانظار ، وكان بما يتمتع به من خصال فى المستوى اللائق لهذا التمثيل . ثم ادركته الثورة بعد سنتين ونصف السنة من ارتحاله فبشر بها ، ودعا شعبه اليها . وجعلت - هذه الثورة - اسماع الناس تصيخ بالاهتمام الى كل قول يصدر من قادتها ، أو من زعماء هذا الشعب ، العسكريين والسياسيين والروحانيين ، وقد وجد الابراهيمى - رحمه الله - بعد نشوبها مجال القول ذا سعة ، وإن له لسانا قائلا .

وإثناء وجوده بالقاهرة انتخب عضوا بالمجمع اللغوى بها ، وهو أعلى مجمع من نوعه فى العالم الإسلامى ، ولا يقبل فيه الا كبار العلماء ، وعندما كان بالجزائر كان عضوا مراسلا له ، كما انتخب عضوا بالمجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة يوم تأسيسها .

ولما تم ببيان الدولة الجزائرية من جديد ، وارتفع علمها بين الأمم عام 1962م آن له ان يرجع الى وطنه فركب سيارة ، وقطع المسافة بين القاهرة والجزائر - وهى تربو على أربعة آلاف كلم - فيها ، ثم نزل بدار متواضعة فى حى حيدرة . ولم يستطع ان يشارك فى أحداث وطنه الكبرى الا انه خطب أول خطبة فى جامع كشاوة بالعاصمة ، ثم فى جامع حسن باى فى قسنطينة - وكلاهما استرجعه المسلمون ، ونزعوا عنه نوب المسخ . ولما أسست وزارة الاوقاف سعى فى وظيفة شرفية . وعين له مرتب ضئيل ، سحب منه وشيكاً لموقف لم يرض عنه ، ولكن الشعب وجيشه اختفوا له بالرضى .

إثناء الاسبوع الثانى من شهر مايو 1965 اشتد به المرض ، ودخل فى غيبوبة احتضار التى دامت معه الى ان لفظ انفاسه الاخيرة فى يوم 19 مايو ، ورجعت النفس المطمئة الى ربها راضية مرضية ، وصلى عليه بالجامع الكبير ، ثم شيع الى مقره الاخير ، فى مقبرة سيدى محمد ، وحضر جنازته مئات الالوف وذكرنا يومه بيوم دفن أمثاله كالامام أحمد بن حنبل بالامس البعيد ، ومثل ابن باديس بالامس القريب وعرف الناس مقدار سلطان العلم .

وابنه على قبره زميله ونائبه الشيخ محمد خير الدين، وراثه صديقه الشاعر الكبير محمد العيد، لم يكن مرتفع السن كثيرا يوم توفي عن (76 عاما) فقد ولد في شهر يونيو 1889 ببلدية راس الوادي في قبيلة (ريغة) من ولاية سطيف وبها حفظ القرآن الكريم وأخذ في تعلم مبادئ العلوم الدينية واللسانية ، والعقلية حتى مهر في كثير من فنونها وتفوق ، فسافر الى وادي الساحل ودخل بعض المعاهد هنالك . ثم هاجر الى الحجاز مع أهله قبل الحرب العالمية الاولى فاتم دراسته ونبع في الكتابة والخطابة والتدريس ، وشارك أبناء عصره من الاصلحيين بالتفكير والتدبير والعمل والكتابة ، ولما حج ابن باديس عام 1331 هـ (1913) لقيه وتعارفا لأول مرة . وتحادثا في مستقبل الجزائر ، واتفقا على وجوب قيام نهضة قومية على أساس الدين واللغة والخلق المتين نهضة شاملة كاملة . وقد قدر لهما ان يتعاونوا ، ثم يخلف الابراهيمى ابن باديس في اتمام ما شرع الاول فيه .

وجاءت أحداث الحرب 14 - 1918 وكانت خيبة مرة لعالم الاسلام والمسلمين ، وسقطت دولة الخلافة ، وفقدت بعض الاوطان الاسلامية العربية ما كانت تملكه من (شبه) استقلال ، فلما انتهت الحرب عام 1918 كان الابراهيمى في دمشق وحضر تنصيب الملك فيصل ابن الحسين على (مملكة) سوريا ، فجاء جنرال فرنسا المتعجرف (غورو) واسقط مملكة فيصل، وارتكب عدة حماقات . واثناء وجود الابراهيمى بدمشق كان يلقي محاضراته وأحاديثه ودروسه في المعاهد العليا ، وكون طائفة كانوا من بعد من أعظم رجال الفكر والادب والسياسة ، منهم فارس الخورى الزعيم العربى الكبير .

وبعد ورود السلطة الفرنسية وسفنها ورجالها على سوريا لم يبق للشيخ الا الرجوع الى الجزائر ، فأخذ يتردد على عواصمها . كما ان بينه كان كعبة القصاد من العلماء والادباء والشعراء الجزائريين والتونسيين . وأثناء وجوده ببلدته رأس الوادي أسس مسجدا جامعا تولى الخطابة بنفسه فيه ، لكنه وجد مضايقة شديدة من الاستعمار ، ولما زاره ابن باديس منع من القاء درسه في المسجد ! كما أنه أسس تجارة لم تنجح ، فانصرف الى التجسرة التى تنجى من عذاب اليم فنجح .

فعندما تأسست جمعية العلماء - وكان من الداعين لها - أنتخب كنائب للرئيس ، وبقي كذلك حتى وفاة ابن باديس وهو في المنفى ، فانتخب خليفة له . وكان قد انتقل الى مدينة تلمسان وأحدث بها نهضة دينية قومية ، وأخذ ينتقل في أنحاء ولاية الغرب الجزائري التي كانت تمتد الى حدود ولاية الجزائر فعمت اليقظة وأقبل الناس يأخذون بأسباب النهضة العامة ، وكانت السلطة الفرنسية تراقبه بحذر وتربص ، وأغلقت مدرسة دار الحديث بعد انجازها عام 1937 ثم انتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية فالقت عليه القبض في شهورها الاولى وبقي في الاعتقال أكثر من ثلاثة أعوام ، ثم أعيد الى السجن عام 1945 . في شهر ماي -

وكان رحمه الله سمحا كريما سخيا واسع الصدر ، باسم الثغر رفيقا بابنائيه واخوانه حادبا عليهم ، بحرا لا يجارى في العلم والادب ، حلو الفكاكة سريع البديهة سليم الطوية برا باخوانه وأبنائه يكرم محسنهم ، ويعفو عن مسيئتهم ، أبغض شيء اليه الاستعمار وأبنائه وقادته ودوله وعملاؤه ، ومن شاء أن يعرف صدق هذا فليدرس مقالاته في (عيون البصائر) عن فرنسا وعملائها داخل الجزائر وخارجها . رحمه الله برحمته الواسعة .

الفصل العاشر

الشيخ محمد خير الدين ثالث ثلاثة بعد الحرب الاخيرة

23 - من الغبن الشديد أن نضع القلم دون أن نخصص بعض السطور لهذه الشخصية الفذة التي ورد ذكرها كثيرا في هذه الخاتمة ، ولا يشفع لاغفال ذكرها أنه ما يزال على قيد الحياة . - متعه الله بها - فان من لم ينصف الاحياء لم ينصف الاموات ، ولقد سرني جدا أن رأيته يوم افتتاح المؤتمر الخامس لحزب جبهة التحرير مدعوا من الامانة العامة للحزب كغيره من كبار رجال جبهة التحرير وجيش التحرير أيام الكفاح - فان هذا أقل تكريم يناله من خدموا الوطن خدمة صدق واخلاص ، تسمو عن كل الاعتبارات . ولد الشيخ محمد خير الدين بقرية (فرفار) احدى قرى واحة طولقة بالجنوب الغربي من مدينة بسكرة عروس الزيبان أوائل هذا القرن ، وعائلة خير الدين ذات مجد عريق ، كانوا - أثناء الحكم الحفصي ثم العثماني - أمراء في تلك

النواحي وسادة العرب الاقحاح ، من بنى هلال ورياح ، وخير الدين - جده -
أحد أولئك الامراء فى عصره . بذلك جاءت الاخبار الصحاح .

وبعد أن حفظ القرآن الكريم فى عائلته ارتحل فى طلب العلم ، فنزل
بمدينة قسنطينة وانخرط فى سلك طلبة عالمها الشيخ الطاهر بن زقوطة (11)
سنة 1917م ، وقد عرفت الشيخ الطاهر خطيب جامع (سيدي الكتاني أو
صالح باي) وكان عظيم التحصيل كفوًا فى مهنته ، يشغل بتلقين الطلبة
الواردين مختلف الفنون الاسلامية والعلوم العربية .

ولم يمكث الشيخ محمد طويلا بقسنطينة ، فارتحل نحو جامع الزيتونة
وانخرط فى سلك طلبته النظاميين الى أن حصل على شهادة التطويع (العالمية)
ورجع الى قريته (فرفار) وانصبب للفادة والتدريس للعامّة والخاصة ،
وسمع منه كثير من أبناء الجهة ، وكانت الدعوة فى بدايتها ، والخصومة بين
الاصلاح والطرقية فى عنفوانها ، والعراك بين دعاة النهوض ودعاة الركود على
أشده ، وكانت (فرفار) منطقة عسكرية لا تتحمل مثل ذلك ، فانتقل
- بعائلته - الى مدينة بسكرة ، فكان فيها أحسن حالا . وقد عزز نزوله بها
الدعوة الاصلاحية التى كان صوت الشيخ الطيب العقبي يرتفع بها . وقد
أسس الاخوة خير الدين فى بسكرة تجارة يشرف عليها الشيخ بالراى والتدبير
واخوانه بالعمل والسعى والتنفيذ . فما كان لهم من ثروة ، فانما حصلوه من
كسب حلال وبطرق شرعية .

وفى سنة 1927 أسس الشيخ الطيب جريدة (الاصلاح) ولم يسمح لها
بالطباعة فى تونس ، ولم تستطع أن تطبع فى قسنطينة ، فأسس الشيخ خير
الدين جمعية لانشاء مطبعة تكون خير ضمان لطبع الاصلاح ، فكان عمل الشيخ
وفكرته كعمل ابن باديس وتفكيره . كلاهما عمل لانشاء طباعة وطنية .

(11) أحد فقهاء مدينة قسنطينة ووعاظها ولد سنة 1875 م ، أخذ عن الشيخ
حمدان الوئيسى واجازه ، توفى فى 10 محرم 1368 هـ ، الموافق لـ 11 نوفمبر
1948 م . رحمه الله ، وكان مقتدرا ينشئ خطبة الجمعة كل أسبوع بقلمه .
ويجتمع الطلبة لسماع دروسه فى العربية والدين .

(صححه : م . ع . بستانجى)



الشيخ محمد خير الدين

وقد عمل كثيرا - كإخوانه العلماء - لتأسيس جمعية العلماء وتحقيق فكرتها، وقد حدثني أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يحضر جلساتها الأولى بتدبير من الجماعة وبتواطؤ منهم مع الشيخ ابن باديس نفسه، لأن أعوان الحكومة، وعملاءها، (وأخوان) العلوية وكثيرا من مشائخ الطرق كانوا يأخذون حذرهم، لو برز ابن باديس من أول وهلة • فأما إذا تحقق وجود الجمعية، وانتخب على رأسها فلن يضير انزعاجهم ولا مكاندهم • وقد نال الشيخ خير الدين حظا من المحنة، فاعتقل مرارا، ووضع تحت الإقامة الجبرية • وبعث به إلى المنفى - أظن أنه نفى لأول مرة عام 1934م - ودبرت مكيدة لتجنيدته في الجندية الفرنسية - مكرا به - فتخلص من الورطة بتدبير حكيم من تدابيرها، كما أعتقل عام 1944م أواخر الحرب، ونفى إلى مجانة، فلما نشبت حوادث 8 ماي 1945م، كان من جملة من سيقوا إلى السجن بقصد محاكمتهم أو إعدامهم، فلما افتضحت فرنسا في (سوريا) أطلق سراحهم، وسبق الشيخ محمد خير الدين إلى الإقامة الجبرية، حتى انتهت الازمة •

24 - منذ عهد الشيخ ابن باديس كان الشيخ خير الدين من أقطاب الدعوة الإسلامية والنهضة الوطنية، وكان له أثر كبير في مدينة بسكرة، وعلى المستوى الوطني، ففي بسكرة كان مؤسساً ومديراً لمدرسة (الأخاء) - ومن تلاميذها النبغاء الشيخ محمد الغسيري (12) سفير الجزائر السابق بالملكة العربية السعودية ثم بالكويت رحمه الله - كما كان له الفضل الأكبر في تأسيس مدرسة التربية، والتعليم بها من بعد، وهي من أهم مدارس القطر ومن تلاميذها الشهيد العربي بن مهيدي •

أما بعد وفاة ابن باديس فقد ثقلت مسؤوليته فاضطلع بها على أحسن ما يرام، كان الشيخ مبارك مريضا يكاد يقعه المرض، وكان الشيخ البشير

(12) الشيخ محمد يكن الغسيري أحد نبغاء طلبة ابن باديس من أبناء أوراس وأحد مؤسسي المدرسة العربية الحديثة في الجزائر، وأول من باشر التفتيش العام للتعليم وأحد مؤسسي لجنة التعليم العليا هاجر أثناء الثورة عام 1956 في مهمة ثم كان سفير الجمهورية في دمشق ثم في السعودية ثم في الكويت وحيثما كان يكون له الصدارة بين السفراء العرب •

ولد بغسيرة من الأوراس عام 1919 وتوفي في 29 جويلية 1974 •

مسجوناً (معتقلاً) وكان الشيخ العربي النبسى تحت الرقابة المشددة . لكن اثنين من الرجال منحهما الله من الذكاء ، والمرونة ، والدهاء ، والايمان ، والصبر ما يجعلهما أصلح الناس للعمل فى مثل تلك الاحوال ، هذان الرجلان هما : محمد خير الدين وأحمد بوشمال ، وكانا على صفاء ومودة واخلاص ، فاليهما يرجع أكبر الفضل فى المحافظة على الجمعية وهيكلها والخروج بها الى شاطئ الامان .

24 - ثم كان للشيخ محمد خير الدين نشاط مستمر ومشاركة فى كل أعمال الجمعية ومشاريعها الكبرى مثل تأسيس معهد ابن باديس عام 1947 م - وتأسيس دار الطلبة عام 52 - 1953 م . وكان - وتلك خاصية فيه - يخوض الاحداث السياسية الوطنية بكل شجاعة وبدون مؤاربة على المستوى المحلى وعلى المستوى الوطنى ، فكان له رأى فى المجلس البلدى وفى المجلس العمالى ، والمجلس المالى يحاد به قوائم الادارة الفرنسية ويقاومها فى تناسق تام وتفاهم كامل مع الدكتور سعدان احد أقطاب السياسة الوطنيين ، وكان أقرب ساسة زمانه الى القومية الجزائرية العربية الاسلامية بتشكوين حسن ، وتأثير من الشيخ خير الدين ، كما كان له رأى فى حركة (البيان) التى أدت الى تألف جميع الهيئات الوطنية فى حزب وحيد هو (احباب البيان والحرية) وكان اركانها : من الحزب الوطنى : حزب الشعب، والعلماء ، ووحدة النواب والمستقلين ، وانسجم الشعب كله فى حزب موحد 44 - 45 وحضر المؤتمر الكبير فى ربيع (مارس) سنة 1945 م ، فلما ضربت فرنسا ضربتها فى حوادث 1945 م ، اعتقل وسبق مكبلا الى السجون ثم الى النفى كما تقدم . كانت اقامة الشيخ محمد خير الدين كاخوانه فى بسكرة ، ولكنه كثير التردد على قسنطينة والمزائر .

ثم كان الشيخ احد المؤسسين الاساسيين (لجهة الدفاع عن الحرية واحترامها) عام 1951 م ، وهى مؤسسة تجمع بين (حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وجمعية العلماء، والاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى - والحزب الشيوعى الجزائرى) ومهمة هذه الجبهة مقاومة الارهاب والضغط الذى سلطته الحكومة الفرنسية ضد مناضلى الحزب الوطنى بعد أن كشفت مؤامرة (1951م) كما سميتها الجرائد، وكان الهدف الواضح هو القضاء على الحركة

الوطنية ، وعلى الاستعدادات الجارية للثورة التى علمت الادارة الفرنسية بها ولكنها لم تعرف كنهها ، فهذه الجبهة كانت قسوة عظمى لكشف الارهاب ، والتخفيف عن المضطهدين ، واسدال الستار الكثيف على الاستعدادات الصحيحة للثورة ، وقد استمر نشاط هذه الجبهة الى نشوب الثورة ، ولما كنت رئيس فرع قسنطينة منها فانى لما أعتقلت عام 1957 م وجدت عند الشرطة - أثناء العذاب والاستنطاق - بعض منشوراتها مما زاد فى ثقل الملف - فلما جاءت الثورة نسخت جبهة التحرير كل الاحزاب والجبهات - وانتقلت الجزائر من الدفاع الى الهجوم .

25 - بقى الشيخ محمد خير الدين يدير المعهد بالنيابة عن الشيخ العربى الذى أنتقل الى الجزائر لينصرف على أعمال الجمعية ويدير شؤونها بعد ارتحال الرئيس الى الشرق مارس 1952 وبرهن عن كفاءة ومهارة وبراعة، ولم يكن يدير المعهد وحده، ولكن يقوم باعباء جسام على المستوى المحلى والوطنى ويحسن استخدام الرجال وتكوينهم ، وغرس الثقة بهم وفيهم ، فكانت اللجان تقوم بالاعمال ، والطلبة يشعرون بسلطة حازمة دون ارهاق ولا ضغط . ومنذ نشوب الثورة ، كان يعلم أن كثيرا من العاملين معه ومن طلبة المعهد فدائيون ، فيتغافل عنهم أو يشعرهم بالرضا عنهم دون أن يكشف عواطفه واتصالاته الشخصية ، ومن الذين كانوا على صلة متينة به الشيخ صالح بوزراع الاستاذ بمدرسة التربية والتعليم(13)، واحد رؤساء الحركة الفدائية فى ناحية قسنطينة بالولاية الثانية ، وقد انكشف أمره فى خريف 1955 م وصعد الى الجبل ، وفى تلك الظروف الشديدة لا يمكن أن يكشف كل واحد اتصالاته وأعماله . فلما جاءت أحداث 20 أوت 1955 وكشفت عن اتجاهات خاطئة وأحكام غير صحيحة - منها اعدام الصيدلى عباس علاوة رحمه الله، وهو من خيرة الوطنيين

(13) أحد مناضلى الحركة الوطنية والمشاركين فى التحضير للثورة سنة 1945 اختفى مدة ثم استقر بمدينة قسنطينة وياشر التعليم بمدرسة التربية وتولى الفداء مع الخلية الاولى بها أثناء 1955 ثم انكشف أمره فتجند والتحق بالجبل وتولى - مع الشهيد مسعود بوجريو مسؤولية الفدائيين فى منطقة الشمال القسنطينى حتى استشهدا بقرب الميلية أثناء معركة عام 1960 ويوجد قبره على قرب من الميلية فى مقبرة الشهداء .

المخلصين - عندئذ اتصل الشيخ محمد خير الدين بالشهيد العظيم عيان رمضان رأسا - في العاصمة - وتفاوض معه في الامر وكشف له كثيرا مما كان غافلا عنه ، وحمد الله عيان على هذا الاتصال الذي تبين فيه ، وصحح وجهة نظره ، وتمت الاتصالات بين الرجلين من خريف 1955 م حتى ربيع 1956 م . وفيه تقرر ارسال الشيخ كمندوب الى المغرب الاقصى من الجبهة ، فاستقر بالمغرب ممثلا للجبهة متكلما باسمها . وكان له عند السلطان محمد الخامس رحمه الله مكانة سامية لانه - أثناء تالب الاعداء على السلطان ومحاولة خلعه أصدرت جمعية العلماء فتوى أن السلطان تتوفر فيه جميع الشروط التي تشترط فيمن يتولى الامر عند جميع مذاهب المسلمين ، كالقرشية عند أهل السنة - والعلوية عند الشيعة ، والعدل عند الخوارج . ونشرت الفتوى في جريدة البصائر باسم الشيخ محمد خير الدين ، فكانت هذه يد له عند السلطان رحمه الله . لهذا كان تعيين الشيخ للعمل بالمغرب تصرفا سديدا ، وبقي في منصبه ذلك حتى بدت طلائع الاستقلال . ثم عاد الى المغرب موفدا من الدولة في بعض المهام فادى أجل الخدمات . نذكر هذا للتاريخ لتصحيح بعض الاحكام والنظريات من وطنيين محترمين ، ودفعنا لتخرصات بعض النافهين .

26 - بعد الاستقلال عاد الشيخ الى وطنه وشارك في الاعمال ، ورشح الى أول مجلس تأسيسي لوضع الدستور الاول للجمهورية ، فادى واجبه بكل كفاءة واخلاص .

ثم مال الى العزلة في منزله معتنيا بالقراءة والتأمل واقتناء الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة ، وقد تمكن من انشاء مكتبة عظيمة يعتز بها ويعمل لانمائها ، وكثيرا ما يستقبل في داره اخوانه القدماء - وهم كثير - من علماء وسياسيين ومناضلين وتجار ومحترفين يحمل له الجميع الاحترام والتقدير والثقة ويجدون في حضرته الانس والذكريات العطرة .

ان الشيخ محمد خير الدين يتوفر على اخلاق ممتازة أعظمها الذكاء والالمية وصدق الفراسة والدهاء والتواضع .

وانه ليذكرنا بمن اشتهر من العرب بالدهاء وحسن التدبير والتخلص من أشد المآزق وأخرج المواقف مع الايمان بالله وحسن الوفاء .

فكم من موقف عسير يسره ، وكم من موقف حرج كشف غمته ، وكم من شرك نصب لاصطياده فاحتال لعدم الوقوع فيه ، وربما أوقع فيه من نصبه له وكأيد به « ولا يحق المكر السيء إلا بأهله » . ورغم علو سنه - نسبيا - فإنه ما يزال على نشاطه يقود السيارة بنفسه ، ويطلع ، ويكتب ، ويتحدث ، وذاكرته سليمة تسعفه بذكر أدق التفاصيل عما وقع منذ عشرات السنين .
حفظه الله ورعاه واطال في الصالحات عمره .

الفصل الحادى عشر .- أحمد حماني

فى هذا الفصل الاخير من الخاتمة ومن الكتاب رأينا ان تقدم للقراء كلمة عن مؤلفه جزاء صبر من صبر على متابعة قراءته حتى النهاية ، او عقوبة له ان لم يرض عنه !

27 - ينتمى أحمد حماني الى عائلة معروفة بالشمال القسنطينى فى دائرة البلدية بلدية العنصر ، وجدهما - محمد حماني - كان من رجال ادارة آل (ابن عز الدين) الذين كانوا يحكمون تلك الجهة أواخر الحكم العثماني ، ولم يكن يخلو من فتن فذهب ضحية بعضها ، وترك من الابناء ثلاثة رجال : ابراهيم ، وعلي ، ومسعود ، وشارك جدنا مسعود فى مقاومة الاحتلال الفرنسى وقد رأيت بعض أنواع السلاح التى استعملها ، وكانت فى ارث عمى رابح والد الشيخ الصادق حماني . وقد اشتهر عنه أنه من أباة الضيم - ضرب قائدا ظلمه - وكان عصاميا ، حفظ جزءا كبيرا من القرآن وهو كبير ، وحرص على وجود كتاب له يتعلم فيه الصغار .

وطيلة الحكم الفرنسى لم يسجل التاريخ - والحمد لله - أن واحدا من أبناء العائلة تعاون - بالعمل فى وظيفة بسيطة أو خطيرة - مع الفرنسيين، ولم يكن ذلك عن خمول ، بل كانوا يرون ذلك من الرجس ، وقد اطلعت على تقرير سرى كتبه مسؤول فرنسى يتكلم عن مدرسة البلدية فى عهد ادارة الشيخ الصادق حماني - عام 1945 - 1946 أو عهد ادارة الشيخ عمر حماني - فى مطلع الثورة - فقال عنه (انه من عائلة مشبوهة) وهذا نيشان افتخار والحمد لله .



الشيخ أحمد حماني

فى الاسبوع الاخير - 26 من شهر شوال - 1333 هـ ، والاول من سبتمبر - 6 منه - سنة 1915 م ، ولد الصبى أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني بدوار تمنجر بلدية العنصر دائرة الميلية ، وكان يوم الاثنين كما علمت ، والشهران معلومان لنا أيضا ، والسنة كذلك، وبالرجوع الى الاستاذ غزلون مدير المرصد الفلكي ، تبين أنه يوافق ما ذكر ، لان يوم الاثنين ذاك هو الجامع بين الشهرين القمري والميلادى . ولما أردنا التوجه الى تونس سنة 1934 وجدنا انفسنا (منسيين) فغير الوالد - رحمه الله - تاريخ الميلاد الى عام 1920 م لنكمل دراستنا قبل ان تدرکنا العسكرية والتجنيد الفرنسى - وقد ولد الشيخ الصادق من بعدى بتسعة أشهر فمیلاده فى جوان 1916 ، ووفاته فى 6 مارس 1983 م رحمه الله .

28 - دخلنا كتاب قريتنا فى نحو الخامسة من عمرى فبدأنا بالقرآن - وعلى والدى الشيخ محمد حماني أخذنا المبادئ، الاولى فى الفقه والتوحيد - وكان من طلبة الشيخ صالح بن مهنا الازهرى (14) بقسنطينة ومن فقهاء الجهة - ثم انتقلنا - و (نا) هنا ليست للتعظيم ولكنى أتکلم عنى وعن أخى وشقيق نفسى الشيخ الصادق حماني - انتقلنا الى مدينة قسنطينة مع أخى الشيخ محمود حماني تلميذ ابن باديس رحمهما الله فتولى بنفسه تعليمنا القرآن أولا فى كتاب (سيدي محمد النجار) ثم فى (زاوية مولاي الطيب) فى حى (سيدي بوعنابة) . وفى مدة قليلة أتقنا حفظ القرآن عنده ، وكنا أثناء طلب القرآن نحضر دروس العلم كمستمعين ، وأقرب معاهده الينا (زاوية عيساوة) فى (سيدي بوعنابة) حيث يلقي الدروس الشيخ أحمد مرازقة (الحبيباتنى) - وكان صديق الوالد أثناء الدراسة - فلما سألته لماذا نذهب الى درس ابن باديس أجابنى بقوله (وفوق كل ذى علم عليم) ولم يزد ففهمت . وكان سؤالى بسبب انه لما زار قسنطينة اختار ان يحضر درس ابن باديس واخذنى معه .

(14) كان من أكبر علماء عصره ، رجع من الازهر بفكرة الاصلاح التى بثها محمد عبده وأيد السنة وحارب البدعة وتعرض للاضطهاد . ولد بمدينة قسنطينة سنة 1854 م ، وتوفى فى 11 أفريل 1910 بنفس المدينة وشيع جثمانه جم غفير من سكانها ودفن فى المقبرة المركزية . وله عدة تأليف ، هاجمه الشيخ عاشور وغيره .

أثناء هذه السنة جاء شهر رمضان ، وتساءلت ، هل أصوم أو لا أصوم ؟ ولم أكن - بعد قد شعرت بعلامات البلوغ - فقلت لنفسى : أذهب لاستشارة الشيخ ابن باديس لازالة الشك وذهبت اليه فى (سيدى قموش) فما أحسن ما استقبلنى ! وسألنى عن كل شىء عن اسمى وعمرى وعائلتى وبلدى وقراءتى - وقال لى : متى تأتى عندنا لقراءة العلم ؟ ثم سألنى عن المقصود من الزيارة فلما علم موضوعها قال : (لما كنت تحفظ القرآن فأنت رجل ، فصم) وخرجت من لقائه لا تسعنى الدنيا وبشرت أخى ووالدى رحمهما الله بما قال فوافقا ولم يقل سرورهما عن سرورى .

وفى أول السنة الدراسية 1931 كنا ضمن طلبة (الجامع الاخضر وسيدى قموش) وفى هذه السنة تأسست جمعية العلماء وتضاعف عدد الطلبة ، وكان مع الشيخ فى التدريس الشيخ سعيد الزموشى ، والشيخ الشريف الصائغى (15) وعن الاول أخذنا النحو والصرف والفقه والتوحيد، وعلى الثانى قرأنا الحساب والجغرافية والتاريخ . الخ . وكانت سنة عامرة . وفى السنة الثانية غادرنا الشيخ السعيد الى معسكر ، وأقبل علينا الشيخ عبد العلى الاخضرى وهو عالم محصل رحمهم الله . ولا أغفل اننا فى هذه الحقبة قد انتفعنا أيضا بدروسى الشيخ الاخضر الفيلاالى الخنقى ، والشيخ الفضيل الورتلانى . والشيخ محمد ميهوبى من كبار انطالاب ، والشيخ محمد المليانى الذى كان لنا نعم المربي والمرشد ، وقد صحبتنا - من بعد - الى تونس ومكث معنا حتى عام 1937 فاستفدنا من صحبتته كثيرا . وأثناء هذه الفترة التى دامت من 1931 حتى سبتمبر 1934 كان الوطن تجرى فيه أحداث جسام منها المعارك الحاسمة مع المخرفين فى الدين، ومع رجال (جمعية علماء السنة) العملاء ومع الادارة الفرنسية . وفى 1934 حضرنا لأول مرة مظاهرة شعبية كبرى وعلى رأسها ابن باديس والدكتور ابن جلول ، وكانت ضد اغلاق المساجد فى وجوه العلماء . ورأينا فى هذه الفترة من الصحف : الشهاب ، والسنة ، والشرعية ،

(15) كلاهما من عائلة الصياغ الشهيرة بعين البيضاء ومسكينة وكان الشيخ سعيد - بالخصوص - من كبار رجال جمعية العلماء الوطنيين سجن عام 1956 ثم « هرب » من السجن ، وهاجر الى المغرب بطريق الجيش وتوفى بوجدة رحمه الله .

والصراط السوى ، والاخلاص لسان حال (جمعية علماء السنة) والمعيار
جريدة سفيهة تشتم اعراض العلماء وأسكتتها جريدة الجحيم) ، وقرأنا
المقالات والردود والنقوض ، ودخلنا ادارة الشهاب ومطبعها ، كل هذا ترك
اثره الواضح فى تكويننا - وفى سنة 1934 وقعت أحداث 5 أوت بمدينة
قسنطينة ورأينا ثورة الشعب حقيقة ، وحضرناها وذل بعدد اليهود .

29 - بعد موافقة أوليائنا وأخذ الاذن من استاذنا، ترحبنا - أنا والشيخ
الصادق - الى تونس يوم 26 سبتمبر 1934 ، وشرعنا فى الدراسة بالجامع
الاعظم فى أكتوبر ، ولم نستطع التقيد بالنظام فكنا أحرارا فى اختيار
الدروس والمشائخ حتى نهاية السنة ، وكانت دراستنا غنية مفيدة ولم تقتصر
على الجامع بل شملت دروس الرياضيات ، والفرنسية فى (الخلدونية) ،
وقد تابع الاخ الشيخ الصادق دروس الفرنسية بانتظام - فيما بعد - حتى
بلغ فيها حسد الاتقان فهما ومحادثة وقراءة - ولم نستطع أن أفعل فعله .
بل قصرت عنه حتى جبرت بعض النقص أثناء السجى 1957 - 1962 م .

وكانت سنة 1936 م سنة جد واجتهاد وتحضير للحصول على الاعلية
وحضر ميعاد الامتحان ، فحصلنا - كلانا - عليها بتفوق ، ثم تابعنا الدراسة
(36 - 1937) فاعلن الاضراب ودام حتى نهاية السنة فحضرناها ، ثم استمرت
دراستنا وسط العواصف والزعازع السياسية المحلية والعالمية حتى بلغنا
سنة التحصيل وهى سنة 39 - 40 فاعلنت الحرب فى 3 سبتمبر 1939 واغلقت
الحدود ، وحاولنا اختراقها فلم نستطع ، واتصل الشيخ الصادق بالسيد
فرحات عباس النائب المالى والعمالى ليحصل له على جواز فوجد الابواب مغلقة
فقال له : ما هو ذنبى ؟ فقال النائب : ألا تعرف ذنبك عندهم ؟ انه أعظم
الذنوب ! انك ذاهب للعلم بالعربية ! ومع ذلك فقد احتلنا فذهب قبلى لوفاة
والدى فى 2 نوفمبر 1939 ثم التحقت بطريق السرية .

ودامت الدراسة الى مايو 1940 ، فكان الهجوم الالماني فى 5 منه، وفتك بدولة
فرنسا فى أسابيع، ثم دخلت الحرب ايطاليا ضد فرنسا فى 10 جوان فتعطلت
تماما، وكنا على أبواب الامتحان، وغادر الشيخ الصادق تونس (نهائيا) أو يوليو،
وبقيت فيها حتى استؤنفت الدراسة فى أكتوبر 1940 ، وأجرى الامتحان

الذي اعلنت نتائجه في 3 ديسمبر 1940 ، وكنت من الفائزين بتفوق ،
وسجلت اسمي في طلبة التعليم العالي .

31 - استطعت ان أحصل على مساعدة مادية من جمعية التربية والتعليم
لاكمال الدراسة بواسطة ثلاثة من الاخوة الكرام ، وهم الشيخ عبد الحفيظ
الجنان، والشيخ أحمد بوشمال والحاج محمد دمق رحمهم الله(16)، وكان الشيخ
ابن باديس قد سعى ليرسلني في بعثة الى مصر مسع أول بعثة قررهما ، كما
ينص على ذلك قانون جمعية التربية - فحالت ظروف الحرب دون التنفيذ
فطلبت من هؤلاء الاعضاء هذه المساعدة فوافقوا ، وهكذا سجلت في القسم
الشرعي ، وتابعت فيه دراستي ، ولم أكن اتغيب عن دروس القسم الادبي
وخصوصا دراسة كتاب (مغنى اللبيب) لابن هشام على العلامة المرحوم
الشيخ الهادي بن القاضي ، وكان علامة زمانه في العربية والفقه الحنفي ،
وكانت المساعدة المادية بسيطة (بدأت بربع ألف ثم بألف فرنك في الشهر لم
تزد عنها حتى النهاية) .

ومن شيوخنا أثناء الفترة الاولى المشائخ : حمادي بن الامين ومحمد الشاذلي
النيفر والطاهر القصار ، وعبد السلام التونسي ، والطاهر بن عبد السلام
والمختار بن محمود ، والحطاب بوشناق وأحمد ابن ميلاد ، ومحمد عباس ،
ومعاوية التميمي وعبد العزيز بن الامين ، والطيب التليلي ، وعلى النيفر ومحمد
الشاذلي بن القاضي والحاج أحمد العياري ومحمد النابلي ، ومصطفى بن جعفر
... الخ .

وفي الدراسات العليا كان من اساتذتنا المشائخ : الفاضل بن عاشور ،
ومحمد صالح بن مراد ، والبشير النيفر ، ومحمد العنابي ، ومحمد الزعواني
وبلحسن النجار ، والعربي الماجري والهادي بلقاضي ، وفي دروس الخلدونية
كان من اساتذتنا صالح رضا الاحمر ، وابن شعبان وغيرهما، وفي العطارين
على العلامة الاديب الشيخ العربي الكبادي كما استمعنا الى

(16) لهؤلاء الثلاثة مع الحاج حموش كرماني ، والسيد عمرو بن جيكو يعود
الفضل الاكبر في حفظ كيان الحركة سليمة في معقلها بقسنطينة أثناء تلك
الظروف الحالكة حتى انفرجت الازمة .

محاضرات من الدكتور أحمد بن ميلاد ، والدكتور السقا وقد استفدنا كثيرا من الحياة في الوسط التونسي الراقى ولازمنا المطالعة في المكتبات المتعددة .
العبدلية والخلدونية والصادقية .

وفي مطلع السنة الثالثة - نوفمبر 1942 - نزلت جيوش الحلفاء بالجزائر وهمت بالزحف على تونس . وكان الجيش الثامن الانكليزي يقترب من حدودها فسابقه الى تونس جيش الماني طلياني ، واحتل القسم الشمالى منها ، وتعطلت الدراسة - من جديد فيها - ودام هذا الكابوس مخيما علينا حتى ربيع سنة 1943 ، (فاحتلت تونس في الاسبوع الثاني من ماي وفي أشهر قليلة تمت الاستعدادات لاجراء الامتحانات في شهر يوليو 1943 فنلت شهادة العالمية في القسم الشرعى بنفوق .

32 - كنت - وأنا في تونس - على تمام الاتصال بمدرستي الاولى : مع الشيخ ابن باديس نفسه في حياته . ومع اعوانه وبالأخص أحمد بوشمال ، وعبد الحفيظ الجنان ، وعملت كمندوب للشهاب ، ثم البصائر متجولا - مع المشايخ محمد الملياني ، وعلى مرحوم ومحمد صالح رمضان وأحمد ابن ذياب وبلقاسم بن رواق بدأت سنة 1937 وتلقينا توجيهات سامية من أستاذنا ابن باديس ، وكانت رحلتى موفقة الى شمال قسنطينة ، وفي ظروف وطنية عسيرة ، القى فيها القبض على زعيم حزب الشعب وبعض رجاله في أوت 1937 فكان علينا ان نبشر ولا ننفر ونطمئن الناس ولا ندع الياس يتطرق اليهم . وتتابعت الجولات وكان الاتصال بالميلي رحمه الله عام 1938 فأخذت عنه دروسا في العلم والسلوك والعمل لا أنساها ، وانتهت الرحلة الاخيرة بولاية الجزائر ، وجاءت الحرب في سبتمبر 1939 .

ووصلت الى قسنطينة وقد أعلنت فرنسا الحرب على المانيا - وفي بعض هذه الجولات كتبت في البصائر سلسلة من المقالات تحت عنوان (حديث المتنجل) كما كتبت في الشهاب عن (الشباب المسلم) ، وكان ذلك أول ما نشر لي ، وكنت ألقى بعض المحاضرات في النوادي أو في المساجد . وقمت بنشاط اثناء وجودي بتونس لفائدة الحركة الاصلاحية والوطنية . ومن ذلك أن (جمعية الطلبة الجزائريين) كانت قد أسست ، ثم فترت عمتها بعد

قليل ، فاحييناها من جديد وانتخب لرئاستها الاستاذ الشاذلى المكى ،
ولامانتها العامة أحمد حماني ، وقد دامت هذه الجمعية بعدنا وقدمت خدمات
جليلة للجزائر ، وفى عهد رئاسة الشيخ شيبان استطاع ان يفاوض شيخ
الجامعة الزيتونية ، ويحصل منه على اعتراف رسمى بالمعهد كفرع لجامع
الزيتونة . وتلك خطوة عملية فى سبيل توحيد المغرب العربى ثقافيا . وكانت
لنا جولات وصولات فى الصحافة والسياسة يقتضيها عهد الشباب ، وكتبنا
- أنا والشيخ الصادق - مقالات سياسية واجتماعية فى بعض الجرائد التونسية
عن الحالة فى الجزائر ، كان لها صدى كبير وسمعت الثناء من أجلها من الشيخ
ابن باديس نفسه ، ومن الشيخ محمد بن العابد ومن الشيخ مبارك رحمهم الله ،
سجل ذلك فى البصائر .

33 - تم التحصيل على شهادة العالمية فى ظروف حالكة السواد بعد عودة
فرنسا من جديد الى تونس فى ظل الحلفاء وعلان عزمها على (معاقة) كل من
قسام بنشاط وطنى أثناء غيابها ، ووجدت نفسى ممن يشملهم هذا التهديد
الذى أعلنه - بكل وقاحة - الجنرال جوان فى نداء عنوانه بالعربية (أيها
سكان تونس!) (كذا)، وكنت أثناء غياب(فرنسا) قد شاركت فى تحرير واخراج
جريدة (افريقيا الفتاة) وكانت لسان حال الحزب الحر التونسى انذاك
بجانب الشهيد الحبيب ثامر واخوانه ، وبجانب الاخ مبروك عبد الصمد أحد
رجال الحزب . كما عملت بجانب استاذى الشيخ العلامة محمد الشاذلى النيفر
والشيخ صالح النيفر، والمرحوم الهادى مجدوب، وهو شاب جزائرى نشيط ،
واتصلنا بالقيادة الالمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب، وللقيام بمساع
لاطلاق سراح المعتقلين ، وقلنا لهم : (ان الشعب كان يعرف أن الزعيم
الحبيب بورقيبة ورفاقه قد اعتقلتهم فرنسا ونقلتهم الى سجونها منذ عام
1939 ، وقد غلبتم فرنسا فلم تتدخلوا للافراج عنهم ، وهأنتم اليوم تحتلون
مرسيليا وجنوب فرنسا حيث هم ، كما تحتلون تونس وطنهم فلا عذر لكم اذا
هم بقوا مسجونين) وبسرعة تم الافراج عنهم ، فأعلن براديو برلين فى مساء
الغد اطلاق سراحهم ، ثم جىء بهم على طريق رومة وطلب من الزعيم الحبيب
الثناء تصريح من راديو رومة ، فلقى كلمة لا تلزمه ولا شعبه بشئ ، ودل بها
على براعة عظمى ، وحنكة سياسية ، ثم نزل بتونس فاحتفى به الشعب أعظم
احتفاء ، وخصصت الجريدة (افريقيا الفتاة) أعمدة كثيرة له .

وفى نفس الوقت حاولنا - معشر الجزائريين - أن نجس النبض ونعرف مقاصد الالمان نحونا فأسسنا منظمة وطنية أطلقنا عليها (الحزب القومي الجزائري) ووضعنا له قانونا أساسيا اعلنا انه حزب غايته الوصول الى تحرير الجزائر وإنشاء دولة وطنية فيه ، وعرف بذلك الالمان فأملوا أن يسخروا شباب الجزائر لخدمتهم ، وتكوين فرقة منهم يطلقونهم بالمظلات ليأتوهم بالاخبار ، وقد استطاعوا أن يغرروا باثنين هما الشهيدان حسين مقراني ، وإبراهيم بن سليمان - والاول من رجال جمعية العلماء والثاني تلميذ نابه شجاع - اتصلا بهم مفردين - اما الجماعة - فامتنعوا من العمل معهم ، ويش الالمان من اتخاذهم (عملاء) - وفى مقابلة مع قائد من قوادهم طلبنا ان تكون لنا حصة فى الاذاعة فقال (تريدون أن تقوموا بعمل ضد دولة فرنسا ؟ أنا لا أسمح بهذا) عجبنا ! لا يسمحون لنا بعمل ما ضد فرنسا المحتلة لبلادنا المعذبة لشعبنا - سمعت هذا بأذنى من مسؤول عسكري ، وفهمنا حقيقة الالمان ، وقارنا هذا ببرقية هتلير زعيم النازية الى المارشال بيتان يقول له عن نزول قواته بتونس فى نوفمبر 1942 .

(اننا نزلنا بتونس لنحافظ على افريقيا لاوروبا) . كما وجهنا فى الموضوع وجهة صالحة مبعوث حزب الشعب الينا، الاستاذ محمد خليفاتي - أهو السيد محمدى السعيد؟ - فحذرنا من الاندفاع معهم، وعرفنا بمقاصدهم . كما زادنا تبصرة فى الموضوع ما سمعناه من اخواننا رجال (جيش بلاد العرب الحرة) ومن قائده الضابط (ممدوح الميداني) فقد حدثنا عن الالمان وعن معاملتهم للعرب ، وقال ان المفتى الشيخ أمين الحسيني هو الذى أسس هذا الجيش ودربه الالمان فى اليونان تدريبا جيدا - وهو متكون من جنود آتين من جميع بلاد العرب ومنها الجزائر . وقد وجدت فيه بعض أبناء قسنطينة من تلاميذ التربية والتعليم ينشدون فى أناشيدهم العسكرية (شعب الجزائر) (واشهدي يا سما) . منهم أحد أبناء قرينتى الشهيد فنور علاوة والسيد طويحن والسيد زناتى . فلما تم تدريبه أراد الالمان إرساله الى روسيا لمحاربة الروس ، قال الميداني : فقلنا لهم لا عداوة بيننا وبين الروس ولا يحقق غرضنا المحاربة ضدهم فى أرضهم ، انما نريد ان نحرر بلاد العرب !

فلما نزلوا بتونس قالوا لنا : هذه بلاد عربية تعرضت للغزو فلم يسعنا
الا النزول بها للمشاركة في الحرب . وقال لنا هذا القائد العربي الكريم :
(احذروهم ، ولا تندفعوا معهم فانهم مستعمرون كالأخرين) وكان اجتماعنا
معه في المدرسة الباشية بنهج الكتبة وبهذه المناسبة نقول ان
القائد الالماني لهذا الجيش العربي كان معجبا بهم جدا ، وقد استطاع ان
يوقف بهم زحف الجيش الثامن - الذي بدأ زحفه من مصر - في مدينة
النفیضة حتى جاءوا تونس من جهة مجاز الباب . وكان - كما قيل لنا - يضم
الى صدره الجندي العربي ويقول له : - يا حسن جندي في العالم ! - .

وفي مقابلة أخرى مع أحد قوادهم - وكنا في مقابلة طلبناها لهذا الغرض
- سألته : ما هي نواياكم نحو الجزائر ؟ ان تونس لها كيان دولي ، ومصر
والمغرب كذلك ، أما الجزائر فان فرنسا تعتبرها أرضا فرنسية ، واننا نخشى
ان تعبروها انتم تراثا ورثتموه عنها . فقال ان نيتنا نحو البلاد العربية كلها
حسنة ، ونريد ان نعاملها معاملة كريمة . فقلت هذا شيء حسن ولكننا نريد
ان يصدر من حكومتكم تصريح رسمي ، فيه وعد بأنه سيكون للجزائر
استقلال ودولة في حالة انتصار المحور ، بهذا وحده نكون مطمئنين ويمكن ان
يثق بكم شعبنا ويساعدكم .

فالتفت الى زميل له - بعد ان سمع القول - وقال له : (هذا صغير ولكن
تفكيره بعيد) ثم قال لي : (هذا أمر من السياسة العليا ، ولا نملك ان نتدخل
فيه !) .

ولم أكن صغير السن ، ولكني كنت نحيف الجسم ، ومن ذلك اليوم فترت
حماستنا للالمان وفهمنا أننا مخطئون في تعليق آمالنا عليهم وعلى انتصارهم ،
ولو تم ذلك لهم لكان معناه استمرار عبودية أمتنا واستغلال وطننا واحتلال
قارتنا . ولم يستطيعوا ان يجدوا منا (عملاء) ، وأذكر بهذه المناسبة اننا
رأينا معهم الحاج مصطفى بن جامع من الوطنيين الجزائريين ، ولا ندري ما فعل
الله به . وكان نائبا في قامة وهدد بالثورة أثناء مقابلة رسمية مع لجنة بحث
برلمانية .

ولم يطل الامر اثر احتلال الحلفاء لتونس ، فقد عزل المنصف باي رحمه الله يوم 12 مايو ولا ذنب له الا شعبيته ووطنيته ، وشرعت الشرطة الفرنسية تبحث عن الحبيب بورقيبة ومحمد صالح النيفر رئيس جمعية الشبان المسلمين وغيرهما للتنكيل بهم ، ولكن رجال الحزب الدستوري كانوا قد اتصلوا بالقيادة الامريكية وبرجلهم الديبلوماسي (دوليتل) فضرب على أيدي الفرنسيين ومنعهم من ارتكاب كثير من حماقاتهم وأطار عنهم صلفهم وغطرستهم .

اما المنظمة الجزائرية فقد تمكن الفرنسيون من العثور على بعض انبائها واعتقلوا من رجالها : الشيخ بورنان بن الدريدي والشيخ بوالاخراس سلطاني والشيخ الكامل الحناشي ، والحاج الناصر ، وبحثوا عنى مجتهدين فاختفيت في مدينة تونس ، ثم في بنزرت عند السيد السعيد القاسمي رحمه الله ، وساعد على هذا دركي جزائري يدعى (العمرى) فكتّم عنى وضلل الطالبين ، برغبة من المرحوم صفصاف الذواذي الذي كان يعرفه جيدا وبقيت في اختفاء حتى هدأت الاحوال ، وخف الطلب .

فاستطعت أن ارجع الى الجزائر بعد نحو سنة في 30 ابريل 1944 .

34 - لم أستطع ان أبرز في مدينة قسنطينة، فقد كنت مطلوباً للجندية ، ومطلوباً للمحكمة العسكرية بتونس ، وكان الذي يعرفني جيدا هو المفتش الشريف الواعر (ابن خرخار) - وكان زميلا لنا أثناء الدراسة بتونس ثم عمل كمفتش للشرطة السرية - فلقية الشيخ عبد الحفيظ الجنان وقال له : يا شريف ان الشيخ أحمد هنا ، وحذار ان يصيبه شر ، فانا لا نعرف غيرك ، فنفع معه الانذار وكتّم الاخبار ، وكان فيه شهامة ، وان كان (مخلصا) لفرنسا، وقد ضرب من الثورة في قسنطينة فنجا ، ولكنه لم يتب ، ثم فأعدم في باريس . وفي مطلع عام 1945 علمت ان (الجماعة) سيقدمون للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية وسأقدم معهم للمحاكمة غيابيا . والمحاكم غيابيا يحكم عليه - عادة - بالاعدام .

أخبرت الشيخ البشير الابراهيمي بقضية هؤلاء الاخوان وقضيتي وبينت له ما عسى ان نتعرض له من خطر ، فاستجاب سريعا ، وأرسل الشيخ حمزه وكوشة لدراسة الامر ، وفتح له الكيس ليأخذ من المال ما يحتاجه فسافر .

كما أرسلنا من قسنطينة الشيخ عبد الحفيظ الجنان لينظر فى الامر ، وكان موعد المحاكمة يوم أول مارس 1945 ، وبعد عرض القضية على المحامى قبل ان يتدخل ويطلب تأجيل عرض القضية الى 20 مارس للحضور أمام المحكمة العسكرية بالقصبة .

فلما عرضت القضية دافع عنى وعن الاخوان المحامى الجزائرى الكبير عبد القادر القبائلى وتلميذه الاستاذ عمار الدخلاوى وغيرهما . وكان مما قاله وكيل الدولة فى (تغريقه) ما لنا نجد الجزائريين يكادون يكونون مع كل تخريب ؟ فلما ساءلوا ان الدفاع بين المحامى قيمة الدين ورجاله ، وأن هؤلاء منهم ، ثم أشاد بما يقوم به جنود الجزائر فى تحرير فرنسا بعد هوان الاحتلال الألمانى وقال نعم ان الجزائريين الآن يخربون ، لكنهم يخربون أرض العدو لاذلاله . فأثر على المحكمة .

وصدر الحكم بالبراءة أو بقدر خفيف من السجن على الجماعة ، وكانوا قد أمضوا أكثر من المدة المحكوم بها . أسهبنا - بعض الاسهاب - فى هذه النقطة لان معلوماتها تنشر لأول مرة - لمن شاء أن ينتفع ولم يأخذ المسألة على وجه الهزل والاستهانة ، وأبناء الجزائر حيثما كانوا ومع أي ظرف كانوا يفكرون فيها ويعملون لها . ومن أراد ان يكتب التاريخ فليصدق الرواية ، والملفات فى المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس ، وقضاياها المعروضة يوم 20 مارس 1945 .

وجاءت أحداث 8 مايو 1945 وما بعده وأغلقت جميع مدارس جمعية العلماء، وقد بلغ غيظ الاستعمار أشده من اتحاد الجزائريين فى منظمة (أحباب البيان والحرية) ورفعهم الرايات فى الانهج ، فقتل الآلاف وسجن الآخرون ، وكنت قد فاجأنى مرض خطير فأجبرت على دخول المستشفى فى أوائل يوليو واجريت لى عملية جراحية فى 17 منه ، ثم أخذت أسترجع صحتى بسرعة وغادرت المستشفى نهائيا فى 5 جانفى 1946 . وبينما كنت فى المستشفى أدركنى الطلب وأخبرنى الصديق عبد الحق ابن باديس أن رجال الدرك جاءوا لاستنطاقى فمنعتهم (الاخت سيسيليا وضمنت لهم - بوصفها مسؤولة عن القسم - وجودى ، وكانوا لا يعلمون ببراءتى أمام المحكمة العسكرية ولا بترك تنبعى -

من العسكرية بواسطة أحد رجالنا وهو الكاتبان بن معطى، وكانت العملية الجراحية سببا فى نجاةى من الجندية نهائيا .

35 - كانت المدارس آنذاك ما تزال مغلقة ومعظم الرجال فى السجون أو المنفى ومنهم الاستاذ الرئيس الذى لم يطلق سراحه الا فى شهر مارس 1946 . لكننا لم نكن غافلين ، فقد ذهب السيدان أحمد بوشمال وعبد الحفيظ الجنان الى الجزائر واتصلا بالاستاذ ابن شنب فوضع لهما تقريرا هاما عن التعليم العربى وضرورة عودته وقدم كاعذار وانذار للإدارة الاستعمارية فما عبأت به .

ثم تقرر عقد مؤتمر من المعلمين الاحرار ورؤساء جمعيات التربية والتعليم بولاية قسنطينة فانعقد هذا المؤتمر فى 16 مارس 1946 بمدينة قسنطينة ، وحضره عدد عظيم من المعلمين ومن رجال الجمعيات والمسؤولين عن التعليم ، وقدمت تقارير هامة ، ورفع ما تقرر فيه - من وجوب فتح المدارس - الى رئيس جمعية العلماء - وكانت هذه المدارس قد اغلقت كلها بأمر عام صدر فى الاسبوع الثانى من شهر ماي 1945 ، نصه (أوقفوا كل نشاط) وكنت فى الوفد الذى سافر بالمقررات الى بسكرة للقاء الرئيس ، واثناء هذه الرحلة لقيت لأول مرة الشاب (العربى بن مهيدي) رحمه الله .

ثم وقع فى الجزائر مؤتمر ثان للمعلمين على المستوى الوطنى - اشر الاجتماع العام لجمعية العلماء فى - بتمبر من تلك السنة تحت رئاسة المرحوم الشيخ محمد بن العابد السماتى ، واشراف الابراهيمى وتقرر فيه أيضا وجوب فتح هذه المدارس وهكذا فتحت جميع المدارس المغلقة من قبل فى أول أكتوبر 1946 م وكان هذا تحديا سافرا وعصيانا مدنيا وارسلت بصفتى كاتبيا عماليا لجمعية العلماء - برقية نصها : (افتحوا مدرستكم) - الى كل مدرسة مغلقة : وكان أول عمل لى فى التعليم اننى قمت بدروس علمية ثانوية فى مدرسة التربية والتعليم فى أول السنة الدراسية 1944 - 1945 مع تسميتى مديرا علميا لهذه المدرسة وحضرت المؤتمرين للتعليم بقسنطينة ثم بالجزائر ، كما حضرت الاجتماع العام للجمعية وعيننى الرئيس كاتبيا لشؤون الجمعية على مستوى ولاية قسنطينة القديمة ، كما عينت بجانب هذا العمل التطوعى

أستاذًا بمدرسة التربية والتعليم ، ففي السنة الدراسية كنت أعلم قسما ثانويا بالتربية والتعليم ، كما تطوعت باعطاء دروس لبعض طلبة المدرسة الرسمية ولبعض طلبة الكتانية كانوا يأتون الي في تكتم خشية المستعمرين ان ينكلوا بهم .

وفي سنة 1947 بدأ الاستعداد لانشاء معهد ابن باديس الثانوى، وبصفتي الكاتب للعماله، وضعت على كاهلى مسؤولية التحضير العلمى والادارى له فاستقبلت الطلبات كلها واعدت برنامج الدراسة بتفاهم مع المشائخ والاساتذة ، وقمت بتوزيع حصص الدراسة على المشائخ ، وتقسيم الطلبة الى ثلاث سنوات : الاولى والثانية والثالثة والرابعة ، وافتتحت الدراسة فى شهر ديسمبر بعد تذليل كل صعوباتها المادية والادبية ، وحينئذ تسلم الكتابة للمعهد الاديب الكبير الاستاذ أحمد رضا حوحو - وهو يجيد الفرنسية ، والحاجة الى ذلك ضرورة فسلّمته كل الاعمال ، وتمحّصت أعمالى للتدريس وشؤون الجمعية .

وتأسست لجنة التعليم العليا كما تأسست مصلحة التفتيش للمدارس فأول من أسند اليه التفتيش على المستوى الوطنى هو المرحوم الشيخ محمد العسيرى ، وآخر من قام بذلك الاستاذ ابراهيم مزهودى حفظه الله، وبهذه الصفة استطاع ان يؤدى خدمات سامية للجزائر فى الثورة قبل ان يلتحق بجندها ويكون من قادتها السامين وعضوا بلجنتها التنفيذية حسب مقررات المؤتمر الاول - مؤتمر الصمام ، وقد سمعت الشاء عليه من قائد الولاية الثانية العقيد ابن طبال مع زميله عمارة رشيد رحمه الله . وكان ممن أسند اليه التفتيش أيضا : الصادق حماني - محمد صالح رمضان - محمد بابا أحمد - على مرحوم . . . الخ .

وقد استمر المعهد فى أداء مهمته التثقيفية ، ولحق به الاكفاء من العلماء ، كما استمرت لجنة التعليم العليا فى أعمالها ، واستطاعت ان توحد التعليم فى مواده وبرامجه وتوحيده على مستوى الوطن كله ، كما استطاعت ان تحسن مرتبات المعلمين - نسبيًا - وان تضع نظاما محكما للتسمية والترقية والايقاف - عند الضرورة - والانتقال ، وكان الاساس هو المصلحة العامة والطاعة التامة ، وكان المسؤول عن لجنة التعليم الرئيس . ثم أحيلت رئاستها الى مدير المعهد بقسنطينة ، ثم عادت الى الجزائر ، ثم اسندت مسؤوليتها الى

الشيخ عبد القادر الياجورى لمدة سنة واحدة ، وكنت آخر من اسندت اليه مسؤوليتها فى عام 55 - 56 - 1957 فكنت أسافر أسبوعيا بين قسنطينة والجزائر للقيام بأعمالها وكثيرا ما يحيل الى الشيخ العربى بعض الاعمال الهامة لانجازها وخصوصا ما يتعلق منها بالاتصال بالجبهة ورجالها وبالجيش واعماله ، وكان العقيد عميروش على اتصال مستمر به ، وقد عرفه فى باريس والواسطة هو الشهيد الربيع بوشامة ، وقد أرسلنا الى ولايته كثيرا من آلات الطبع والكتابة والسحب . وتعاوننا معه فى جهاز المسؤولين السياسيين ، والمعلمين وما يزال بعضهم احياء .

36 - لما نشبت الثورة 1954 م ، استبشر بها الشعب واستقبلها المعهد وطلابه وشيوخه أحسن استقبال ، وكان شيخنا المرحوم الشيخ سعيد الزموشى بيننا فى مدينة قسنطينة يسافر فى نهاية الاسبوع الى (عين البيضاء) ويأتينا باخبار عن المعارك والقتال ، وذات يوم أراد الاديب الشهيد حوحو ان يداعبه ففتح مسجلته - وكنا فى بداية عصر المسجلات - ثم أخذ يستنطقه والشيخ مندفع فى القاء اخباره بحماس ، فلما انتهى أدار حوحو المسجلة ، فاذا بها تعيد ما كان الشيخ يقصه ، وكان مفاجأة ! ثم أخذ كل منا نصيبه من الاعمال ، وكل يكتف نشاطه عن الآخرين لما تأمر به الثورة حتى لا ينحل النظام ولا يختل .

وكان أول معتقل منا هو الشيخ أحمد حوحو ذهب به الى الشرطة وبقي عندهم نحو 24 ساعة ، ثم رجع الينا يقص علينا الاموال (17) وفى يوم 30 مارس 1956 أعدم المجرم (سان مارسيلي) الكورسي مدير الشرطة بالقسم الثانى وهو مستعرب برع فى مقاومة الجريمة فاغتر واستهان برجال الثورة وعاملهم معاملة محترفى الجريمة ، واطهر استخفافا كبيرا بشأنهم متعاليا مفتخرا ، وبينما هو صبيحة يوم الخميس 30 مارس بقرب الجامع الاخضر - فى الجزائر - تقدم منه فدائى صغير ، وصرعه برصاصة واحدة وافلت .

(17) منها أنهم كانوا يوقفونه الى الحائط ، ويرمون جهته بالرصاص عن يمينه ويساره ! أو يرمون بالسكاكين . وقال : انهم هددوه بالموت ان بدا منه شئ ، فكان يكتف ما وقع له ، وأخذ يسعى جديا للرجوع الى الحجاز ، لانه كان يملك الجنسية السعودية وجاءته الموافقة من سفير السعودية فى باريس ولكنه الاحل .

هاج قومه من (الكورس) وماجو وحوصرت البلاد وجمعوا من استطاعوا وساقوهم الى حى الكدية وبلغ عددهم الآلاف ودامت حالهم هذه حتى الصباح .
ثم اعتقلوا بعض أعيان المدينة منهم الاديب أحمد حوجو ، والشاب محمد الطاهر العجايى ، والحاج رابح بوشريط ، والحاج اسماعيل بوعلاق وعددهم 13 فأعدموهم . وكانوا عازمين ان يعدموا 50 شخصا - كما كان يفعل الالمان - وفيهم - كما يقال - المشايخ العربى التبسى ، ومزهودى ، وأحمد بوشمال ، وأحمد حماني ، ولكن الوالى - وكان اشتراكيا - ناقشهم فى القائمة واقنعهم بالاكفاء بمن ألقوا عليهم القبض داخل المدينة واغلقت الدراسة فى المعهد اثر هذا الحادث .

وكانت دار الطلبة التابعة للمعهد من معاقل الثورة ، بها ينزل رسلها الى الولايات فى ذهابهم اليها ورواحهم منها كالشهيد عمارة رشيد رحمه الله .
وقد تولى المسؤولية الاولى فى الاتصال الاخ الاستاذ ابراهيم مزهودى وهما اللذان أعادا الاتصال - بعد انقطاعه لمدة عام تقريبا - كما شهد بذلك العقيد ابن طبال ، ثم اكتشف أمره فتجند واستخلف من بعده الاستاذ مصطفى بوغابة فقام بأعبائها حتى اكتشف وكاد يقع فى يد الشرطة لولا يقظة وشجاعة الشهيد أحمد بوشمال رحمه الله ، ثم استخلف من بعده المرحوم الطاهر سعدى حتى يوليو 1957 ، ثم هاجر الى تونس واستخلف من بعده الاستاذ الصادق مخلوف .
وإثناء هذه الفترة كنا قد نظمنا الاتصال بين الولايات وعينا للجهة فى كل مدينة مسؤولا تعتمد عليه من عناية وحتى الجزائر ، وكثير من هؤلاء المسؤولين ما يزالون بالحياة وفيهم الشيخ سليمان بشنون الذى لعب دورا هاما وسلم من الاعتقال .

كنت فى مدينة الجزائر منذ ابريل 1956 ، وكانت الاتصالات ترد الى الجزائر من قسنطينة الولاية الثانية أو من الولاية الاولى أو تأتي من تونس ومن كان بها أو من المغرب ، فقد جاء منها مرتين المرحوم عبد الحميد ابن آشنهو الاستاذ بمدارس المغرب ، وعضو المجلس الاسلامى الاعلى ، ومدير المطبعة الرسمية من بعد ، وكنت أرسل بالمقالات والبيانات الى تونس والى المغرب والى جريدة (البيان) العربية بنيويورك فتتشر ويكون لها الصدى ، من ذلك ،

ما كان فى أمر اعتقال الشيخ العربى واختفائه ، وقد ارسل الى المغرب وتونس والقاهرة ودمشق ، وتركت أثرا طيبا واستغلتها الجبهة فى لفت انظار الرأى العام العالمى ، وتحرك علماء المغرب ، واحتجوا • والحق أقول اننى انتفعت بهذا فيما بعد لان فرنسا لم تقدم على اعدامى عند القاء القبض على - لكونى فى مجلس العلماء رغم (التلبس بالجريمة) واكثفت بالتعذيب والمحاكمة والاشغال الشاقة • وكان يتلقى هذه المقالات منى الاستاذ على مرحوم بالمغرب والاستاذ حامد روابحية ثم الاستاذ عبد الرحمن شيبان بتونس ، والاستاذ الغسبرى بدمشق ، اما جريدة البيان النيويوركية فقد كنت ارسل اليها مباشرة فتتشر بامضاء (رشيد) ، وارتكبت فى طريق الارسال حيلة لا تخطر ببال المستعمر •

وفى 13 جويلية تراسست لجنة الجزائر لاجراء امتحانات المدارس العربية ، التى كانت تجرى على مستوى الوطن كله ، وبينما كنا فيها اغتيل الشهيد عبد الملك فضالة(18) بدعوى أنه أراد أن يفر بعد ايقافه - وقد اطلعت على منشور سرى يأمر باعدام كل من قبض عليه متلبسا بتقديم مساعدة ما للثائرين - وفى 11 أوت 1957 عدت الى الجزائر فى مهمة حمل البريد بين الولاية الثانية والعاصمة - وكنت تحت الرقابة الشديدة - ولم أتفطن لها - كما اخبرنى المرحوم الاستاذ محمد بن العوادى فيما بعد - بانهم سألوه عنى فى عنابة قبل شهر ، وعن السر فى ترددى على الجزائر - فالقى على القبض فى طريقى الى مركز جمعية العلماء وحجز ما معى ، وابقيت تحت العذاب مدة خمسة ايام ثم نقلت الى قسنطينة حيث مكثت فى العذاب والاستنطاق 22 يوما قبل أن يصدر قرار الايقاف والسجن ، ومثلت امام المحكمة العسكرية فى 23 سبتمبر 1958 ، وصدر الحكم بالاشغال الشاقة لمدة 15 عاما قضيت منها فى أوصاب

(18) من شهداء الثورة ، معلم نابغة يتحلى بأجمل الاخلاق ، كان عند اعلان الثورة فى تازمالت ، فنقلناه الى مدينة (حجوط) حيث قضى فيها مديرا لمدرستها سنة 55 - 1956 فاتصلت بنا قيادة الناحية فى وادى الساحل وألحت علينا فى ارجاعه الى تازمالت لخدمة الثورة . فاغناؤه فى 12 جويلية 1957 وكان ميلاده فى بلدية بنى شيبانة (دائرة بوقاعة) عام 1920 •

السجون نحو خمس سنوات • وبالضبط أربع سنوات وسبعة أشهر و 25 يوما بالحساب الشمسي من 11 أوت 1957 حتى 4 ابريل 1962 •

وأثناء محنة السجن لم نتخل عن الواجب المقدس ، فكان لنا في سجن الكدية بقسنطينة - وقد مكثنا فيه 15 شهرا - تلاميذ، واما في سجن تازولت المركزي الرعيب فان الاوامر الواردة من جبهة وجيش التحرير صريحة في وجوب مواصلة التعليم والتعلم ، فلما حللنا فيه يوم 6 نوفمبر 1958 م ، استقبلنا استقبالا مدهشا من زبائنته ، وضربنا ضربا مبرحا ، وصب علينا في الحمام الماء الحار . ثم عزلنا مدة لتذهب آثار العذاب وتلتئم الجراح •

ولاول مرة دخلت فناء المسجونين التواسع تقدم مني شاب مهذب - هو الاخ فتحي كاهية - و (رحب) بي ، وسألني هل أنا فلان ؟ ثم قال لي : متى تبتدئ التعليم ؟ قلت أى تعليم ؟ فقال « الاوامر التي عندنا من الجبهة واضحة على كل مناضل مثقف داخل السجن أن يعلم اخوانه ، فان لم يكن مثقفا فعليه ان يتعلم ، وأنا أعلم اخواني دروس الفرنسية وأتعليم العربية » • طلبت راحة أسبوع ريثما يذهب عني بعض ما أنا فيه من السوء •

وكان في سجن تازولت ثلاثة اخوان من العلماء : الشيخ أحمد بوزيدى ، خريج القرويين وتلميذ الابراهيمي رحمهما الله ، والشيخ محمود عيسى البايي خريج جامعة العراق وكليتها العسكرية ، ورفيقي في القضية الشيخ الصادق مخلوف المتخرج من الزيتونة فقررنا تنظيم التعليم في السجن كله بحيث لا تقتصر فيه على رفع الامية ، بل نجعله برنامجا تثقيفيا كاملا يشمل فنون العربية من نحو وصرف وانشاء وبلاغة ولغة ، وعلوم الدين من توحيد ، وفقه وقرآن وحديث وسيرة ورياضيات من حساب وهندسة وجغرافيا وتاريخ وأشياء ، وفرزنا (الطلبة) فجعلناهم أقساما وسنوات واستطعنا ان نكون قسما (تكميليا) اشتركنا كلتا في تعليمه ، وساعدنا على هذا التنظيم التحسن الطارئ على المساجين ومعاملتهم سنة 1959 ، ثم استطعنا ان نستورد الكتب حتى من تونس طلبناها من وزارتنا للتربية - وكان يتولاها الاخ عبد الحميد مهري عضو اللجنة المركزية - بواسطة الشيخ محمد كحلوش بحيلة جازت على السجانين ، كما ان ادارة السجن اسعفتنا بانشاء مكتبة للمطالعة اخترنا كثيرا من كتبها ،

ولا ندرى من دفع ثمنها أهو الهلال الأحمر ؟ وأخيرا كونا - سنة 1961 مجلة سميناما (صوت السجين) وكان الأستاذ الصادق مخلوف يكتبها بخطه ونسحبها ، ان هذا التعليم المنظم المستمر - قريبا من ثلاث سنوات - قد اعطى بعض ثماره الياعة ، فقد كنا نجرى امتحانات منظمة ، ونعقد اجتماعات اسبوعية يخطب فيها التلاميذ ، ويعرضون مقدرتهم الانشائية ، وقد أصبح كثير منهم يتقنون العربية فهما . وانشاء ، ومحادثه والقاء ، اذكر من هؤلاء ، الاخ المجاهد عبد الله فاضل ، وزير الشبيبة والرياضة سابقا ، والاخ المجاهد فرحات بلماي بمنظمة المجاهدين ، والسادة الاساتذة : حمداني بن طبال ، ورايح زدام والاخضر قدوح . الخ . وكل منهم - تابع الدراسة من بعد وحصل على شهادة الليسانس ، وكثير غيرهم معلمون أكفاء أو مفتشون .

ولم تكن وحدنا الذين صنعنا هذا في سجن تازولت الرهيب ، ولكن العلماء والمفتشين من المناضلين ، كانوا في جميع المعتقلات والسجون يؤدون مثل هذا أو خيرا منه لامكانياتهم - في المعتقلات أحسن مما كنا عليه في الزنانات ، فبعد الاستقلال - وعندما كنت في الجزائر - جاءني طلاب يلحون في اتمام معلوماتهم التي كانوا تلقوها على هؤلاء المشائخ في السجون والمعتقلات ، واستطاعوا بها ان يكونوا من المعلمين ويريدون اليوم تحسين وضعيتهم ، واستكمال دراستهم ، وباتفاق مع الجميع - طلاب تازولت وغيرهم - رتبنا لهم دروسا علمية بقاعة (نادي الترقى) وجعلت مدة الدراسة الاسبوعية نحو 15 ساعة : 4 ساعات مساء الخميس و 6 ساعات يوم الاحد - وقد كان يوم راحة - وساعة كل يوم من الايام الاخرى ، واستطعت في هذه الدروس ان أختتم لهم منظومة (الالفية) مستعملا في تحضير الدرس الاشموني - والتصريح . وقد تخرج منهم معلمون أكفاء ونحصل منهم على شهادة الليسانس - بعد النجاح في مسابقة الدخول للجامعة - جماعة ، ومنهم اليوم اساتذة فيها في ثانويات او في الجامعة نفسها ، وعلى سبيل المثال اذكر الاستاذ برامة عمر « أستاذ جامعي اليوم » والسائي العموري مكلف بمهمة في وزارة الشؤون الدينية وعلى مزياني رئيس المجلس الشعبي بالقصبة ووادي قريش ، ورايح زدام أستاذ ثانوية وشاعر كبير بالملحون ، والاخضر قدوح

2 استاذ تكميلي ، وابن عبد الرحمن استاذ ثانوى ، وغيرهم . وفى عام 1958 جاء الامر المقاطع بالتخلي عن هذه الدروس فتوقفت .

37 - وجاء الاستقلال وطويت صفحات عهد الظلام ، ورجعنا الى مستقرنا فى أمن وسلام . ودعينا الى تنظيم التعليم بمدينة قسنطينة فى مايو 1962 تحت اشراف الولاية الثانية وقيادتها ، وحملت مسؤولية ادارة معهد ابن باديس ولكن على أسلوب جديد يستقبل فيه صغار التلاميذ كما يستقبل فيه الشبان والكهول والشيوخ لرفع الامية ذكورا واناثا .

وقد سجل فيه أكثر من الفين ، وجعلناهم فى الدراسة أفواجا ، ونظمنا قسما تكميليا من الشبان والفتيات أعددناهم للشروع فى التعليم ابتداء من السنة الدراسية 62 - 1963 . وكان الاقبال على الدروس بحماس وايمان وفرحة الاستقلال . وختمنا هذا التحضير الاستعجالى بعقد دورة امتحان نجح فيه كثير من الفتيان والفتيات ، وتأهلوا للتعليم فورا فى الاقسام الابتدائية بعد دورة تكوينية سريعة اشرف عليها الاستاذ عمر جفرى رحمه الله أحد اساتذة المعهد قديما بتكليف منى بعد ان أصبحت مفتشا عاما .

والى انما للحديث أقول : بينما كانت الاوامر أن نعلم العربية ونتعلم الفرنسية أيضا كانت ذهنية الشعب غير ذلك ، كانوا يظنون أن الصلة قد انقطعت تماما بيننا وبين الفرنسية وغطستها ، حدثنى الثقة ان معلما للفرنسية - تقدم فى أول درس أمام طلابه - فى حى (باردو) وكتب لهم الابجدية الفرنسية واستنطقهم ، فارتفع صوت من بينهم وقال :

ته ! يتعل هين كذا وكذا ! ! ! لقد انتهينا من هذا !

ولم تكن لنا راحة الناء ذلك الصيف ، بل واصلنا أعمالنا فى ابتهاج شعبي لا نظير له ، وعقد المعلمون القدماء اجتماعات يتساءلون ما المصير ؟ واخذت الدولة تتشكل والتنظيمات تدبر ، واحتاجت العربية الى موقف الدفاع من جديد .

ثم جاءتنى رسالة من الوزير المختص - آنذاك العقيد محمدى السعيد باننى سميت (مفتشا عاما) للتعليم العربى ، فاسلمت الادارة الى الاستاذ عبد الحميد بحري أحد من اعتمدناهم أثناء الحرب .

ولكن هذه الوظيفة لم تكن الا فى ايام انتقالية ، فقد حذفت وجاءت تسمية أخرى من وزير التعليم وكان وزيرا واحدا لكل أنواع التعليم - كاستاذ فى (معهد الدراسات العربية) بكلية الآداب بجامعة الجزائر ، وذلك أواخر سنة 1962 .

ومع مطلع السنة 1963 غادرت قسنطينة لياشر عملى بهذا المعهد فوجدته ما زال فكرة فى الازهان وشاركت فى اعدادة حتى استوى على سوقه وبدأت الدراسة فيه فى آخر فبراير . ثم الغى وشيكا والحقت مهمته بكلية الآداب قبل ان ينتزع منها - عى بدورها - اسمها .

11 - مدة عشر سنوات متتالية 63 - 1973 كنت فى كلية الآداب ، وكنت فى هذه المدة على اتصال بوزارة الشؤون الدينية متطوعا بالاضطلاع ببعض مهامها ، متعاوننا مع جهازها ، وقمت بالقاء درس ليلة السابع والعشرين من رمضان ، كما عقدت بعض الرحلات مع المسؤولين الى بعض الجهات ، ولما أسس المجلس الاسلامى الاعلى عام 1966 م كنت من أعضائه .

وفى مستهل عام 1972 م جاءنى ذات يوم رسول من وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية يستدعينى لمقابلة السيد الوزير ، وقد استقبلنى بحضور الامين العام بحفاوة ، ثم عرض على ان أتعاون معه فى القيام بمسؤولية (رئيس المجلس الاسلامى الاعلى) .

وكان هذا المجلس قد أسس أوائل عام 1966 وتولى رئاسته الشيخ الصديق سعدى رحمه الله بكل كفاءة ونزاهة ، ثم تخلى عنه ، فانتخب لرئاسته الشيخ عباس بن الشيخ حسين فسار به مدة - كنت فيها أقوم بواجبى معه فى تناسق وتعاون - ثم انصرف عنه بارادته واختياره وبقي المجلس أكثر من ثلاث سنوات يسيره نائب الرئيس الشيخ سعيد صالحى أطل الله حياته ، وكل هؤلاء اخوانى وأساتذتى - وبعد محاورة واستفسارات اقتنعت بالعرض وقبلت المهمة ، وتحملت هذه المسؤولية الكبرى .

وأول مهمة كلفت بها خارج الوطن ان سافرت للمشاركة فى (مؤتمر الفقه الاسلامى) الذى عقد بمدينة البيضاء من جمهورية ليبيا فى ربيع عام 1972، ولأول مرة حضر مثل هذه المؤتمرات والملتقيات وأشاهد المناقشات العلمية

الحررة الحادة أحيانا ، واسمع لمحاضرات متوالية متتابة قيمة واعجبت اثناءها بمناقشات فطاحل العلماء ومنهم المرحوم أبو زهرة ، والمرحوم على الخفيف ، والدكتور يوسف القرضاوى ، والاستاذ مصطفى الزرقاء وغيرهم ، واثناء تلك السنة نفسها كان ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى السادس بالجزائر ، وحضره العلماء من الشرق والغرب ، مسلمين وغير مسلمين عرب ومستعربين ، واستطعت ان أشارك بالمناقشة فيه مشاركة طيبة فعالة ، ثم توالى هذه المؤتمرات فى الداخل وفى الخارج ، فسافرت لحضور كثير منها كممثل للجزائر أو كمدعو شخصى ، وتكرر السفر الى بعض العواصم التى أذكرها ، تونس (مرارا) والقيروان (مرارا) والقاهرة وليبيا (مرتين) ومكة (مرات) والرياض والطائف ولوكنو (بالهند) وكابل ونواكشوط (مرتين) وقرطبة واسطمبول (مرتين) وانقره، ونجامنا والكويت (مرتين) وبغداد، وطهران وبروكسيل (مرتين) وموسكو... الخ. وكانت مشاركتى بمحاضرات أو بتدخلات ومناقشات أو بأعمال فى اللجان . وانها لمهمة عسيرة غير يسيرة ومسؤولية ثقيلة ، وقد انتخبت - دون طلب ترشيح ولا علم به - فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى منذ عام 1394 هـ ، وكان المكان شاغرا منذ وفاة الامام الرئيس الابراهيمى رحمه الله ، ثم انتخبت بعد ذلك عضوا فى المجلس الاعلى العالمى للمساجد ، وأنا منتخبة فيهما بالاسم لا بالوصف ، لان الذى ينتخب الاعضاء هو المجلس التأسيسى بعد التحرى الكامل عن المرشح ، وانما يقبل ترشيح اثنين من الاعضاء ولا يقبل ترشيح غير الاعضاء .

هذا قليل مما تم من الاعمال ، وما كان خارج الوطن ، اما فى داخل الوطن فان أعمال المجلس اليومية والشهرية والموسمية كثيرة ، وأنا وحدى لست شيئا مذكورا وانما يتم ذلك بتعاون كامل مع الاخوان الطيبين الصالحين الذين يعملون فى تكتهم ، وبعد عن الاشهار ومع انكار للذات ، وهم يقومون بمجهودات وافرة فى تحقيق الغاية التى رسمت لهم فى مرسوم تأسيس المجلس ، وخصوصا فى ميدان الدعوة الاسلامية وتوعية الشعب بمبادئ الاسلام الصحيح وتنقية العقائد من الزيغ والفساد والحرص على بث قواعد السلوك والاستقامة فى السير ، واصدار الفتاوى الشرعية للدوائر الرسمية والافراد والجماعات الشعبية .

ومن أهم أعمالنا - فى الميدان الوطنى - اننا - كاعضاء فى جبهة التحرير الوطنى - شاركنا فى المؤتمر الرابع ، ثم فى المؤتمر الاستثنائى ، ثم فى المؤتمر الخامس ، فكانت كلمتنا فيهن مسموعة ، وسمعة ديننا ومكانته عند شعبنا ومناضلينا - مرفوعة - والحمد لله . .

ثم اننا نعوذ بالله من تزكية أنفسنا ، بل نترك الحكم لنا أو علينا لامتنا ووطننا مفوضين الامر لربنا ، راضين بقضائه وقدره . مطمئنين لعدله الكامل ، ورحمته الواسعة . نسأله - ضارعين - السلامة فى ديننا ، وحسن الخاتمة على الاسلام . والنجاة لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم القيامة ، انه سميع قريب غنى حميد .

خاتمة الخاتمة

38 - ونكتفى بهذا القدر مما أردناه من هذا الكتاب، ومن خاتمته التى وضعت لاتمام التعريف بالحركة الاصلاحية ، وبدعاة السنة وغزاة البدعة ، وبنائة النهضة القومية العربية الاسلامية - بعضهم على الاقل - فى هذه الحقبة من تاريخنا ، ممن لهم اتصال وثيق بابن باديس أثناء هذه المحنة القاسية ، وقد ذكرنا بعضهم بشئ من التفصيل فى صلب الكتاب . منهم مبارك الميلى ، والعربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ومحمد صالح بن عتيق ، ومحمد العيد ورمضان حمود ، والزاهرى ، والزوارى ، والاحمدى ، وكلهم شارك بشئ ما فيما جاء فى الكتاب ، وذكرنا فيه ما يناسب المقام عن بعض المناوئين المعارضين بكل موضوعية ، ثم ذكرنا فى هذه الخاتمة ابن باديس والابراهيمى وخير الدين ، وليس معنى هذا ان هؤلاء المذكورين كانوا وحدهم فى هذا الميدان ، بل بقى كثير من اخوانهم من عظماء الرجال ممن تركوا فى جيلهم أعظم التأثير - ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر - علامة الجزائر المصلح الكبير الشيخ ابراهيم بيوض رحمه الله ، فانه كان فى الجنوب ، وفى اخواننا الاباضية كابن باديس فى الشمال ، وفى أهل السنة . حمل لواء السنة وقمع البدعة ، حيثما كان ويكفيه - قربة عند الله - انه استطاع ان يعيد صلاة الجمعة لمساجد الاباضية بعد ان هجرتها طويلا ، وأى سنة أعظم من احياء الجمعة واحياء النداء اليها فى مدن المسلمين ؟ كما استطاع ان يقضى على كثير

من البدع التي شاعت في قومه ، كما شاعت في غيرهم ، وفرقت بينهم وبين
اخواتهم الاقربين والابعدين ، وطالما أودى في الله بسبب مواقفه ، فثبت
وصبر شكر الله سعيه ، وجزاء جزاء الصابرين الشاكرين .

وقد أمد الله في عمره ، وبارك له ولامته فيه حتى ختم تفسير القرآن
الكريم ، القاء ودراسة وتدريسا ، كما ختمه قبله ابن باديس ، وكما ختمه
من قبلهما الشريف التلمساني ، وكل ما جاء من هؤلاء العظماء الثلاثة ، من
رجال أمتنا ، كان من هدى القرآن وبركته : (**كِتَابُ أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيَذَّبَ رُوحَ آيَاتِهِ وَلِيُتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**) وكل ما جنته أمتنا من خيرات القرآن
وثمراته . فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وبعد قليل
من ختمه القرآن الكريم اختير ابن باديس لجوار ربه . ولم يمر الا قليل
وقت على ختم الشيخ ابراهيم بيوض ، والاحتفال به حتى لبي داعي الله .

وعسى أن يدرس شبابنا المسلم آثار رجاله ، ويحاول أن يعمل عملهم ،
ويصبر صبرهم ويخدم دينه وأمنه ووطنه خدمتهم ، وأن يكون قدوته الحسنة
في كل أعماله وسيرته من كان قدوتهم الا وهو سيدنا ومولانا محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله لنا فيه : (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**) .

فاذا عاش المؤمن نصير السنة - وهي خير الهدي - وقامع البدعة وهي
شر الامور ، فقد وفق ورشد وعمل صالحا ثم اهتدى .

نسأل الله ان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين
(ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم) .

الجزائر في :

20 - 4 - 1404 هـ. الموافق 23 - 1 - 1984 م

أحمد حماني

شكرا... يا دار البعث

أحسنت « دار البعث » للطباعة والنشر في إقدامها على طبع هذا الكتاب وأجملت وقدمت مساعدات كثيرة ، وصبرت صبرا جميلا ؛ فمن واجبي ان أتوجه إليها بالشكر الخالص ، وإلى جميع من انتسب إليها ، وخصوصا الأستاذ محمود - عبد الحميد - عياط مديرها ، والأديب الأملعي محمد العيد - الهاني - بستانجي نجل شيخنا المقرئ الكبير الشيخ عبد المجيد بستانجي رحمه الله ؛ فالأول اتسع صدره لطبع الكتاب ، والثاني اتسع صدره لمراجعته والقيام بتصحيح ملازمه بعناية تذكر له فتشكر، ولم يبخل علي بملاحظات ثمينة ، فإلى « دار البعث » وإلى عمالها والمشرفين عليها كلهم ، وإلى هذين الرجلين الكريمين أوجه شكري ، مفتخرا بأن مثلهما ما يزال في أمتي . وليس بالكثير أن يشكر المحسن على إحسانه ؛ ففي الحديث : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاللهم اجعلنا من الشاكرين ، وزدنا من نعمك الجلى .

الجزائر فى : 22 ربيع الآخر 1404 هـ « حماني »
25 يناير 1984 م

فهرس الجزء الثانى

7	مقدمة الجزء الثانى
	القسم الرابع
11	ثروة أدبية وثقافية خلفتها الحادثة
13	مقال (بيضاوى) : ابن ملجم
14	ترجمة الشيخ مبارك الميلى
14	العهد الفرنسى
18	آثار الشيخ مبارك
20	ابن ملجم القرن العشرين !
25	شلت يد الجانى
26	الشيخ العقبى والشهاب وحادثة الفتك
28	جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم
42	الاعتداء على صاحب الشهاب
45	الى الناقد الخبير
47	الى الخطيب أبى يعلى
52	ومجرمون أيضا
53	حقا ان الليالى أمهات العجائب
55	صدى الاعتداء على الاستاذ فى الازهر الشريف
59	متانة أسلوبه العلمى

- 61 جريدة الشهاب وصاحبها
66 الى الكاتب السلاوى الفاسى
75 متى كان مشائخ الطرق علماء ؟
76 شيوخ الطرق ليسوا بعلماء !
80 ليسوا بعلماء وان وسمهم أبو يعلى بالعلم
82 لا تخف انك أنت الاعلى
94 حزب الاصلاح لا ينكر التصوف الحقيقى
95 أثر الشهاب فى يقظة الشبيبة وسوء أثر بعض الزوايا
97 من هو الكاتب ؟
98 نقيب الاشراف واتخذه لمن خدعه بالله
99 الجواب بالبراءة
102 شر المغرورين ٠٠٠ أو الغرورين
105 غاية حزب الاصلاح الدينى تطهير الطبقات
106 الكتاب الاصلاحيون ، والضلال الخرافيون
111 الاعتداء على زعيم النهضة الجزائرية العظيم
116 للحقيقة والتاريخ
120 الى مجلة المعرفة المصرية
122 (شيخ علماء الجزائر) ام شيخ الحلول ؟

القسم الخامس

- 129 شلت يد الجانى للشاعر رمضان حمود
132 الى زعيم المصلحين للشاعر محمد السعيد الزاهرى
136 (كتبت دماؤك للهدى صفحات)
142 حمتك يد المولى لشاعر الشباب الشيخ محمد العيد آل خليفة
142 نبذة من حياة الشاعر
154 الى العلامة السلفى للشيخ محمد القرى (فاس)
158 الشاعر الفقيه الشهيد محمد القرى الفاسى
168 احساس لطيف من شاعر شريف للشاعر صالح سويسى الشريف الفيروانى

- 173 فى ذمة التاريخ افطم حادث للشاعر الشيخ الطيب العقبى
196 فى الله أوديت للشاعر الاديب (علوى)
199 ذنب ابن باديس ذنب غير مفتقر للشاعر (غريب)
205 مرحبا بالاستاذ عبد الحميد للشاعر الاديب محمد القرى
216 ومن ذا يرد سهام القدر للشاعر الاديب موسى الاحمدى

خاتمة الكتاب

- 227 اثر الصنهاجيين آل باديس فى أحياء السنة وامانة البدعة
229 عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس
231 عبد الحميد بن باديس وتكوينه
232 هجرته الى تونس فى طلب العلم
234 سفره الى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج
235 الى العمل
237 أجمعية الاخاء أم جمعية العلماء ؟
238 تأسيس المطبعة الجزائرية الاسلامية
240 تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
241 الشعب ينزل الى الشارع فى مظاهرات عامة
241 الشعب يؤسس المدارس الحرة والمساجد بماله الخاص
242 تأسيس جريدة السنة والشرعية والصراط السوى
243 القضاء على سياسة الاندماج
243 الاندماج قبر لا نشور بعده
244 الكلمة الصريحة عام 1936 : ان الجزائر ليست فرنسا
245 تهمة باطلة ومحاولة فاشلة
246 من الذين كانوا يتهمون العلماء بمصادقتهم على برنامج فيوليت ؟
247 اعلان اليأس من فرنسا ؟
248 لا نعتمد الا على أنفسنا ونتوكل على الله
251 تهنئة بعيد الفطر المبارك الى الامة الجزائرية الكريمة
152 الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة

253	منشور المقاطعة
255	صورة طبق الاصل للمنشور باللغة الوطنية
256	صورة طبق الاصل للمنشور باللغة الفرنسية
257	صفحة ذهبية
259	نص الانذار الفرنسى
260	جواب الامة على الانذار
264	خلافة الابراهيمى - مساومات ويقظة وثبات
269	العودة الى متابعة العمل
	رحلات الى خارج الوطن ، وأعمال باهرة ، نداء الى الثورة
272	ومواصلتها فور نشوبها
276	خاتمة الابراهيمى
278	الشيخ محمد خير الدين ثالث ثلاثة بعد الحرب الاخيرة
282	تأسيس جبهة اندفاع عن الحرية واحترامها

المؤلف

285	من هو أحمد حماني ؟
287	دخوله الكتاب القرآنى
287	حضوره دروس الشيخ أحمد الحبيباتنى
288	اتصاله لاول مرة بالشيخ عبد الحميد بن باديس
288	فى الجامع الاخضر بقسنطينة
289	هجرته الى تونس لطلب العلم
291	عمله كمندوب لمجلة الشهاب ثم جريدة البصائر
291	بداية النشاط
292	تحصيله على الشهادة ، العالمية ،
293	اتصالات سرية مع الالمان لتحرير الجزائر
296	أحداث 8 ماي 1945
297	مؤتمر المعلمين الاحرار
298	الاستعداد لانشاء معهد ابن باديس

298	تأسيس لجنة التعليم العليا
299	الثورة التحريرية 1954
301	الحكم بالاشغال الشاقة لمدة 15 عاما
302	اثناء محنة السجن
305	بعد الاستقلال
307	خاتمة الخاتمة
309	شكرا يا دار البعث

